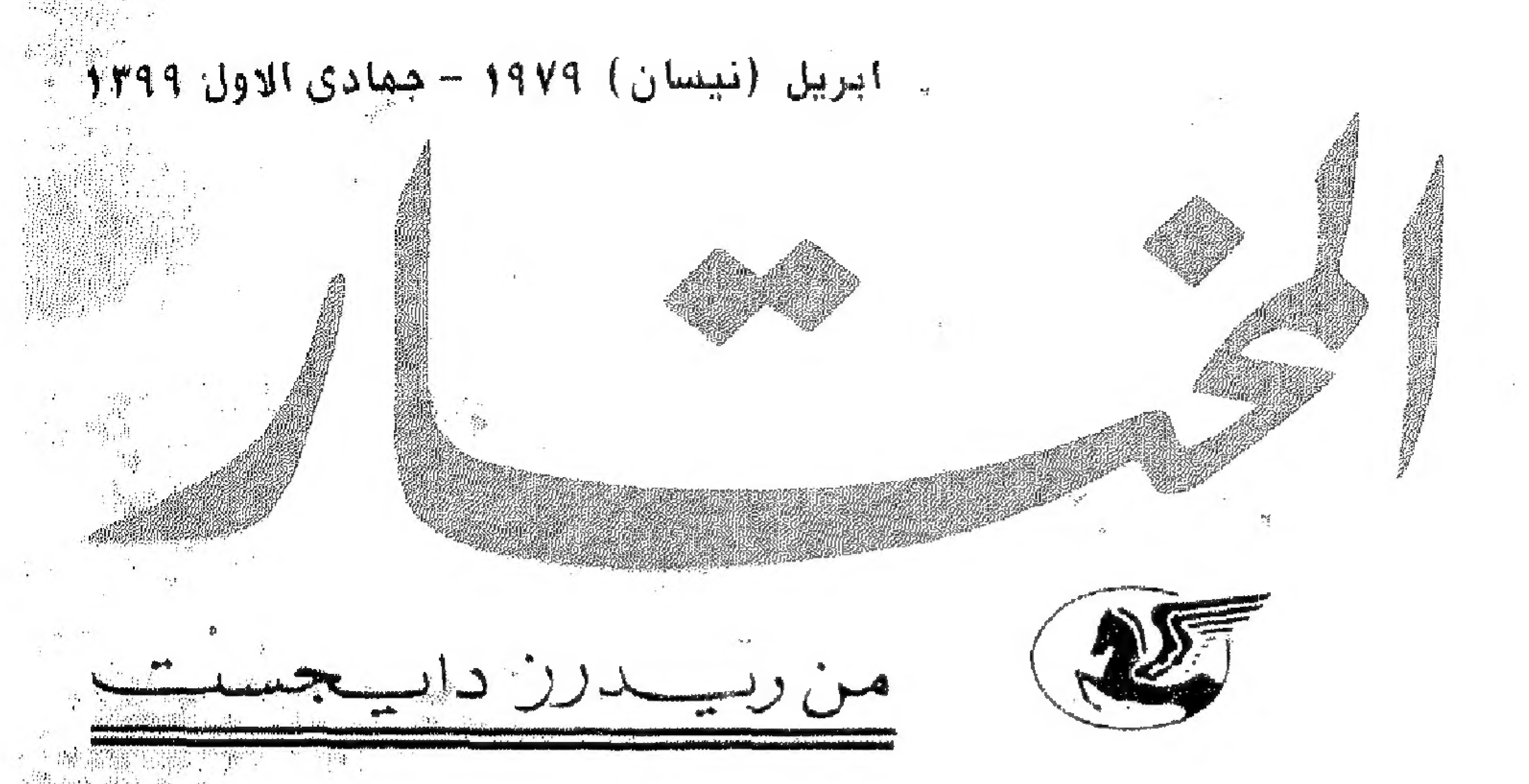





اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ١ د - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقـدّرون الوقت



Omega Seamaster, ST 396.0858, quartz movement, stainless steel with bezel and «quartz» seal in 14 ct. gold, sapphire crystal.

Omega Seamaster, ST 396.0840, quartz movement, stainless steel, sapphire crystal.

اشتر فقط من وكيل اوميغا الرسمي واطلب كتيب الكفالة الدولية .



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين.
رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: أديب صعب.
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم.
امانة التحرير: رينا نداف.
الاخراج: اروى سيف الدين.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية- باريس.

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM شركة تمام
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية- باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: محمد ماجد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398 RL

الغلاف: تصميم ورق لعب

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
April 1979 Nº5 *(New Series)*. Vol. 1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم: ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، تود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...

○ عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ **صور من الحياة: ٥٠ دولاراً**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

□ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

□ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

□ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

□ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

□ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



تتناغمان وكأنهما عصفوران يزقزقان، فتقول غريسي: "كابنغوبادم مانيباد وبيتو"، وترد جيني: "دوان ني بادا تنغكمات".

وغريسي هي التي تمسك عادة باطراف المحادثة. فهي ولدت عام ١٩٧٠ خمس دقائق قبل مولد شقيقتها التوأمة، وما زالت هي المهيمنة منذ ذلك التاريخ.

وتقول جيني: "بوتوبنيت".

فتسأل غريسي: "بنيت؟".

وتصر جيني قائلة: "ياه".

ان هذه اللغة التي تستعملها غريسي وفرجينيا كينيدي فريدة يتعذر التحدث بها او فهمها على احد غيرهما. غير ان خبراء اللغة والنطق في مركز النطق والسمع والاحساس العصبي في مستشفى الاطفال والمركز الصحي في سان دييغو في كاليفورنيا، يحاولون منذ شهر اغسطس (آب) ١٩٧٧ ان يهتدوا الى مفتاح هذا العالم الذي تعيش فيه غريسي وجيني، ومعرفة ما تعنيه تلك النبرات الغريبة التي لا بد ان تنطوي على مدلولات اكيدة، بعد ان تطورت الفتاتان باسلوب نطقهما.

وما هي المقومات التي توافرت في حياة تينك الفتاتين الصغيرتين الزرقاوي العيون والحريريتي الشعر، فمكنتهما من تطوير لغة خاصة بهما؟

CONDENSED FROM FAMILY HEALTH / TODAY'S HEALTH (SEPTEMBER '78)
PHOTO AL SATTERWHITE

ولماذا لم تتعلما التكلم بالانكليزية او حتى بالالمانية التي كانت لغة جدتهما ولغة المربية التي كانت ترعاهما في اثناء غياب والديهما؟ وان يكن الامر مجرد نمط من انماط نطق الاطفال، فلماذا لا تفقده الفتاتان اسوة بمعظم الاطفال؟ وهناك مسألة اهم من ذلك كله، وهي معرفة ما اذا كانت بقية العالم ستجني فائدة من طريقة نطق الفتاتين بالنسبة الى اصول اللغة وطريقة اكتسابها؟.

عندما ولدت التوأمتان غريسي وفرجينيا عام ١٩٧٠ في كولومبوس، جورجيا (الولايات المتحدة) وجد والداهما توم وكريس كينيدي صعوبة في تحمل العبء المالي الناجم عن اضافة طفلتين الى العائلة، فبقيت الطفلتان تتشاركان في كل شيء بما في ذلك مهدهما الصغير، ومرت ستة اشهر قبل حصول كل منهما على سرير مستقل حتى تمكن الوالدان من توفير بعض المال لشراء الاغراض اللازمة لهما.

وقد اصيبت فرجينيا يوم مولدها بتشنجات شديدة، وفي اليوم التالي عانت غريسي نوبة مرضية مماثلة. وأجرى الاطباء اختبارات للتحقق من وجود سائل متجمع على الدماغ، فجاءت النتائج سلبية، لكن التشنجات استمرت تعترض حياة البنتين طوال الاشهر الستة الأولى.

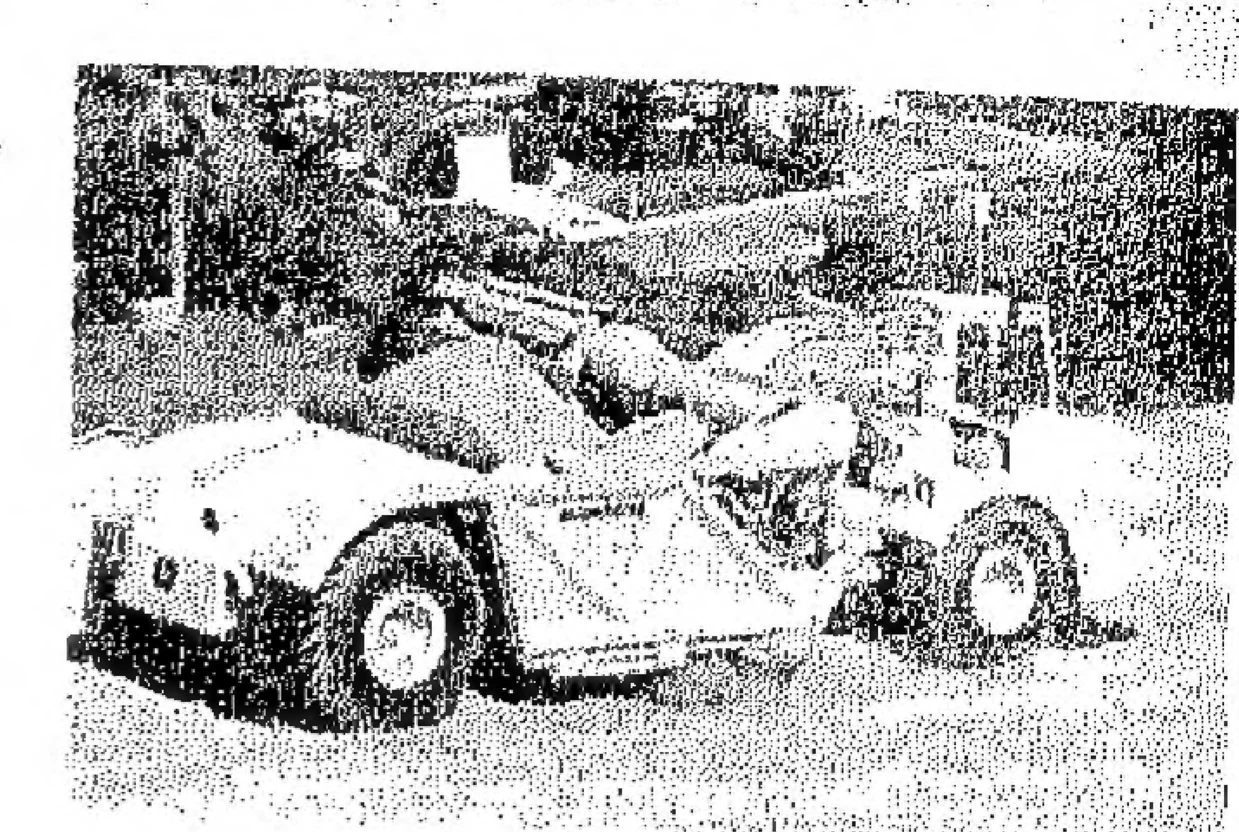
وعندما بلغت التوأمتان عامهما الأول تم فحصهما بمرسمة موجات الدماغ كشفا للعطب المحتمل فيه. وقال والدهما توم كينيدي: "كانت النتائج عادية غير ان الاطباء افادونا انه يتعذر عليهم التأكيد بنمو جيني وغريسي طبيعيا قبل السن الخامسة او السادسة".

وكان ذلك التحذير الطبي مغايرا مباشرة لتطور حال غريسي وجيني، ذلك ان توم وكريس ظلا يعتقدان، طوال تقدم ابنتيهما في السن، ان التوأمتين معوقتان عقليا، بل كثيرا ما استندا الى هذا الاحتمال في تفسير نمو البنتين البطيء.

عالم منكمش – وكان توم وكريس مضطرين الى التفرغ للعمل مما قضى على غريسي وجيني ان تمضيا وقتا طويلا مع جدتهما التي على رغم محبتها لهما وتلبية كل حاجاتهما المادية، قلما كانت تجد الوقت الكافي لمداعبتهما او لتعليمهما بعض المهارات او الالعاب او – وهو الاكثر اهمية – بضع كلمات، فكانت الايماءات وبعض الالفاظ المفردة هي الطريقة الوحيدة للاعراب عن رغباتهما للجدة.

ولما بلغت الفتاتان الثالثة من العمر ارتحلت عائلة كينيدي الى كاليفورنيا واقامت في حي تقطنه غالبية المواطنين المتقدمين في السن، ويقل فيه عدد الزملاء والزميلات في الالعاب، فاقتصرت الفتاتان على الاعتماد احداهما على الاخرى وتزايدت لديهما رغبة الانكماش والانفراد في عالم خاص بهما.

وفي هذه الاثناء، تمكنت غريسي وجيني من فهم ما كان يقوله والدهما، لكنهما لم تستعملا الا كلمات انكليزية قليلة. وكانت اول كلمة مفهومة نطقتا بها عندما كان عمرهما سبعة عشر شهرا، هي "بابا"



JD860-B الجديدة تتميز بمحرك اقوى وجهاز دفع للرافعة امتن

اصبحت الرافعة JD860-B تتميز بمحرك جديد يمكنه اعطاءك ١٠ احصنة اضافية و ٢٥ بالمئة اكثر من قوة دفع سابقاتها.

وتسهيلا لعمليات التحميل اصبح لدى JD860-B نظام تحريك للرافعة جديد واكثر متانة ويمكنها بفضل ثقل القطع وجمودها من قذف الاتربة بسهولة اكبر الى مؤخرة الرفش.

جون دير انتركوتيننتال ليمتد ش.م. - بولفار وولويه ٣٤، ص.ب ٤٤، ١٢٠٠ بروكسل، بلجيكا.

JOHN DEERE

ذو الحركة الدائمة **JOHN DEERE**

موزعون في مصر، الاردن، [illegible] السعودية، السودان، الإمارات العربية المتحدة.

و"ماما". ولم تعقب ذلك سوى كلمات قليلة مما ادى الى شعور والديهما بالسأم واليأس. وقالت والدتهما كريس: "لم نوفق الى حملهما على النطق في جمل، وبدا لنا ان النطق متعذر عليهما بسبب التشنجات التي تعتريهما وتحول دون اقبالهما على التعلم والنطق".

بيد انه عندما كانت الفتاتان وحدهما كانتا مليئتين بالحياة والنشاط وتلعبان طوال ساعات عدة وتتبادلان اطراف الحديث بطريقتهما الخاصة.

وقالت كريس: "كانت غريسي وجيني تتحدثان بسرعة غريبة. غير انني وتوم كنا نعتقد ان حديثهما كان لغو اطفال. وقد اكتشفنا انهما اصطنعتا اسما مستعارا لكل منهما، فكان اسم غريسي "بوتو" واسم جيني "كابنغو". ومع ذلك فلم ندرك ان بقية الحديث في ما بينهما كانت في الواقع شكلا من اشكال الاتصال، وان احداهما كانت قادرة على فهم ما تقوله الأخرى".

اللغة التوأمية ــ ولم يحاول والداهما مراجعة مركز النطق والسمع والحواس العصبية الا بعد ان بلغت الفتاتان السادسة والنصف من العمر. فلاحظتهما خبيرتا علم امراض النطق، اليكسا رومين وآن كوينكي وقررتا بعد فترة قصيرة من الاصغاء الى حديث التوأمتين ان ذلك الكلام قد يكون توأميا اي نوعا من المفردات الذاتية الازدواج. وتحدث هذه الظاهرة عندما يقدم توأمان او طفلان تربطهما صلة نسب وثيقة بعضهما على استنباط اسلوب خاص للتخاطب.

وما زال المتخصصون في علم اللغات يناقشون منذ زمن بعيد ما اذا كان الكلام المزدوج يعود الى اسباب بيولوجية ام بيئية. فثمة من يقول، من ناحية، ان التركيب العصبي لبعض التوائم يجعل اكتساب اللغة عملية أصعب لهم مما هي بالنسبة الى الاطفال الوحيدين، اما من الناحية الآخرى، فان بيئة التوائم تخلق تأثيرا خاصا يبدو انه لا يشجع على تعلم الحديث. فالتوأمان يقضيان معا عادة وقتا اطول مما يقضيه الاخوة والاخوات غير التوائم، وبذلك يحفز التوأم شقيقه التوأم الآخر على الاستمرار في العادة اللغوية الضعيفة. كذلك فان التوأمين يفهمان احدهما الآخر مهما يكن اسلوبهما ناقصا، وبالتالي فان حاجتهما الى ان يفهمهما الآخرون ليست، بمقدار حاجة غير التوائم او الاطفال الوحيدين. ولما كان يتوافر لدى التوائم غالبا امكان تسلية بعضهم البعض فانهم قلما يصرفون اوقاتهم في التمارين على المحادثة بالشكل الصحيح.

اما في حال غريسي وجيني كينيدي، فقد حددت لهما الخبيرتان في علم امراض النطق هدفين اثنين: الاول توثيق كلام الفتاتين بجمع مكتبة كبيرة من الاشرطة السمعية والبصرية، والثاني، مساعدة الفتاتين على تعلم الانكليزية.

وقد بدأت الخبيرتان عملهما بتصميم مجموعة من النشاطات تحفز الفتاتين على استعمال كلامهما التوأمي. وبعد العمل مع التوأمتين لمدة تزيد على العام الواحد، تمكنت

الخبيرتان من الكشف عن كثير من اسرار لغة الفتاتين، بما في ذلك: ان كلمة "جيمبا" تعني "كرافان" او "سيارة" وان "داين" تعني "قلم" وان "بنيت" تعني "انتهى".

يتوارد كلام التوأمتين بسرعة وبحدة تستغرق معهما عملية نسخ المسجل منه على الاشرطة وقتا طويلا. وربما استلزم الامر مدة ساعتين لتحليل عينة من خمس دقائق. غير ان خبراء اللغة يعتقدون ان صعوبات تحليل المحادثة الفريدة من نوعها جديرة بذلك الجهد. والحقيقة انه بعد ان تستوفى الاجوبة عن بقية الاسئلة في هذا الصدد، قد تتوافر لدى الخبراء في علم امراض النطق افضل الوثائق الموضوعة اطلاقا عن الكلام التوأمي حتى الآن.

وفي هذه الاثناء تزايد كثيرا مجموع المفردات الانكليزية التي تستخدمها التوأمتان وبدأتا تتعلمان في مدرسة نظامية قواعد اللغة وتركيب الجمل والنسق اللفظي. وهما الحقتا بصفين منفصلين لتشجيعهما على اللعب والحديث مع التلميذات الأخريات.

وكان من المنتظر للتوأمتين، بفضل ما تبديانه من نباهة وتجاوب، ان تزول اسباب استصعابهما لتعلم الانكليزية وان تتطور لغتهما التوأمية. لكن النتيجة الواقعية لم تتحقق تماما حسب المنتظر. نعم، هناك اجوبة محتملة في شأن هذا الموضوع ولكنها غير قاطعة.

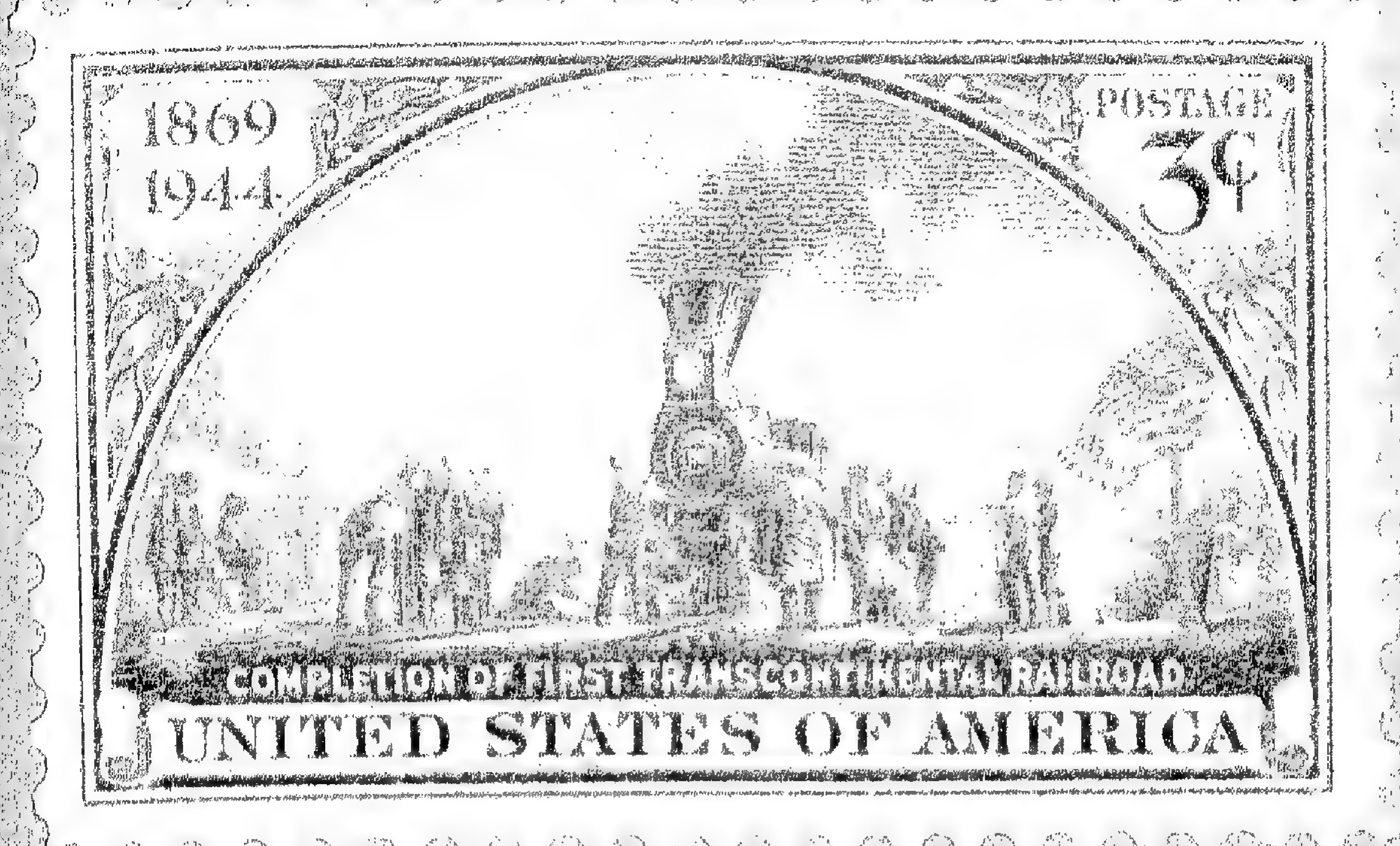
وتقول اليكسا رومين في هذا الصدد: "لا نستطيع استبعاد وجود عطب في الجهاز العصبي لدى التوأمتين، الا ان التشنجات لا تحصل في كل حال من حالات الكلام التوأمي. ونعتقد عموما ان التوأمتين معوقتان في تنسيق الحركات والنطق بسبب افتقارهما الى حافز".

وانتظمت غريسي وجيني على متابعة جلسات علاجية يومين في الاسبوع بعد دوامهما المدرسي. ولم يكن الغرض من هذه الجلسات مقتصرا على تمكين الفتاتين من الطلاقة في الانكليزية، بل كان المقصود ايضا تنمية شعورهما بالجدارة والكفاية وثقتهما في النفس. ويؤكد الخبراء في امراض النطق انه ينبغي للتوأمتين ان تنموا مقتنعتين بان لغتهما التوأمية هي شيء "خاص" وليست امرا "مستغربا".

وفي غضون ذلك، بقي العالم المكتوم الذي يكتنف غريسي وجيني مقفلا للآخرين، لان الفتاتين لا تتحدثان الى الآخرين بلغتهما التوأمية. وتقول اليكسا رومين: "وعندما نحاول تقليد لغتهما والتحدث اليهما فيها، فانهما تنظران الينا وكأنهما امام مجانين. فهي لغة خاصة بهما ومقصورة على كلتيهما دون اي شخص آخر".

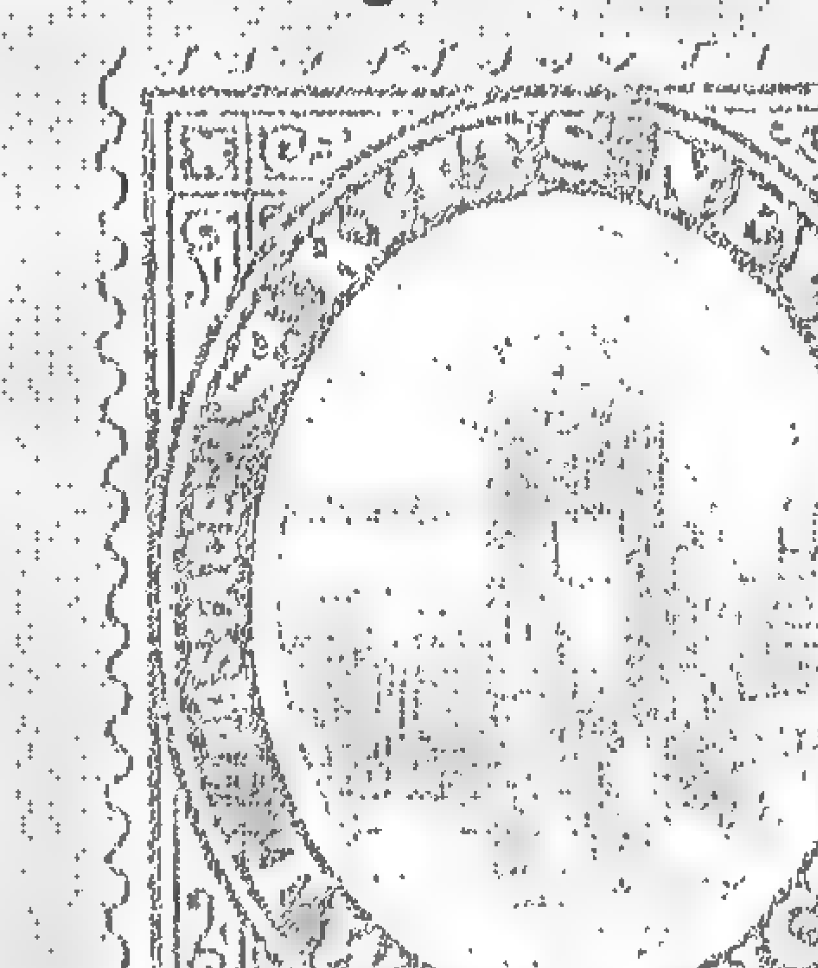
وعلى اي حال، فقد تتمكن غريسي وجيني في يوم من الأيام بعد مشاهدتهما بعض الافلام عنهما وهما تتحدثان معا، من اطلاع الآخرين على ما كانتا تقولان، فتفتحان بذلك باب عالمهما السري على مصراعيه، اسوة بما فعلت اليس بطلة المغامرات في بلاد العجائب عندما راحت تقص حكاية تلك البلاد التي وراء المرآة.

■ دايان اوبراين



١ – الولايات المتحدة الامريكية (لم يصحح اطلاقا)

٢ – سانت كيتس نيفيس ١٩٠٣:
كريستوفر كولومبس
يتطلع الى اليابسة
(لم تصحح اطلاقا).



الطوابع البريدية تمتحن ذكاءك

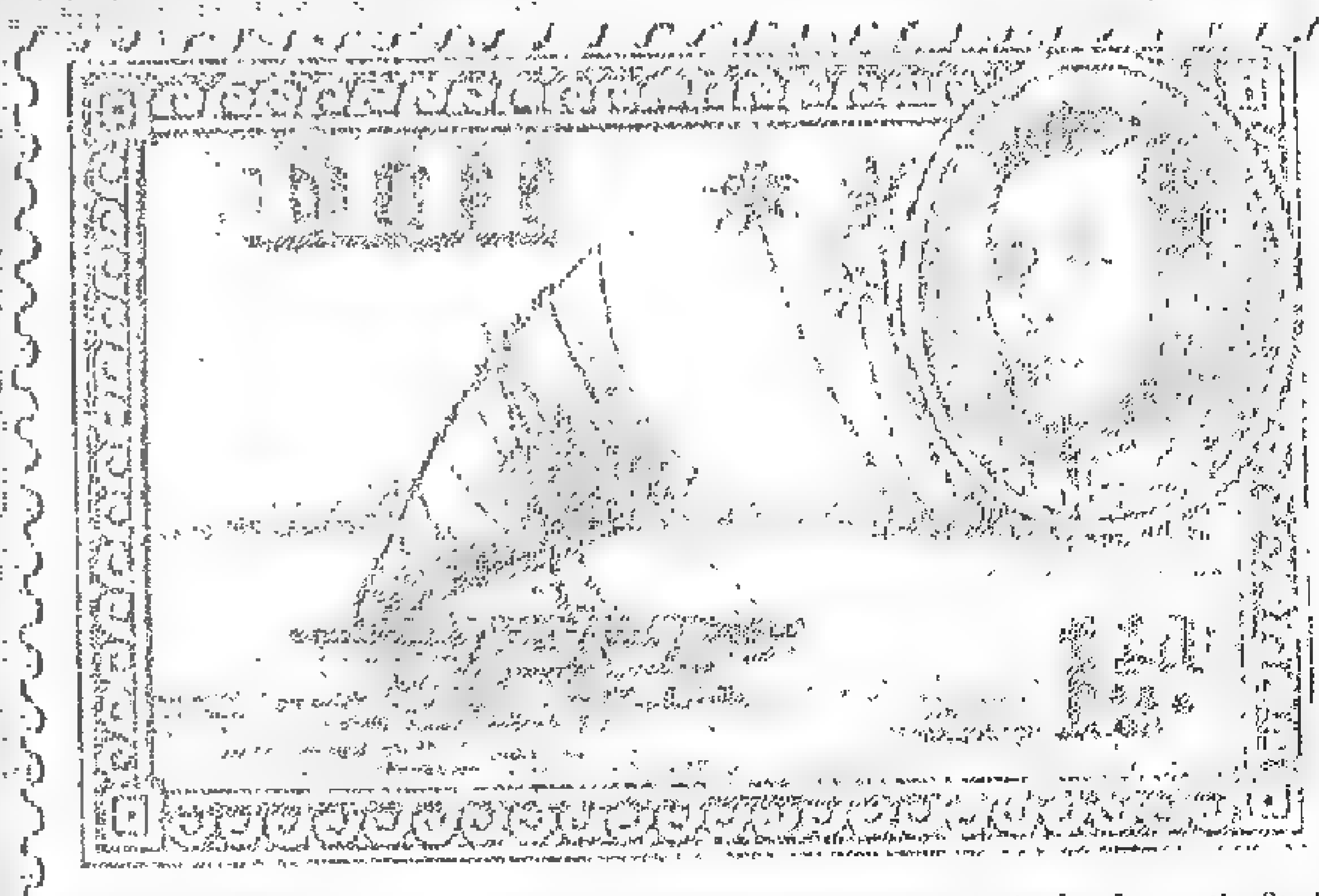
هنا عينات من طوابع بريدية صدرت في مختلف انحاء العالم، وتشكو كل منها من خطأ واقعي – علمي، او تاريخي، او لغوي، الخ..

في بعض الحالات، صحح الخطأ لمناسبة اصدار مضبوط للطابع المعني، واما في بعض الحالات الاخرى، فلم يسلم بوجود أي خطأ.

فهل يمكنك ان تجد اين هو الخطأ في كل من هذه الحالات؟

● مقتبس من "العاب" ايرا زويفاخ

٣ – فيجي: جزر فيجي ١٩٣٨ (اصدار مصحح، ١٩٤٠).

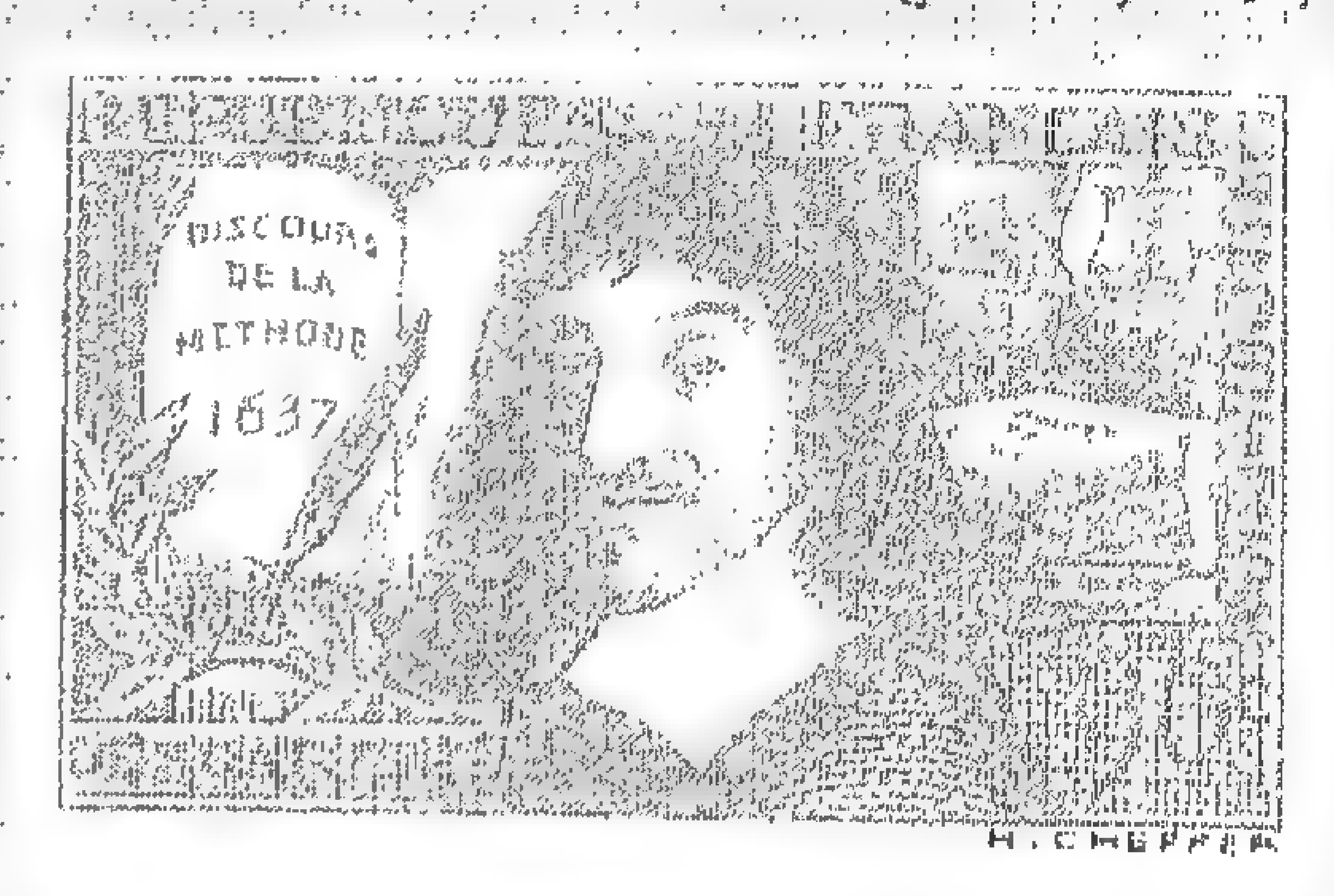




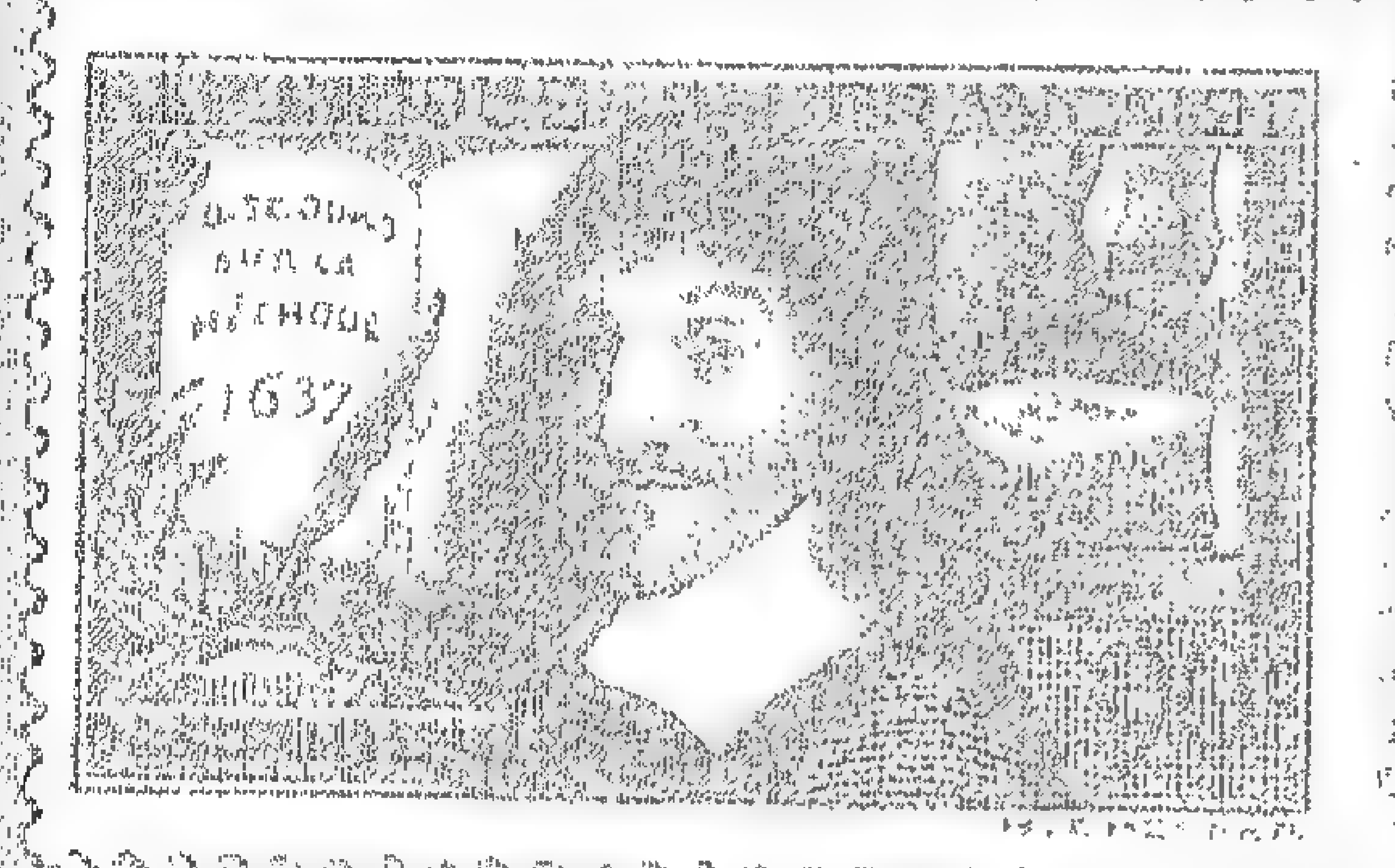
٤ - جمهورية المانيا الشرقية يوليو (تموز) ١٩٥٦



(الاصدار المصحح: اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦)



٥ - فرنسا ١٩٣٧: "مقالة المنهج" لديكارت ١٦٣٧



فرنسا ١٩٣٧: "مقالة عن المنهج" لديكارت ١٦٣٧

٦ - الهند ١٩١٩:
١/٢ انّا





الاصدار المصحح
١٩٢١:
١/٢ أنّاس

٧ - موناكو ١٩٤٧: (لم تصحح اطلاقا)

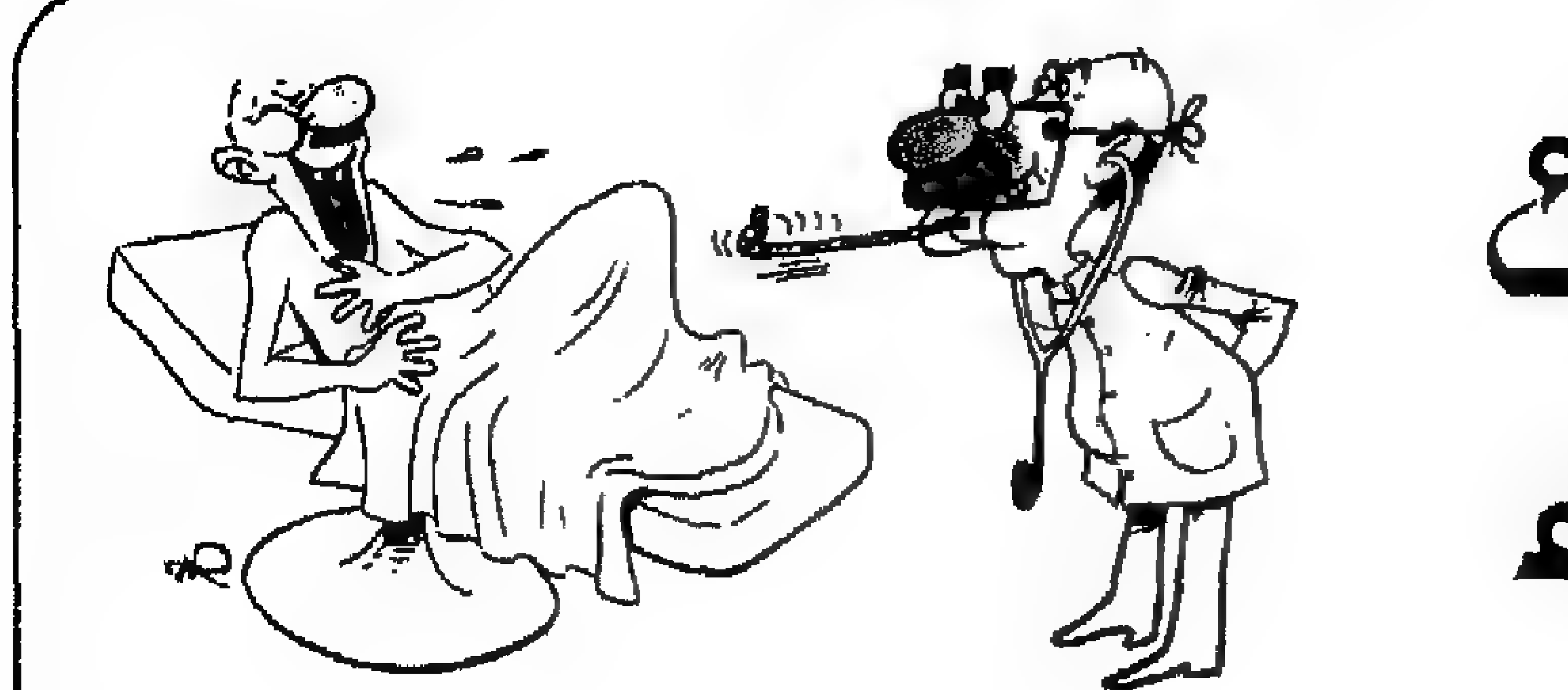


٨ - المملكة العربية السعودية ١٩٤٩ (لم تصحح اطلاقا)



(الاجوبة ص ٤٧)

الضحك خير دواء



عذوبة العازب

توجه يوما شاب اعزب وشحيح العطاء الى مطعمه المفضل لتناول وجبة الغداء، وكانت الفتاة القائمة على خدمة الزبائن تعمل للمرة الأولى في ذلك المطعم، فترك لها الشاب ثلاثة قروش بقشيشا قبل ان ينصرف. ثم جاء في اليوم التالي، فشكرته لفرط "سخائه" واضافت ان في أمكانها ان تستكشف عادة طوايا الزبون من طريقة عطائه. فقال الشاب:

– وماذا عساك ان تعلميني عن نفسي.

فاجابت: لقد وضعت ثلاثة قروش في شكل متقن مرتب، مما يفيد انك شاب منهجي للغاية: فالقرش الاول يعني لي انك مقتصد، والثاني يدل على انك اعزب.

فقاطعها، قائلا: هذا صحيح، ولكن ماذا يعني لك القرش الثالث ؟

فقالت: يعني لي ان أباك كان هو أعزب أيضاً.

الحاجة غير المتبادلة

عندما كنت اعمل في الفليبين كنت، اشتري البيض من رجل ريفي يعيش على بعد ٨ كيلومترات من المدينة. وكان يسلمني البيض عادة في منزلي، غير انني كنت ازور مزرعته بعض الاحيان وانتهز الفرصة لشراء بعض البيض وتبادل الحديث. وكنت الاحظ ان ثمن البيض عندما اشتريه مباشرة "من المزرعة، كان يزيد دائما على سعره عندما كان المزارع ينقله الى منزلي البعيد عنه ٨ كيلومترات، فسألت المزارع يوما ان يفسر لي هذا الامر، فقال: "هذا بسيط ومنطقي، يا سيدي. انك عندما تأتي الى مزرعتي، فذلك يعني انك في حاجة الى البيض، واما عندما اجيء انا الى منزلك، فذلك يعني انني في حاجة الى المال".

د.هـ.س.

لعبة حظ

كان طالب يكتب امتحانا يقتضي وضع إشارة الصواب أو الخطأ أمام كل جملة. وكان ينقر قطعة نقود في الهواء وينتظر حتى تسقط على الطاولة أمامه قبل وضع الاشارة. فتقدّم الاستاذ منه وسأله عما يفعل. فقال: "إذا وقعت قطعة النقود على رأسها كانت الجملة صحيحة، وإذا وقعت على ذيلها كانت مخطئة".

ولدى انتهاء فترة الامتحان شرع الاستاذ في جمع الأوراق، وكان الطالب نفسه ينقر قطعة النقود. عندئذ سأله: "وماذا تفعل الآن؟" فأجاب: "احاول التحقق من صحة الأجوبة".

ج.هـ.

في البدء...

الطبيب النفساني: "لم أعرف مشكلتك بعد. فهل لك ان تبدأ من البدء؟"

المريض: "في البدء خلقت السموات والأرض..."

خفّفوا الطلبة

في عهد الجنرال فرنكو في اسبانيا، لبضع سنوات مضت، نظم الطلاب تظاهرة صاخبة امام السفارة البريطانية مطالبين باستعادة جبل طارق. وعندما وصلت طلائعهم الى مبنى السفارة، تلقى السفير نداء تلفونيا من احد وزراء الكوديليو يقول له: "انني آسف جدا يا سعادة السفير، لان اعلم الآن بما يجري أمام سفارتكم. فهل الموقف يدعو الى القلق؟ وهل تريدونني ان اوافيكم برجال الشرطة؟".

فأجاب السفير: "ارجوكم الا تزعجوا انفسكم بارسال مزيد من الشرطة، وانما تفضلوا بايفاد عدد اقل من الطلبة".

ش.ر.

بائع السراب

تملك الظمأ رجلا يجتاز الصحراء. وبينما كان تائهاً بين الرمال اللاهبة صادف تاجراً حاول ان يبيعه ربطة للعنق. فقال له الرجل الظمىء: "انك مجنون، دون شك، فانني اكاد ان اموت عطشا وانت تعرض علي ربطة للعنق".

فهز التاجر كتفيه من دون اكتراث وتابع مسيره. وعند الأصيل بلغ الرجل العطش مكاناً ساطعاً بالاضواء ومن حوله موقف مكتظ بالسيارات، فكاد لا يصدّق نظره، فاقترب من المدخل واذا به يرى جماعة من الناس يحيون حفلة عامرة بالاكل والشراب، فتوسل الى الحارس ان يعطيه جرعة من الماء، قبل ان ينهار ارضا من الظمأ. فرد الحارس: "انني آسف، لان الدخول محظور على من ليس لديه ربطة للعنق".

ا.ت.

الامهات لسن نساء

تأخرت والدة احد الطلاب مرة في زيارة ابنها في مدرسته الداخلية فدعاها احد الاساتذة الى غرفته لتناول القهوة بعد العشاء، وكان الحديث لطيفا وشيقاً ومضى الوقت سراعا، فخشيت السيدة ان تكون خرقت النظام الصارم الذي يتبعه المعهد بمنعه النساء من زيارة مساكن الرجال بعد ساعة معينة من الليل، واخذت تلقي نظرات عجلى متكررة على ساعتها.

فطمأنها الاستاذ بقوله: "لا تجزعي، فنحن لا نعتبر الامهات بمثابة نساء".

ن.د.

لا تزعجوا الاشباح

من المعروف عن مجلس اللوردات الانكليزي ان مناقشاته تتسم عادة بالهدوء والاتزان، غير ان المجادلة فيه قد احتدت يوما حول معرفة ما اذا كان ينبغي لاعضائه الجدد ان ينحنوا احتراما ثلاث مرات حسب العرف المتبع منذ العام ١٦٢١، ام ان مرة واحدة تكفي. فقرر المجلس في النهاية ان يحافظ على تقليد الانحناءات الثلاث، متأثرا بتصريح اللورد كودليب: "اذا ما نحن عبثنا بالتقاليد الرسمية وتلاعبنا بالشكليات، فاننا ولا شك سنعكر بذلك صفو حشد كبير من الاشباح".

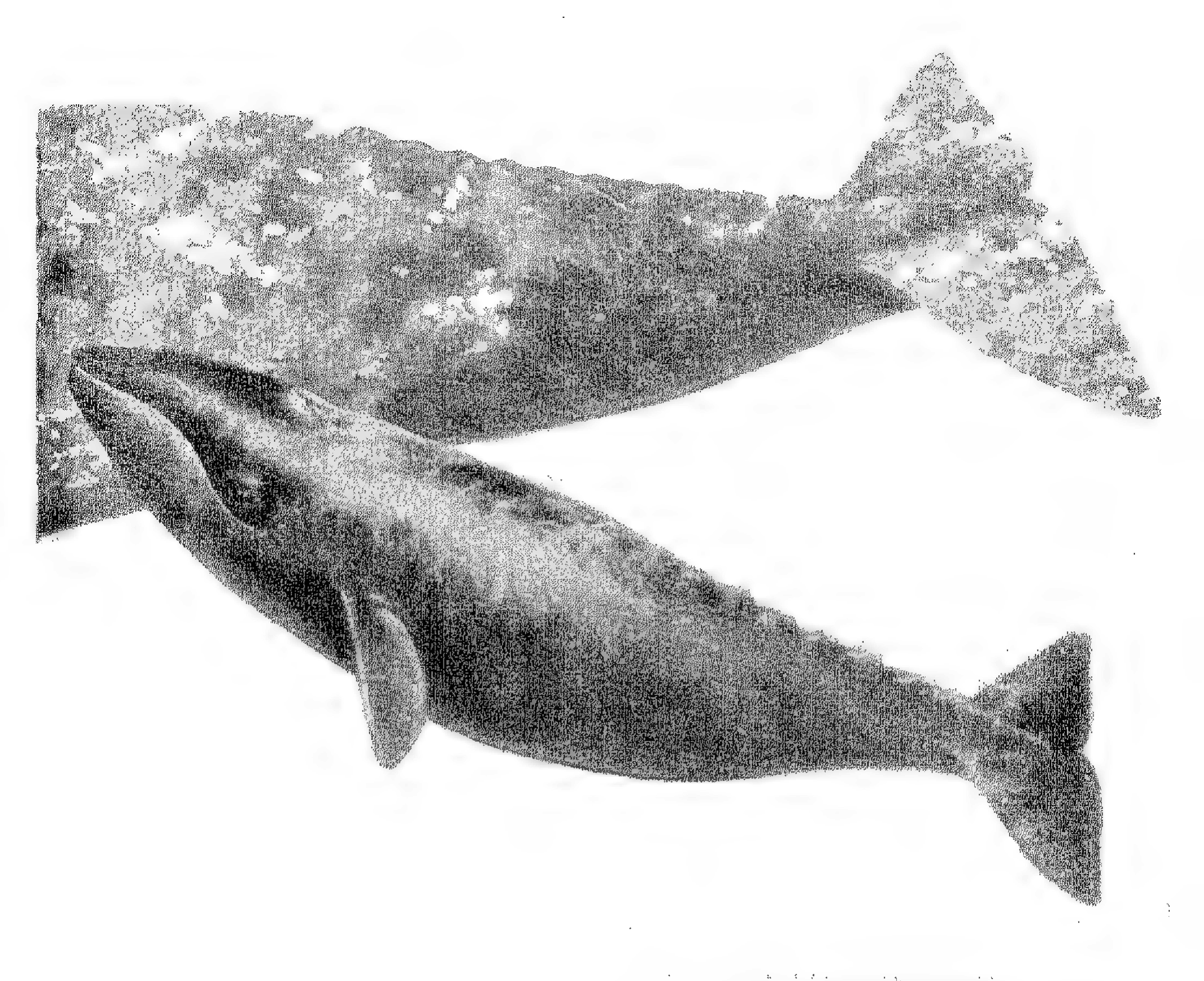
(صحيفة "ميلووكي")

الموسيقي الدعيّ

بعدما جمع تاجر ألبسة ثروة طائلة من تجارته، قرّر أن يعتزل المهنة لكي يحقق حلماً كان يراوده بالحاح، وهو ان يصبح قائد فرقة موسيقية. وهكذا استقدم ناقر طبل ونافخ مزمار و٣٣ عازف كمان. وخلال التمرين الأول كانت قيادة التاجر من الضعف بحيث طلب ناقر الطبل الى زملائه ترك الفرقة. فأجابه عازف الكمان: "لماذا نتركه وهو يدفع لنا جيداً؟ ثم انه لا بد من ان يعرف شيئاً ما عن الموسيقى".

وحين استأنفوا العزف، لم يتمكن القائد من الحفاظ على الوقت. فاشتد غضب الطبال وأخذ ينقر في حدة بالغة. عندئذ أمرهم القائد بالتوقف عن العزف، ونظر فيهم قائلا: "من الذي احدث ذلك التشويش؟".

(مجلة "العالم المضحك")



تفجرت الاعماق في بحيرة سان اغناسيو على بضع مئات الامتار من قاربنا الصغير الذي كان يقلنا نحن الاربعة، واذ بالماء ينحسر عن حوت هائل لا يقل طوله عن ١٢ مترا ويناهز ارتفاعه علو مبنى من ثلاث طبقات. وراح الحوت يثب ويتقلب بجثته الضخمة ببطء واناة، ويرتفع في الهواء فيتدلى برهة ثم يهوي بثقله الكبير على الماء فيستجيب لسقوطه بوقع مروع. وكانت وثبة الحوت بالنسبة الينا مشهدا من اروع مشاهد الحياة البرية في العالم، اذ تتلاقى الوف الحيتان الرمادية في اجتماعها السنوي في البحيرات الضحلة في شبه جزيرة باخا.

قال هيرمان ملفيل في وصف هذه الحيتان الكبرى انها مثقلة بـ"النذر



والاسرار". ولا يزال هذا الوصف صادقا حتى اليوم بالنسبة الى معظم الناس. غير ان حيتان كاليفورنيا الرمادية تقضي جزءا كبيرا من حياتها في المياه الضحلة على مقربة من اليابسة، مما يتيح دراستها بالتفصيل، وان تكن بعض جوانب سلوكها غير معروفة بالضبط، الا ان علماء الحياة البحرية يعرفون ما يكفي لتأكيد كون الحوت الرمادي حيوانا رائعا وخليقا بالاهتمام.

فهو يعد من الحيتان المتوسطة الحجم، اذ لا يزيد طوله على ١٥ مترا. وهو هزيل عموما ويشبه السيجار من حيث الشكل، وله رأس صغير يتوسطه الفم فيقسمه باحكام الى نصفين. اما لون الجسم فهو اسود فعلا، لكنه مرقش ببقع بيضاء عريضة غير منتظمة يبدو معها كأنه رمادي من مسافة بعيدة.

عائلتان من الحيتان - ومن الممكن تصنيف جميع الحيتان مجموعتين، اولاهما الحيتان المسننة التي تمثل الحيتان العنبرية والدرفيل وخنزير البحر وتتغذى على الاسماك الكبيرة والحباري، مستخدمة في ذلك صفوف

اسنانها الحادة. والثانية الحيتان البلينية التي تشمل الحيتان الزرقاء والحيتان المزعنفة والحيتان الحدباء، وهي تتميز بستائر من صفائح عظمية فكية تستخدمها في عصر طعامها وتصفيته من الماء المحيط بها. ويعتبر الحوت الرمادي اقرب الحيتان البلينية الى المرحلة البدائية، ولعله يمثل تلك المرحلة من التطور التي تم فيها الانقسام الى مجموعتين.

على ان الحيتان الرمادية تبدأ استعدادها للاشتراك في اجتماعها السنوي في بحيرات باخا قبل موعد هذا الاجتماع بستة اشهر، وذلك في مياه القطب الشمالي الباردة التي تبعد ١٠،٠٠٠ كيلومتر عن البحيرات. وتجد الحيتان مراعي خصبة لها في منطقة مضيق بيرينغ الغنية بالغذاء، فتتفرغ فيها الحيتان الرمادية تفرغا تاما للاكل.

والتغذية لدى هذه الحيتان تشتمل على بضع حيل جديرة بالملاحظة. فهي عندما تغطس توقف بعض وظائفها الجسمية توفيرا للاوكسيجين بحيث ان القلب، مثلا، يتباطأ في ايقاع دقاته. ويتكون طعام الحيتان من مركزات الحيوان القشري الذي يسمى "مزدوج الارجل"، وهو يسكن قاع البحر ويشبه الجمبري (القريدس)، ويبلغ طوله ٢٥ مليمترا. وهناك اعداد كبيرة من هذا الحيوان ترعى في المياه الضحلة في القطب الشمالي.

فعندما تتناول الحيتان طعامها تمتص جرعات هائلة من الماء والوحل، ثم تستعين بالسنتها الضخمة في بصق الماء والوحل الى الخارج عن طريق عظام الفك، وتحتجز بذلك مقادير كبيرة من مزدوج الارجل. فاذا ما صعدت الحيتان الى السطح زفرت الهواء المثقل بالرطوبة من رئاتها بتدفق غزير يصل ارتفاعه الى اربعة امتار ونصف متر، ويسمع صوت اندفاعه الانفجاري على بعد مئات الامتار.

ها نحن الان في وسط بحيرة سان اغناسيو، ومن حولنا عشرات الحيتان التي تنفخ عاصفة في جميع الاتجاهات. وثمة حوت طفل يبلغ طوله حوالي عشرة امتار ونصف متر، راح ينزلق تحت زورقنا، في بطء متعمد، فاذا بفصي ذنبه الهائلين يموجان من تحتنا وعرض كل منهما يساوي ثلثي طول مركبنا الصغير.

وبعد انتهاء فترة الاكل التي تستمر اربعة اشهر، من منتصف يونيو (حزيران) حتى منتصف اكتوبر (تشرين الاول)، تتأهب الحيتان الرمادية لهجرتها السنوية - وهي اطول هجرة يقوم بها حيوان ثديي - التي تمتد من بحار القطب الشمالي حتى البحيرات الساحلية لشبه جزيرة باخا وبالعكس، والتي يبلغ طول دورتها ١٩،٠٠٠ كيلومتر. وتظل الحيتان في اثنائها صائمة لا تقتات، لثمانية اشهر تقريبا، سوى الشحم الراسب في اجسامها وما اختزنته من طعام في طبقاتها الدهنية.

ولا بد للحيتان من ان تغادر المناطق القطبية قبل ان تتجمد، والا ماتت صغارها التي تولد وليس لها طبقة واقية من الشحم وبالتالي فان

بقاء هذا النوع بكامله يتوقف على وصول الاناث الحوامل الى بحيرات باخا الدافئة في حلول يناير (كانون الثاني) او فبراير (شباط)، وهو الوقت الذي تولد فيه اغلبية الحيتان.

ويبدو ان مجتمع الحيتان الرمادية - والذي يبلغ تعداده باسره قرابة ١٢،٠٠٠ حوت - يعرف بالغريزة متى تقتضي عليه مغادرة المناطق القطبية. وعندئذ تنهمك الاناث الحوامل بالرحيل، فتتقدم الركب حريصة على الاسراع في المسير وعدم التلكؤ اطلاقا في اثناء الرحلة. وتليها الحيتان الذكور والاناث غير الحوامل، وكثيرا ما تتوقف هذه وتتغازل. وفي الاخير يأتي الصغار الذين ولدوا في العام السابق، والذين يتوجهون شطر الجنوب للمرة الاولى ويجهلون الطريق.

وعندما تسبح الحيتان الرمادية فانها تضرب الماء بفصوص ذيولها صعودا ونزولا، فتندفع بذلك الى الامام، وتستخدم زعانفها الامامية الغليظة كمجاذيف لادارة دفة السير. وهي تستطيع على هذا النحو ان تتقدم بسرعة سبعة كيلومترات وربع كيلومتر في الساعة، وان تقطع قرابة ١٤٥ كيلومترا في اليوم الواحد خلال فترة الشهرين ونصف الشهر التي تستغرقها الرحلة، في محاذاة الشاطىء الذي لا تبعد عنه احيانا اكثر من بضع مئات من الامتار، وكأنها تستعد لمهرجانها الدافىء في باخا، فتمر على التوالي، منذ اواخر ديسمبر (كانون الاول) حتى اوائل فبراير (شباط)، في عرض لوس انجلوس وسان دييغو، حيث يتزاحم على الشاطىء عشرات الالوف من المتفرجين او يبحرون في زوارقهم لمشاهدة موكب الحيتان وقد انطلقت نوافيرها بالمياه المتدفقة.

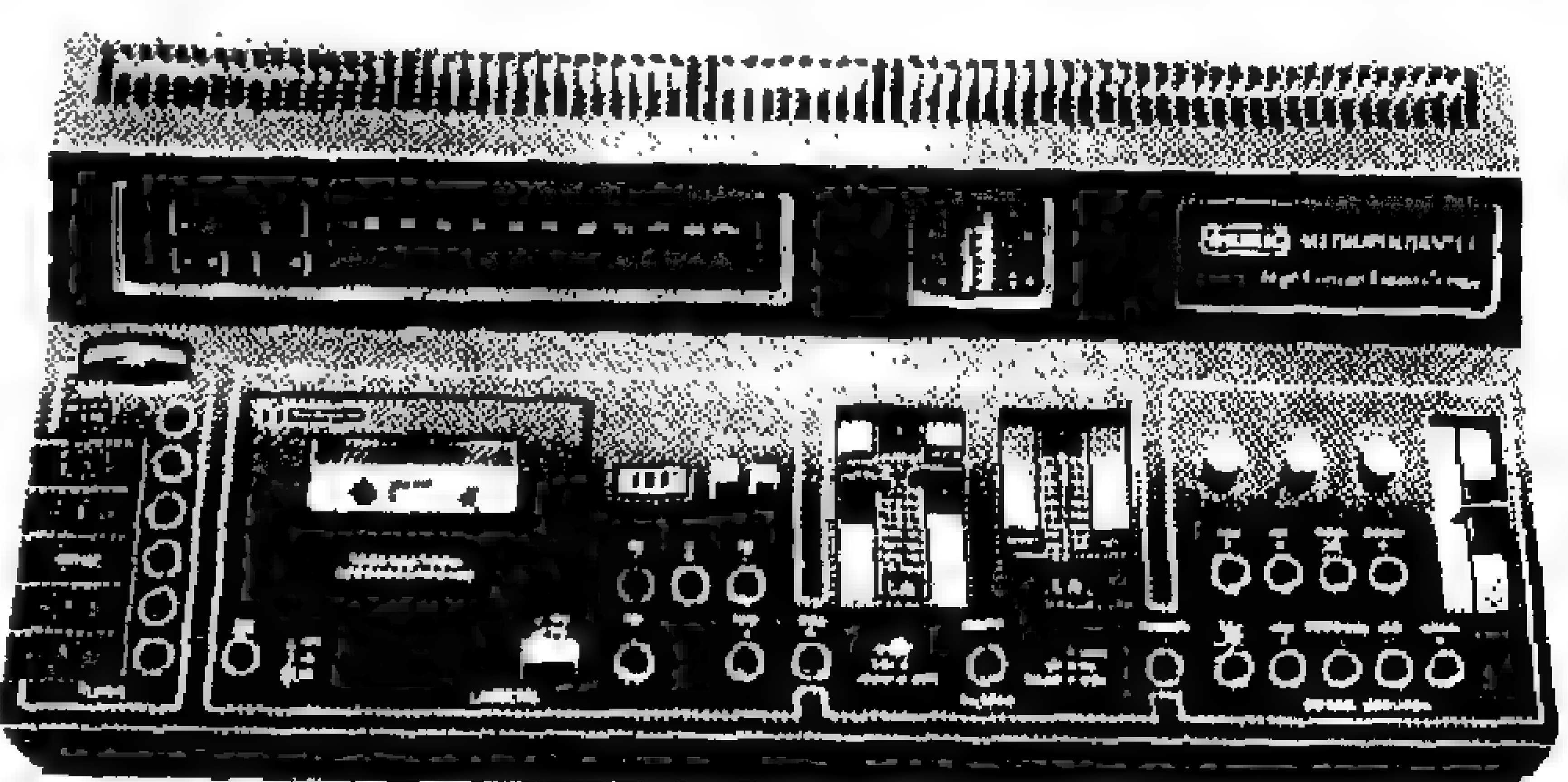
طقوس الزواج والتربية - وفي كل شتاء تلتقي الحيتان الرمادية، شأنها منذ الوف السنين، للتزاوج وتلد في البحيرات المنعزلة لشبه جزيرة باخا. وتستمر فترة الحمل ١٣ شهرا، ثم ترضع انثى الحوت وليدها لفترة تراوح بين ستة اشهر وثمانية اشهر. وتعود في الشتاء التالي الى البحيرات حيث تحمل مرة اخرى.

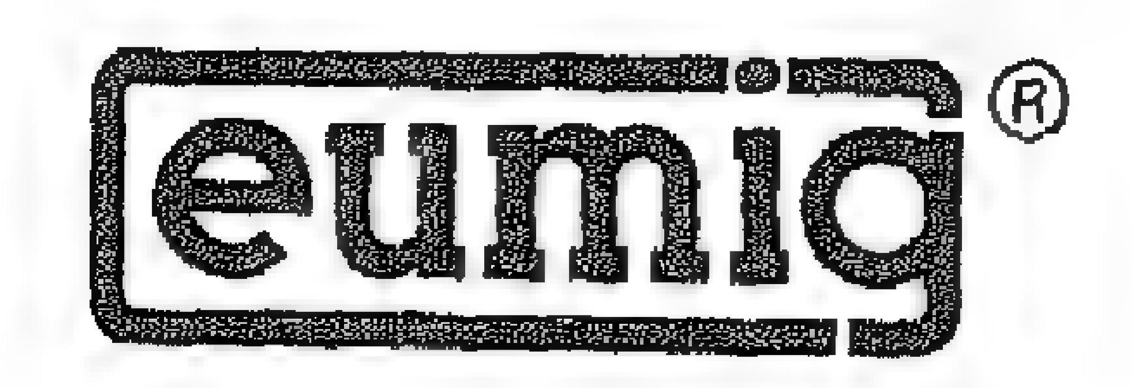
وعندما وقف قاربنا الصغير على بعد ١٢ مترا من الحيتان، اخذنا نشاهد الطقوس التي تتبعها عند التآلف، وهو مشهد فريد يتميز باللياقة، والحشمة. فالذي يحدث هو ان حوتين ذكرين يطاردان احدى الاناث، لكن الفوز يقتصر في النهاية على احدهما.

والواقع ان عدد الذكور اللائقين يفوق دائما عدد الاناث غير الحوامل بمقدار ضعفين تقريبا. لكن الذكور لا تتصارع على ذلك. وهي وجدت حلا عادلا غاية العدل عن طريق النظام الثلاثي، يندر ان يطبق في العالم الطبيعي. فالتغازل،يبدأ بان يطارد سبعة ذكور انثى واحدة. لكن الحيتان السبعة تتخلى عن المطاردة واحداً بعد الاخر حتى يخلو المجال لحوتين اثنين. وعندئذ يبدأ الذكران والانثى لعبهم الجنسي حتى يتمكن احد الذكرين - وهو في العادة اضخمهما - من الاتصال بالانثى، بينما ينصرف

النجاح يولّد النجاح

ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ،
واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ،
وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ،
وانطلاقا من ذلك، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء
صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ،
هذا، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض، فان *eumig*
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في"، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية ، فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ، وان *eumig*
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة، وبالتالي فان *eumig* مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ، ومن
الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنية،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ،
وبأن سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ،





الذكر الاخر متطلعا الى حظ افضل مع انثى اخرى·

وما ان يحل شهر فبراير (شباط) حتى تكون اغلبية الحيتان قد وصلت الى البحيرات الشاطئية لشبه جزيرة باخا· وعندئذ تتجه الاناث الحوامل الى مناطق الحضانة، وهي مناطق ضحلة دافئة وآمنة· فمتى حان وقت الولادة، انفردت انثى الحوت بوليدها· وقد يحدث في الاشهر التالية ان ترافق الام وطفلها احدى الاناث الاخريات··

والحوت الرمادي الطفل يستطيع السباحة فور انطلاقه من بطن امه· ويراوح طوله عندئذ بين ٤،٢٥ امترا و٥ امتار، كما يراوح وزنه بين ٧٠٠ و ١٤٠٠ كيلو غرام، وهوعند الولادة يتمتع بشهية هائلة تستلزم من الام ان تدر مقادير ضخمة من الحليب الغني بالدهن (تصل نسبة الدهن فيه الى ٤٠ في المئة)· وما ان ينصرم العام الاول حتى يكون وزن الحوت الرضيع تضاعف تقريبا·

ويبدأ الرضيع تدربه في البحيرة فيتعلم كيف يكتشف المسالك المؤدية الى عرض البحر وكيف يتحاشى الحواجز الرملية· وتظل الام وطفلها يسبحان معا لمدة شهرين في المسالك الى ان يحقق الطفل درجة كافية من النضج تمكنه من ان يصحب امه الى المراعي الصيفية في الشمال· وتتولى الام تغذية طفلها على فترات متقاربة، وهي عندئذ تداعبه برفق بزعنفتها الامامية، وكثيرا ما تحمله على ظهرها·

وبلغنا عند الاصيل منطقة في مواجهة روكي بوينت، فشاهدنا حوتا انثى وطفلها يلعبان على سطح الماء· وقررنا ان نسمي هذه اللعبة "لعبة النفخ والوثب". وفيها الام تغطس وتنفخ، فينجم عن ذلك تيار من الفقاقيع تحت طفلها· فيتقلب هذا جذلا في الماء الفوار، وعندئذ تضع الام انفها تحته وتديره برفق في احتدام الامواج·

والحيتان الرمادية تبدو مسالمة الى حد بعيد· بيد انها اشتهرت بين الصيادين في القرن الماضي بانها حيوانات رهيبة، اطلقوا عليها اسم "سمك الشيطان" ووصفوها بانها عنيدة، "صلبة الرأس"·· وليس هناك من انواع الحيتان ما يفوق الحيتان الرمادية شراسة في دفاعها الرهيب عن صغارها وفي انزالها الخراب بالسفن والهلاك بالرجال الذين يطاردونها·

غير ان الفوز في النهاية كان نصيب الصيادين الذين اودوا بالحيتان الرمادية الى حافة الانقراض· فقد قدر عدد الحيتان الرمادية في العام ١٨٥٣ بثلاثين الفا· وتوقف صيدها في نهاية القرن التاسع عشر، بعد ٤٠ عاما تعرضت فيها لما يشبه المجازر· وبحلول عام ١٩٢٥، استعاد مجتمع الحيتان الرمادية شيئا من قوته واستأنف الصيادون هجماتهم الفتاكة· وتعرض هذا النوع من جديد لخطر الانقراض، ولم يبق منه سوى بضع مئات·

الا ان الحيتان الرمادية لم تلبث ان استردت شيئا من عنفوانها العددي مرة اخرى على اثر الاتفاق العالمي في ١٩٣٧ لحظر الصيد للاغراض

التجارية. وليس هناك ادنى شك في ان هذه الحيتان ذاتها، اذا ما هوجمت، سترد على العدوان بالضراوة التي ابدتها في القرن الماضي، كما يشهد على ذلك سكان سيبيريا والاسكا من الاسكيمو الذين يسمح لهم القانون حتى الان بصيد الحيتان الرمادية طلبا للطعام. فهم يعتبرون هذه الحيونات شديدة الخطر للغاية، وانها تبادر دائما الى مهاجمة السفن والصيادين.

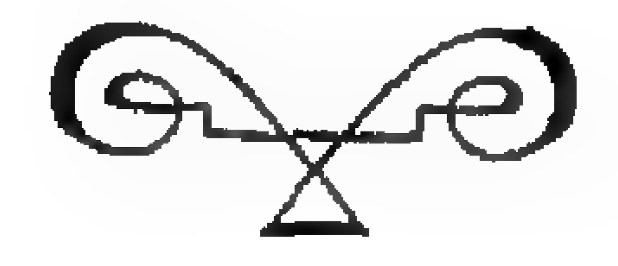
صداقة مستجدة - لكن الحيتان الرمادية في بحيرات باخا لم تتهدد في السنوات الاخيرة بأي خطر، ومن ثم صارت تتقبل اساطيل الزوارق الصغيرة التي تفد بالراغبين في مشاهدتها. بل انها اصبحت تقترب من الزوارق وركابها مع مرور الوقت. فقد حدث في بحيرة سان اغناسيو في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٧٦ ان اقتربت حوت انثى طولها تسعة امتار من زورق مطاطي خال من الركاب وتفحصته باناة وحذر واحتكت بمؤخره ثم ادرجت انفها ببطء من تحته ورفعته برفق وادارته رأسا على عقب. وبعد ذلك استلقت بهدوء وامان في محاذاة مركب آخر واتاحت لركابه المشدوهين ان يدلكوا بنعومة ظهرها ورأسها وشفتيها.

ومنذ ذلك الوقت تعددت لقاءات المودة بين المشاهدين والحيتان وزادت بنسبة مذهلة. وكان من شأن هذه التجارب انها ابرزت قلة فهم الانسان لحقيقة هذه الحيوانات الرائعة، كما دلت على ضرورة حمايتها وحماية بقية الحيتان من ضروب الاستغلال.

وفجأة غيرت الحوت الانثى وطفلها اتجاه مسارهما واقتربا من زورقنا الصغير. وأدهشنا ما رأيناه منهما من رقة وما ابدياه من عناية في الالتفاف من حول الزورق.

ثم ارتفعا ببطء واتزان حتى اقتربا الى بضعة سنتيمترات من ايدينا الممدودة. ولم يلبثا بعد لحظة من التردد ان لامساها بلطف وايناس، وعيونهما شاخصة الينا.

■ جيمس سيمونز



"المنسيون"

آقيمت مأدبة عشاء في هوليوود على شرف احد المبرزين، فالقى فيها المسرحي ريد بوتونز كلمة حول المبرر لاقامة الحفلة، فقال: "ما الداعي الذي يحملنا على احياء هذه الوليمة لهذا الرجل، بينما لم تقم اي وليمة على شرف اكبر مشاهير التاريخ العالمي، من امثال: بونس دي ليون، اول رجل ذهب الى فلوريدا من دون زوجته، وحواء التي انفجرت سخطا على آدم لدى ملاحظته لها ان ولديه لا يشبهانه وزوجة نوح التي قالت له بعد انقضاء اربعين يوما واربعين ليلة: لقد جاء دورك الآن في تنظيف البيت. وجورج واشنطن الذي قال لوالده: "تريدني ان امتنع اطلاقا عن الكذب، فكيف تريدني ان اصبح رئيساً".

أمريكي واحد و ١٦ روسيًا يهدّدون العالم

الخطر الهابط من الفضاء

هذه ليست رواية من روايات العلم الخيالي، فقد سبق ان سقط تابع فضائي (١) نووي على الارض، ويبدو ان السقوط اصبح يتهدد المختبر الفضائي الامريكي "سكاي لاب" الذي يزن ٨٥ طنا. ومع تزايد الاجهزة السابحة في الفضاء فمن الطبيعي ان يتزايد احتمال سقوطها وان يفضي ذلك الى نتائج مفجعة.

يبدو ان الفضاء اصبح الان مسرحا لرواية مفجعة صامتة تدور احداثها على ارتفاع ثلاثمئة وخمسة وثمانين كيلومترا فوق سطح الارض: والظاهر ان المختبر الفضائي "سكاي لاب" اضحى عرضة للسقوط بعد فترة لا تتجاوز العام الواحد من الان، مما حدا بالعلماء الامريكيين على سطح الارض الى التسابق مع الزمن، لعلهم يستطيعون انقاذ المختبر. وما مشكلة "سكاي لاب" في الواقع، سوى احدث مثال للاخطار الناجمة عن تصميم الانسان على تسخير الفضاء لسلطانه.

واذا علمنا ان ٤٥٠٠ قطعة من نتاج الهندسة البشرية، بينها ٩٠٠ تابع صناعي والبقية حطام فضائية، تندفع

١ ـ المرادف العربي للاجرام الاصطناعية.

CONDENSED FROM THE WASHINGTONIAN (MAY 78) PUBLISHED BY WASHINGTONIAN MAGAZINE INC 1218 CONNECTICUT AVE WASHINGTON D C 20036

الان في الفضاء بسرعة هائلة، لكفى ذلك - حسب قوانين الاحتمال - لندرك مدى الخطر الذي يتهدد عالمنا، خصوصا ان ازدحام الحركة في الفضاء يتزايد باطراد، اذ ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي اللذين يحتكران في ما بينهما غزو الفضاء يعتمدان على التوابع الصناعية للاغراض العسكرية والنفعية معا، (ففي العام ١٩٧٧ بلغ عدد المقذوفات الصاروخية ١٥٦، بينما بلغ عددها ٩٥ في الاشهر التسعة الاولى من ١٩٧٨).

ولسنا هنا، لسوء الحظ، في صدد افتراضات من قبيل الخرافات العلمية. فقد رأينا في يناير (كانون الثاني) الماضي من عام ١٩٧٨ كيف كان من المحتمل ان تحدث كارثة ضخمة بسبب "كوزموس ٩٥٤" التابع العسكري السوفياتي الذي كان يزن ٥ اطنان ويزود بالطاقة النووية. وذلك ان مراقبي التوابع الصناعية في القيادة الامريكية للدفاع الجوي في كلورادو سبرنغز (نوراد) قد لاحظوا في ٦ يناير (كانون الثاني) ان التابع المذكور اخذ يهوي نحو الارض في وضع يتعذر معه التحكم به بعد انقطاعه عن الاستجابة للاوامر اللاسلكية الموجهة اليه من الارض.

التجربة الاولى - وكان من المحتمل لـ"كوزموس ٩٥٤" الذي كان مزودا بستين كيلوغراما من وقود اليورانيوم الفتاك ان يسقط في منطقة سكنية من امريكا الشمالية او غرب اوروبا او آسيا، وان يفيض منه الاشعاع حول مدينة من المدن فتنجم عن ذلك عواقب وخيمة لا يمكن تقديرها. ومن ثم، فقد انشأ مجلس الامن القومي في البيت الابيض جهازا سريا لمراقبة مسار هذا التابع "الهارب" وتنسيق شتى خطط الطوارىء الممكنة في مجالات الكوارث والدفاع المدني والسياسة. وكان البيت الابيض يخشى ان يواجه موقفا مشحونا بعناصر الرعب لا يقل في هوله عن اي مشهد مرعب من المشاهد التي ابتكرتها هوليوود.

وكان عامل الشك والارتياب في تطور هذا الامر اسوأ عنصر في برنامج مراقبة "كوزموس ٩٥٤" ليل نهار من دون انقطاع فكان من المفروض ان ينفصل قسم المفاعل النووي عن بقية التابع بعد شهر او شهرين من اطلاقه، وان يرفع هذا القسم بواسطة الاجهزة الاضافية لتعزيز الطاقة الى مدار اعلى ويبقى يدور فيه لقرون عدة قبل ان يعود الى المحيط الجوي. لكن هذه العملية لم تتم حسب المعتاد. فلما تبين ان "كوزموس ٩٥٤" سيسقط من مداره خلال بضعة ايام او اسابيع، اصبح السؤال الاولي المهم هو معرفة ما اذا كان هذا التابع المتهور، المميت سيتحلل لدى دخوله المحيط الجوي للارض ام سيقع على الارض في شكل فتات مشعة. واخيرا، اصبح السؤال المهم: اين سيقع التابع؟

وكان اول ما قرره الرئيس كارتر حينذاك هو الالتزام بالسرية التامة في صدد هذه الازمة. فقد رأى الرئيس - وايده في ذلك كبار الرسميين في واشنطن - ان اشاعة الخبر عن التابع النووي الذي يوشك ان يهوي نحو الارض من شأنها ان

تتسبب في موجة ضخمة من الرعب، من دون ان يكون في استطاعة الحكومة اتخاذ الاجراءات الاحتياطية اللازمة، لعدم تمكنها من التنبؤ بمسار كوزموس حتى بين ساعة واخرى، وبالتالي عدم استحالة التفكير في اخلاء المدن جميعا من السكان.

غير ان الادارة الحكومية كانت مستعدة بالفعل لتنفيذ خطط الطوارىء المقررة اذا سقط "كوزموس ٩٥٤" او احد اجزائه المشعة على منطقة سكنية من البلاد، فوضعت فورا في حالة التأهب الفرق العسكرية الخاصة بمواجهة الخطر الذري". كما ان واشنطن نبهت في الوقت نفسه الحكومات الاجنبية الى وضع كوزموس الخطير وانذرتها باحتمال وقوعه في اي من بلادها.

سقط فوق الثلج — وقد بلغت الازمة ذروتها في الساعة ٦،٥٠ من صباح يوم ٢٤ يناير (كانون الثاني) عندما بدأ التابع عودته الى الغلاف الجوي للارض فوق جزر الملكة شارلوت المواجهة للساحل الغربي لكندا. وفي الساعة ٦،٥٣ تحلل "كوزموس ٩٥٤" في شكل كريات نارية اخذت تتساقط في السماء قبل الفجر، وامطرت بوابل من الفتات المشعة منطقة "مغطاة بالثلج على بعد ١٥٠ كيلومترا شرق "يلونايت".

وفي الساعة ٧،١٥ صباحا اتصل الرئيس الامريكي هاتفيا برئيس وزراء كندا السيد بيار ترودو ليخطره بوقوع التابع ويعرض عليه المساعدة الامريكية للبحث عن مصادر الاشعاع. والواقع ان بعض حطام "كوزموس ٩٥٤" كان على درجة عالية من النشاط الاشعاعي، استغرقت معه عملية تطهير المناطق قرابة ثلاثة اشهر. وما زالت الدراسات تجري حتى الان عن الآثار الممكنة للاشعاع.

وكان لعامل الحظ نصيبه الكبير في وقوع التابع في منطقة غير مسكونة من الاقاليم الشمالية الغربية لكندا. اما لو دار التابع دورة اخرى حول الارض فلكان من الممكن ان يتفتت فوق مدينة نيويورك.

امريكي و١٦ روسيا — ويبدو من المستبعد ان يعود اي من المفاعلات النووية التي تدور في الفضاء - ومنها ١٦ مفاعلا روسيا ومفاعل امريكي واحد - الى المحيط الجوي للارض قبل الموعد المقرر لها، اي بعد بضعة قرون من الآن، بيد ان مجرد وجود هذه المفاعلات في الفضاء لا بد ان يظل مثارا للقلق.

وحقيقة الامر هي ان التكنولوجيا الفضائية النووية منها وغير النووية يتعذر توقفها عن التقدم لاي سبب. فكل من واشنطن وموسكو تولي الاعتبارات العسكرية الاولوية العليا في برامج الفضاء. ومن المعروف ان حكومتي الدولتين العظميين تعتمدان على التوابع للتحقق من تطبيق اتفاق ١٩٧٢ للحد من الاسلحة الاستراتيجية، علما بان التوابع في استطاعتها ان تستكشف التحركات العسكرية التي تجري سواء على الارض او في الجو او في البحار، فضلا عن انها تستطيع اعتراض الاتصالات العسكرية. ومن هنا اصبحت التوابع جزءا جوهريا من شبكات الاستخبارات العالمية، لا تستطيع اي من الدولتين العظميين

الاستغناء عنها من دون ان تعرض سلامتها للخطر.

وتعتبر محطة الفضاء "سكاي لاب" كأخطر مشكلة فضائية تواجهها الولايات المتحدة في الوقت الحاضر. فقد اطلقت المحطة في ١٩٧٣، وتولت امرها خلال العام الاول من دوراتها ثلاث مجموعات من ملاحي وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا). وكان من المتوقع وفقا للتقدير الاصلي لـ"ناسا" ان تبقى محطة "سكاي لاب" في فلكها حتى عام ١٩٨٣، على ان تعود بعد ذلك وتدخل المحيط الجوي للارض بسهولة وتهبط على سطح المحيط الهادي، وهي خاضعة لظروف التحكم العادية. لكن مراقبي "نوراد" صرحوا في اوائل يناير (كانون الثاني) الماضي ان المحطة قد هبطت من ارتفاع ٤٣٩ كيلومترا الى ارتفاع ٤٠٧ كيلومترات. على ان هذا الهبوط لا يتم تدريجا وانما على طفرات. وتعزو "ناسا" هذه الظاهرة الى المقاومة الجوية الناتجة من مستوى مرتفع على نحو غير عادي لنشاط البقع الشمسية. وبعد ان فشلت المحاولة الانقاذية الاولى في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، حاولت مراقبة المهمات الفضائية خلال يوليو (تموز) اعادة "سكاي لاب" الى موقعها والحد من طاقة انهيارها، وربما تسببت هذه المناورة في بقاء المحطة بفلكها حتى الاشهر الاولى من عام ١٩٨٠.

وسيلة وحيدة - واما الان، فالوسيلة الوحيدة التي تتيح ابقاء "سكاي لاب" في الفضاء، هي ان ينتقل ملاحو الفضاء جيئة وذهابا على متن مركبة فضائية اخرى، ويعملوا على احكام بعض الوشائج التي تشد المحطة الى فلك اعلى. فاذا عجز الملاحون عن ذلك، بذلت محاولة اخرى لاخراج "سكاي لاب" من مدارها الحالي لكي تعود الى الغلاف الجوي للارض فوق منطقة نائية في عرض المحيط.

وكل شيء في هذا الصدد يتوقف على عنصر الوقت. فاذا اطلقت المركبة الفضائية في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩، كما هو مقرر، فانها ستحاول بلوغ "سكاي لاب" في اثناء رحلتها الثانية التي ينتظر ان تتم في فبراير (شباط) ١٩٨٠. لكن المشكلة هي ان المركبة الفضائية قد لا تتمكن من بلوغ "سكاي لاب" في الوقت المناسب، اذ ان ادارة "ناسا" تتوقع هبوط "سكاي لاب" بمقدار ١٩٠ كيلومترا قبل اوائل ١٩٨٠، واذ ذاك فانها ستخرج من مدارها وتهوي نحو الارض.

ومن المؤكد ان "سكاي لاب" ستتفتت فور عودتها الى الغلاف الجوي للارض ويرجح المتفائلون في "ناسا" انها ستتساقط في المحيط، نظرًا الى انها تحلق فوق الماء طوال ٨٠٪ من الوقت. ومع هذا، فان هناك احتمالا بنسبة ٢٠٪ ان تنهار اجزاء ضخمة من "سكاي لاب" على اليابسة.

ومهما يكن الامر بالنسبة الى "سكاي لاب"، فانه يمكن التأكيد ان الاجهزة الصناعية السابحة في الفضاء ستتزايد اعدادها، بل ربما تضاعفت خلال السنوات الخمس عشرة المقبلة، نظرًا الى تصميم الانسان كما يبدو، على استكشاف السموات واستغلالها.

■ تاد شولك

صور من الحياة



الطالب العبقري

كتب أحد الذين كانوا يترددون على جامعة برلين في أواسط القرن التاسع عشر ما يأتي:
"كنا نرى بين الطلاب شخصا قصيرا، أبيض الشعر، متقدما في السن، وعلى وجهه امارات السعادة. وعرفنا انه الكسندر فون همبولت، رائد علم التاريخ الطبيعي، الذي قال انه يحضر الصفوف الجامعية ليعوّض ما فاته في حداثته. وكان يجلس في الصف ويدوّن الملاحظات كأي طالب آخر.
"وفي احدى المحاضرات كان البحّاثة المرموق ريتر يلقي درساً في الجغرافيا الفيزيائية، ووصل الى نقطة استشهد فيها بكلام من فون همبولت قائلا انه الحجة التي يحتكم اليها. فشخصت عيون الحاضرين جميعا الى العالم ذي الشعر الابيض الذي وقف في مكانه وأحنى رأسه قليلا، ثم جلس متابعا الكتابة".

("سير أكابر العلماء")

على طريقة تشرشل

في عشاء ضم رؤساء دول "الكمنولث" منذ سنوات، شاهد رئيس البروتوكول أحد الضيوف يتناول مملحة مصنوعة من الذهب ويضعها في جيبه. فتوجه رئيس البروتوكول الى السير ونستون تشرشل واستشاره في ما يجب فعله. فأجاب تشرشل: "لا عليك. سأتدبر الأمر بنفسي".
وتقدم تشرشل الى الطاولة ووضع علبة فلفل مذهبة في جيبه. ثم اقترب من الرجل الذي أخذ المملحة وهمس في اذنه: "لقد رآنا رئيس البروتوكول نقدم على فعلنا. فالأفضل ان نعيد العلبتين الى مكانهما".

("الديلي تلغراف")

القبلة المخيفة

ان أصعب مهمة تواجه مربية الاطفال هي ان تحملهم على النوم. وقد حدث أخيرا ان المربية التي ترعى اطفالي بين وقت وآخر لم تفلح في حث ابني الكبير (٧ سنوات) على النوم على رغم انها أغرته بسندويشات اضافية وموسيقى وأغانٍ وأقاصيص. لكنها عادت ونجحت في مهمتها.
وعندما سألتها عن سبب نجاحها، أخبرتني أنها حدقت الى الصبي وهددته قائلة:
"اذا لم تذهب الى الفراش في دقيقة واحدة فسأقبلك قبلة النوم". فما كان منه الا ان اختفى تحت اغطية السرير في عشر ثوانٍ.

قطار الله

علق على لوحة الاعلانات الى جانب خط السكة الحديد بين كونيكتكت ونيوهيفين في الولايات المتحدة اعلان جاء فيه: "ان الرب آتٍ قريبا"، فأضاف احد الاشخاص: "ولكن، ليس اذا ركب قطار نيوهيفن".

حياتك الجنسيّة هل غدت نفثة دُخان ؟

توقع العلماء ان تؤدي كثرة التدخين الى الاجهاض وولادة الجنين ميتا · ويبدو الآن ان التدخين يمكن ان يعوق القدرة الجنسية ايضا ·

■ بول وليندا كونراد متزوجان منذ عشر سنين· ومنذ العيد السنوي الثالث لزواجهما اخذت ليندا تذهب من طبيب الى آخر في محاولة عقيمة لتكتشف سبب "عدم قدرتنا على انجاب طفل"· واخيرا وافق زوجها على ان يعرض نفسه ايضا للفحص·

■ باتريشيا لانسينغ وزوجها ارادا كذلك انجاب اطفال· لكن اول جنين لباتريشيا ولد ميتا، وكان طفلة حملتها امها تسعة اشهر كاملة من دون ان يزيد وزنها على كيلوغرامين·

■ كين فاريل كان قلقا من انحدار ملحوظ في قدراته الجنسية· وقال لطبيبه: "اقرأ طوال الوقت عن رجال في السبعينات من اعمارهم ولا يزالون اقوياء· وها انذا اجد صعوبة وسني لم تتجاوز الحادية والثلاثين!"

هذه الحالات الثلاث (وقد غيرت اسماء اشخاصها) تبدو قليلة الصلة احداها بالاخرى، باستثناء انها جميعا متعلقة بالصحة الجنسية او بالنسل· لكن وصفة العلاج في كل منها كانت مطابقة للحالتين الاخريين، وهي ببساطة: امتنع عن التدخين·

امتنع عن التدخين؟ هل يمكن التدخين أن يؤثر على الجنس؟

التدخين والضعف الجنسي – على رغم ان الادلة العلمية على وجود صلة بين التدخين والجنس ليست مكتملة بعد، الا ان عددا كبيرا من الاطباء

مقتنع بوجود هذه الصلة. واحدهم هو آلتون اوكسنر (من مواليد ١٨٩٦)، وهو كبير مستشاري مستشفى مؤسسة اوكسنر في ولاية نيو اورلينز الامريكية وكبير دعاة الحملة الامريكية ضد التدخين. وقبل ٢٨ سنة من توصل الجراحين الامريكيين الى النتيجة نفسها عبر تقريرهم العام، كان الدكتور اوكسنر قد تكلم، بناء على مراقبته المرضى، عن وجود علاقة سببية بين شدة تدخين السجائر وسرطان الرئة. واقنعته الادلة العيادية نفسها بان تدخين السجائر يمكن ان يشكل خطرا على صحة المرء الجنسية. لكنه يعبر عن دهشته حيال نجاحه في شرح تلك الظاهرة الذي لم يقابله نجاح مماثل في اقناع المرضى بالاقلاع عن التدخين لئلا تلحق بهم عواقب اشد خطرا من الضعف الجنسي المحض.

ويقول الدكتور اوكسنر انه، على رغم استمرار الوفيات المرتبطة بالتدخين، فان الناس يثابرون على عادتهم. "ولكن عندما اقول لهم ان التبغ قد تكون له آثار ضارة على نشاطهم الجنسي، اجدهم ينتبهون فجأة ويسمعون".

وهكذا وفق بول كونراد، الذي كشف فحصه عن مستوى عادي لهرمون تيستوستيرون الذكري مع انخفاض عدد الحيوانات المنوية، الى الاقلاع عن التدخين. واظهر الفحص ان حيواناته المنوية بطيئة، اي ضعيفة الحركة. وعندما علم طبيب بول انه يدخن ثلاث علب سجائر يوميا، وذلك منذ ١٩ سنة، نصحه بالكف عن التدخين وزيارته بعد ثلاثة اشهر لاجراء مزيد من الفحوص.

لم يكن بول مؤمنا بالمشورة، لكنه تغلب على عادة التدخين. وعندما فحص مرة اخرى وجد ان تحسنا ملحوظا طرأ على عدد الحيوانات المنوية وحركتها. وبعد اربعة اشهر اصبحت ليندا حاملا.

وليس هناك طبعا دليل ملموس على ان التدخين كان سبب مشكلة بول وليندا كونراد. ويقول احد رواد البحث في هذا الحقل، الطبيب كارل شيرين من جامعة هامبورغ الالمانية الذي درس انماط الاخصاب لدى قرابة ١٠٠٠٠ شخص، انه "لا يمكن الوصول الى اية نتائج حاسمة "في شأن التدخين وعدم الخصوبة لدى الذكور. لكنه لاحظ "اضطرابات شديدة في حركة الحيوانات المنوية" لدى مجموعة من الرجال المدخنين.

ويقول الدكتور شيرين: "لقد شرح لاولئك المرضى احتمال وجود صلة بين عدم الانجاب والخلل الذي يصيب الحيوانات المنوية بفعل النيكوتين. وكانوا اذا كفوا عن التدخين تماما يظهرون تحسنا كبيرا في حركة الحيوانات المنوية خلال فترة تراوح بين ستة اسابيع وعشرة اسابيع".

ويضيف الدكتور شيرين: "في كل حال من حالات انخفاض الخصوبة لدى الذكور، يجب الكف عن التدخين تماما اذا كانت ثمة رغبة في انجاب اطفال".

وتميل دراسات اخرى نحو توكيد هذا الرأي. فمثلا، وجد عالم الكيمياء البيولوجية الاوسترالي المرموق مايكل بريغز ان التدخين الشديد يخفض انتاج هرمون تيستوستيرون،

في حين ترتفع نسبة هذا الهرمون اذا توقف المرء عن التدخين.

ولدته ميتا - اما الادلة على ان تدخين النساء يمكن ان يؤثر على قدرة حمل اطفال اصحاء فانها اكثر ثبوتا واشد اثرا. ولنأخذ مثلا باتريشيا لانسينغ التي لا تزال منذ كانت في المدرسة الثانوية تدخن سيجارة تلو الاخرى وتكاد لا تنقطع عن التدخين. لقد بدا حملها الاول عاديا مع ان طبيبها حثها على التقليل من تدخين اربع علب من السجائر يوميا كما كان دأبها. وعندما ولد طفلها ميتا بعد فترة حمل كاملة، وكان وزنه دون معدل وزن الاجنة ذات الاشهر التسعة باكثر من كيلوغرام، اصيبت باتريشيا بصدمة عنيفة.

ثم قرأت ملخصا لتقرير طبي نشر عام ١٩٧٣ تحت عنوان "آثار التدخين على الصحة"، فاستحوذت عليها جملة منه تقول: "هناك بعض الادلة القوية على ان الامهات المدخنات تزيد بينهن على نحو اكبر نسبة الحمل المجهض نتيجة ولادة الطفل ميتا او موته عقب الولادة". وتتذكر ذلك قائلة: "كانت تلك العبارة بمثابة سكين تطعنني".

ويكاد يستحيل تثبيت كون تدخين باتريشيا مسؤولا عن موت طفلها. ولكن ثبت احصائيا ان النساء المدخنات يتعرضن لخطر كارثة مثل كارثة باتريشيا على نحو اكبر كثيراً مما تتعرض له الامهات اللواتي لا يدخن السجائر. ويقول تقرير الجراحين العام لسنة ١٩٧٣. "ان امكان وضع المرأة المدخنة وليدا ضئيل الوزن يساوي ضعفي امكان حدوث ذلك لدى غير المدخنة. ومثل هؤلاء الرضع الصغيري البنية يتعرضون للامراض والموت اكثر من المواليد الاكبر بنية".

وعلى صعيد اكثر اشراقا، تشير الادلة التي جمعت من دراسة لقرابة ١٧،٠٠٠ حالة حمل في بريطانيا الى ان النساء اللواتي يقلعن عن التدخين بحلول الشهر الرابع من الحمل يمكن ان يجنبن تعريض اطفالهن للاخطار. ويشرح الطبيب جوزف وارشو، مدير قسم طب الحمل المتعلق بمرحلة الولادة في جامعة يايل، ذلك قائلا: "ان معظم اضرار التدخين تأتي في المرحلة الثانية من الحمل". ويضيف: "اني انصح كل امرأة حبلى بالكف عن التدخين".

ويكاد قلق بعض الاشخاص من نتائج التدخين السلبية على الحياة الجنسية السليمة يوازي قلقهم حيال ضرر التدخين اللاحق بالخصوبة وولادة الاطفال. هنا ايضا نرى المعطيات شحيحة، لكن ثمة عددا كبيرا من المستشارين الجنسيين والباحثين في العقاقير، مثل الدكتور اوكسنر، اقتنعوا من خلال مراقبتهم الشخصية، بوجود علاقة بين النشاط الجنسي والتدخين. ويقول الدكتور اوكسنر: "ان عشرات المرضى قالوا لي حرفيا ان حياتهم الجنسية تحسنت بعد توقفهم عن التدخين". ويسر الدكتور اوكسنر ان يتحدث عن رجل في الثالثة والسبعين من عمره اجريت له جراحة لازالة رمل من رئته: "قلت له ان عليه وقف التدخين، ففعل، وبعد شهرين شفيت رئته تماما. وقال لي انه، قبل اقلاعه عن التدخين، كان يمارس الجنس مرة كل اربعة اشهر او

ستة اشهر. اما الان فهو يفعل ذلك ثلاث مرات او اربع مرات في الاسبوع".

عيادة لوقف التدخين - الطبيب جويل فورت، مدير مركز سان فرنسيسكو لحل المشكلات الاجتماعية والصحية الخاصة، وهو مركز يساعد الناس في التغلب على عادة تدخين السجائر كذلك في معالجة مشكلاتهم الجنسية، ينصح مباشرة المدخنين الذين يشكون من العقم بالانضمام الى عيادة المركز الخاصة بوقف التدخين. ويقول الدكتور فورت ان الاغلبية الساحقة من الرجال الذين يفعلون ذلك يبلغون المركز بتحسن حياتهم الجنسية تحسنا ملحوظا. وهو ينصح النساء اللواتي يشتكين من قلة الاهتمام بالجنس بعمل الشيء نفسه.

ويخرج الدكتور فورت بنظرية ملخصها ان التدخين يعوق الاداء الجنسي على وجهين رئيسيين: اولهما ان ما يدخل الرئتين من ثاني اوكسيد الكربون يخفض من نسبةاوكسيجين الدم ويعوق انتاج الهرمون، والثاني ان ما يدخل الجسم من النيكوتين يقلص اوعية الدم التي يشكل انتفاخها الاداة المركزية للاثارة الجنسية والانتصاب. ويعدد الدكتور فورت كذلك آثارا ثانوية للتدخين: تقلص الرئة وانخفاض القدرة على اطالة فترة الجماع، اضافة الى ان النيكوتين يؤدي الى اصفرار الاسنان ورداءة رائحة النفس مما يضعف جاذبية المدخن الجنسية.

غير انه لم تجر سوى دراسات علمية قليلة حول العلاقة بين التدخين والقدرات الجنسية. وقد نشر باحثان باريسيان هما الدكتور هـ. سندرون وج. فاليري ماسون دراسة حول اثر السن والتدخين وعوامل اخرى في النشاط الجنسي للذكور. واختارا ٧٠ رجلا تراوح اعمارهم بين ٤٥ و٩٠ سنة ووزعاهم في مجموعتين: الاولى ضمت ٣١ شخصا ممن يدخنون علبة سجائر او اكثر يوميا، والثانية ضمت ٣٩ شخصا لا يدخنون او يدخن الواحد منهم خمس سجائر او اقل يوميا. وقال اكثر من نصف هؤلاء الرجال ان نشاطهم الجنسي سجل انحدارا بين الخامسة والعشرين والاربعين من سنيهم. وجاء في تقرير الباحثين "ان ثمة فرقا كبيرا بين المدخنين وغير المدخنين في تلك العينة من الاشخاص. فقد كان انحدار النشاط الجنسي بين الخامسة والعشرين والاربعين اكثر شيوعا بين المدخنين".

أقلع لتعرف - ويقول احد الاطباء: "اذا كنت تعاني ضيقا في التنفس، وكنت متعبا وربما مصابا بمرض في الاوعية الدموية زاده تدخينك تعقيدا فانك لن تكون شديد الرغبة في الجنس. اما اذا كف المريض عن التدخين وزاد من تمرين جسمه حتى بات يشعر بلياقة افضل، فان اهتمامه بالجنس وقدرته عليه يصيران افضل".

هكذا كانت حال كين فاريل. وكان توصل الى تدخين اربع علب سجائر يوميا عندما قرر استشارة احد الاطباء. وقد وجده الطبيب اقل وزنا مما ينبغي. ولكن من دون ان يكون هناك اي خلل جدي. ويقول فاريل: "نصحني الطبيب، مع ذلك، بالكف عن التدخين او بخفضه على الاقل.

وفي حدود ذلك الوقت التحقت ببرنامج للتمرين". وخلال ثلاثة اشهر، قلل فاريل تدخينه بمقدار عشر سجائر في اليوم، فزاد وزنه قرابة سبعة كيلوغرامات، ووجد نفسه اكثر سعادة الى حد كبير، صحيا وجنسيا.

ويأمل الدكتور اوكسنر في ان يؤدي التشديد العصري على الجنس الى مزيد من الاهتمام العلمي بدراسة اثر التدخين على الاستجابة الجنسية. وهو يقول: "الامر الغريب هو ان رجالا كثيرين لا يدركون انهم يعانون مشكلة في شهوتهم الجنسية الا بعد اقلاعهم عن التدخين واكتشافهم ما كانوا يفتقدون. ولكن من المؤسف ان يبلغ المرء الثالثة والسبعين قبل اكتشاف ذلك".

■ جونيل سوباك - شارب



يقول الكاتب والروائي الفرنسي مارسيل آشار: كثير من الناس يعتقدون بان النجاح لا يتحقق الا بالقيام باكرا. لا، اذ يقتضي، بالاضافة الى ذلك، ان تستيقظ صافي المزاج.

ازعج ادارة تحرير "الباري بريس" ان يتغيب عن العمل عدد كبير من اعضائها كلما جرت مباراة في كرة القدم، فعلقت على الباب اشعارا جاء فيه: "يرجى من اعضاء هيئة التحرير الذين يرغبون في حضور جنازة احد انسبائهم ان يطلبوا ترخيصا من الادارة بذلك، في اليوم السابق لموعد مباراة كرة القدم".

جان بول لاكروا

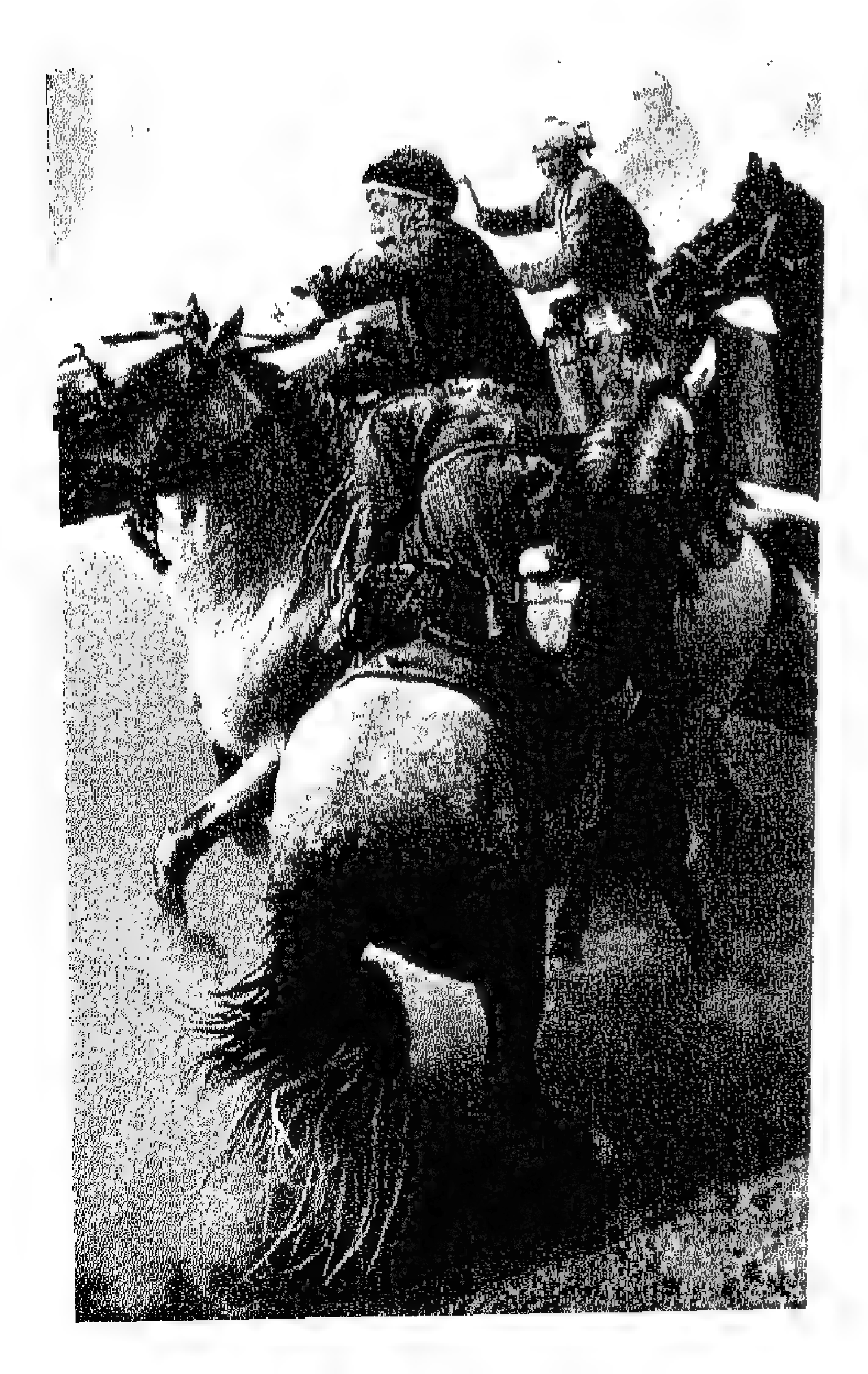
"جنة" العالم السفلي

توفي فارلي فيربانكس وذهب الى العالم السفلي، فأعلمه رئيس الشياطين بانه يستطيع أختيار واحد من ثلاثةأماكن لاتخاذه مقرآ أبديآ له. وفتح الشيطان الباب الأول فرأى فيربانكس آلاف البشر منتصبين على رؤوسهم فوق ارضية مفروشة بالآجر، وقال للشيطان انه لا يريد ان يقضي الابدية في مثل هذا الوضع. وفتح الشيطان الباب الثاني، فرأى فيربانكس آلاف البشر منتصبين على رؤوسهم فوق ارضية خشبية، وفضل ان ينتقل الى الاحتمال الثالث. وفتح الشيطان الباب الثالث فرأى فيربانكس آلاف البشر واقفين الى رسوغ اقدامهم في مادة عفنة وكل منهم يشرب فنجانآ من القهوة. وقال فيربانكس: "لا شك في ان هذه المادة القذرة كريهة الى اقصى حد، لكنني افضل هذا المكان على المكانين الآخرين، فدخل القاعة وانغلق وراءه الباب، واذ ذاك علا صوت مساعد الشيطان صائحا: "هيا بنا الآن لقد انتهت فترة القهوة، فعودوا جميعكم وانتصبوا على رؤوسكم!".

ف.ن.

افغانستان، الممر والمفترق

هنا مفترق الطرق العريق القدم، وممر الغزاة ومعبر القوافل. وهنا ارض الاباء والروعة والرهبة، موطن المحاربين ومقام الجبال الجاثمة على سقف العالم.



عبر السهوب الجرداء من اواسط آسيا اقبل ثلاثمئة فارس يندفعون نحوي كالرعد في دوامة هائلة من الغبار. وفجأة توقف الهجوم واندفع احد الفرسان، ورأسه الى اسفل، وسط هذه الجلبة المتعالية من الجياد الصاهلة المتواثبة، وتدلى من ركاب واحد حتى بلغ الارض، ثم انتشل من فوقها في لمح البصر عجلا بلا رأس امسكه من ساقه ودسه تحت فخذه الايمن واندفع به بسرعة البرق يتبعه جمع الفرسان وهم يعدون في زئير هائل.

كان اولئك المعممون ذوو الاحذية الطويلة العالية الساق، فرسانا من رجال القبائل يلعبون "الوزكاشي"، وهي لعبة متوسطة بين "البولو"، وهجوم الفرسان. ولكي يفوز الفارس منهم في هذه اللعبة العنيفة المتسمة بالتنافس المطلق بين الجميع،

عرض "وزكاشي".

يقتضي عليه ان ينتقل "بالكرة" – وهي جثة عجل محشوة بالرمل المبلل ويبلغ وزنها ٥٠ كيلو غراما تقريبا – حول عمود يبعد مسافة خمسة كيلومترات، ثم يعيدها الى دائرة البداية المرسومة بالطباشير.

ولم اشاهد في حياتي فروسية حافلة بالصلف مثلما رأيت عندما راح اللاعبون الكبار الذين يطلق عليهم اسم "تشاباندار" يتصارعون بقسوة وعنف في سبيل جثة العجل بينما تفرقع السياط وتتصادم الجياد المدربة في صهيل مسعور.

وقد عددت ثلاثة انوف دامية واربع سيقان مكسورة بين هؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا يعرفون الخوف، قبل ان يندفع البطل الفائز كريم مقتربا من نقطة النهاية، عقب اربع ساعات هائجة حافلة، ويطرح في دائرة الفوز ثم يرفع يديه عاليا ويزأر بنداء النصر "هلال! هلال!". ولم يلق احد حتفه في ذلك اليوم وهذا امر "غير عادي" كما لاحظ البعض، ووافق عليه الجميع.

الصورة الطبيعية – وهذا التطرف القاسي في مجال الرياضة الشعبية يعكس صورة افغانستان الطبيعية، ذاك البلد الخام المليء بالمشاهد الاخاذة والموحشة في آن، والذي يقع كالاسفين بين الاتحاد السوفياتي والصين وباكستان وايران، في ارض مرصفة بالسلاسل الجبلية المغطاة بالثلوج على قرابة ثمانية آلاف متر من العلو حيث تتشامخ القمم المهيبة لجبال الهندكوش ("قاتل الهندوس") التي تكاد جبال روكي في امريكا الشمالية تبدو امامها تلالا صغيرة. وهي كذلك ارض "داشت – ي – مارغو" (صحراء الموت) حيث ترتفع الحرارة صيفا الى حد لاهب يبلغ ٥٥ درجة مئوية، وتنخفض شتاء الى مستوى البرد القاتل عند درجة ٣٥ مئوية تحت الصفر.

ان هذه البقعة المنعزلة النائية هي معقل تبلغ مساحته ٦٥٠ ٠٠٠ كيلومتر مربع اي ما يقارب مساحة ولاية تكساس، ولا منفذ له الى اي بحر، وليست فيه اي خطوط حديدية ولا يزيد مجموع طرقه الرئيسية المرصوفة على ٣٠٠٠ كيلومتر، وتمر فيه قوافل الجمال وهي تتخير مواقع خطاها على سفوح جبلية يربو ارتفاعها على ٥٠٠٠ متر. ويعيش كثيرون من الافغانيين الذي يبلغ تعداهم ١٧ مليونا، في بيوت مخفوضة متعرجة التركيب كجحور الارانب وجدرانها مبنية من الطين، ظلت كما هي من دون اي تغيير على مدى القرون. ولا يتجاوز متوسط دخل الافغاني ٩٠ دولارا في السنة، ولا يزيد متوسط العمر بين غالبية السكان على ٤٠ سنة.

وينطق الافغانيون بلغتين رئيسيتين هما: "الداري" وهي نوع من اللغة الفارسية، و"البشتو" او "الباثان"، الى جانب ٣٥ لهجة محلية على الاقل. ومعظمهم رعاة ومزارعون، وما زالوا يلتزمون في حياتهم نظاما اقطاعيا الى حد بعيد، ويتميزون بانهم محافظون ومتدينون في اسلامهم، يؤدون الصلوات اليومية الخمس بانتظام (الاوتوبيسات تتوقف في مواعيد الصلاة)، ومن حق الرجل فيهم ان يحتفظ باربع زوجات. ولا تزال كثيرات من نسائهم يمشين

محجبات من قمة الرأس الى اخمص القدم في ثوب سابغ يسمى "تشادري" ويحجب حتى العينين.

وفي عالم الرجال هذا ينمو الافغاني صلب العود حادا كنصل السيف المرهف. وهم لا يمشون، وانما يتبخترون ويختالون. ولا يزال رجال القبائل المتنازعون يتحاربون بالبنادق العتيقة ذات الطلقة الواحدة والزناد الخارجي، اما قطاع الطرق والمهربون فانهم مسلحون بالمدافع الرشاشة وهم من النوع الذي يطلق النار اولا، ثم يتفاهم بعد ذلك.

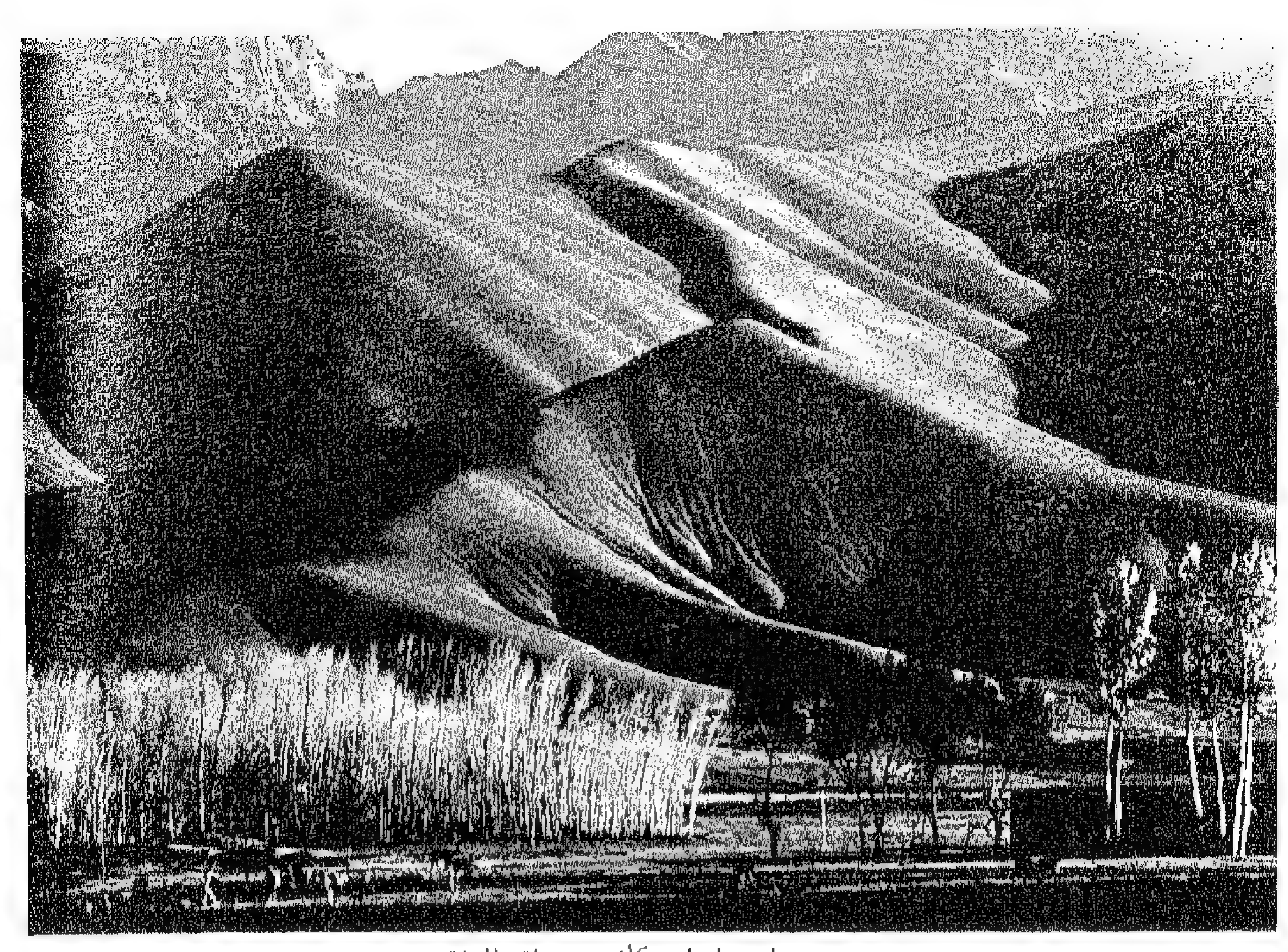
وليست روح القتال التي يتميز بها هذا الشعب من الظواهر التي ترجع الى المصادفة المحض، وانما يندر ان يكون في الارض مكان آخر تعرض لمثل ما عانته تلك البلاد من مرور الجحافل عبرها جيئة وذهابا بقيادة عدد من اشهر الغزاة في التاريخ، مثل دارا ملك الفرس والاسكندر الاكبر وجنكيزخان وتيمورلنك، وغيرهم. وقد واجه الافغانيون الشجعان الحرب بالحرب، فنجحوا تارة في ابادة مهاجميهم، ونجحوا طورا في استيعابهم، ولكن لم يحدث ابدا ان هزموا هزيمة حاسمة او خضعوا للاستعمار على نحو دائم. وكانوا، اذا لم يقاتلوا الغزاة انصرفوا الى القتال في ما بينهم،حتى ان الـ"تورش" اي الشجاعة، اصبحت هي المعيار الذي يقاس به الرجل من ابنائهم.

وفي القرن التاسع عشر، خاض الافغانيون البواسل حربين ضد الامبراطورية البريطانية، وابادوا ذات مرة في مكمن اسطوري قرابة ٤٥٠٠ جندي من البريطانيين والهنود. وفي ١٩١٩ حصلت افغانستان في النهاية على استقلالها التام، واصبحت جمهورية عام ١٩٧٣ وكان يحكمها حتى ابريل (نيسان) ١٩٧٨ رجل عابس قوي، هو محمد داود الذي خلع آخر ملوك البلاد منذ اربع سنوات (وكان الملك ابن عمه وشقيق زوجته) واعلن نفسه رئيسا، حتى جاء انقلاب دموي قتل فيه محمد داود وتسلمت السلطة حكومة يسارية موالية للسوفييت.

الخلية البشرية - ليس الوصول الى العاصمة كابول امرا عاديا بسيطا. فالطائرة تندفع عالية فوق ممر خيبر، ثم تغطس بين قمتين مخيفتين كالكابوس، وتهبط على نحو يثير الرعب كي تستقر فوق سهل منبسط يبلغ ارتفاعه ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر.

ويكاد نور الشمس الباهر يعمي البصر، فلم اعد اميز سوى بضعة عشر كوخا من الطين وعدد من الاغنام فوق مدرج المطار. وبعد حين، ارى عن بعد قلعة دكناء من الطين جاثمة فوق قمة صخرية، تساورها جدران متتالية تزحف كالثعابين عبر المنحدرات الجرداء، وقد التصقت مئات من البيوت الطينية المسطحة بالسفوح العارية الشديدة الانحدار.

وتتباهى كابول (٥٠٠٠٠٠ نسمة)، المدينة التي تحصرها الجبال، بشوارعها المكتظة بسيارات الاوتوبيس البالية والجمال والاغنام والماعز والدراجات، وتتردد فيجوانبها نغمات الموسيقى العربية وصياح الباعة في الشوارع حيث ينتشر رجال القبائل بعباءاتهم وهم



وادي باميان، كانه من مراتع الجنة.

يحملقون في واجهات الحوانيت المزدحمة باجهزة الراديو والخلاطات الكهربائية. ومررت بشوارع كاملة مخصصة لحوانيت صياغة الذهب والفضة، وراح التجار المتربعون يشيرون بايديهم ويدعونني الى ان ادخل محلاتهم، حيث يعرضون علي بنادق قديمة مطعمة بالصدف تعتبر من التحف، او ربطات انيقة من الحشيش او ساعات رائعة من عهد الملكة فيكتوريا، او قطعا في حجم قبضة اليد من حجر اللازورد - السماوي الزرقة - ومخلب دب قطع حديثا.

وتملكني الارتباك في هذا الخضم من المساومات، فدخلت مشربا للشاي تتناثر فيه الاباريق النحاسية اللامعة التي يتصاعد منها البخار وينتشر الزبائن ذوو العمائم في انحائه وهم يدخنون نارجيلاتهم. وتلكأت في سوق للسجاجيد حيث ينثر التجار سجاجيد حرير - تساوي الواحدة منها ٣٠٠٠ دولار - على الرصيف لكي يزيد وقع الاقدام العابرة من بريقها. وفي المدينة القديمة المكتظة بالناس كخلية النحل، مشيت في الطرق المتعرجة المتربة، التي لا يزيد عرضها في احيان كثيرة على عرض الكتفين، بين جدران عالية من الطوب (اللبن) ترد عمن في داخلها لفح الشمس. ومررت بثقوب مظلمة في تلك الجدران لاتبين انها حوانيت وورش. واكتشفت ان المدينة القديمة خالية من الكهرباء، ثم لاحظت فجأة اسراب الذباب الكثيفة، فقررت ان الوقت قد حان للخروج من المدينة.

مدينة المهربين - مضينا نحو الشرق، انا وسانا جول، سائق سيارتي، في اتجاه ممر خيبر، فغاصت بنا السيارة بين المعاقل الصخرية الطبيعية الشاهقة التي تحصر مضيق "تانغ - اي - غارو" الذي تتقارب الصخور على جانبيه احيانا الى حد يصبح معه الفراغ الموجود ما بينها كافيا بالكاد لطريق السيارات الذي مولت انشاءه الولايات المتحدة واخيرا ينفرج الوادي الضيق الرهيب ونصل بعد ساعة الى مدينة جلال اباد، قرب الحدود الباكستانية، فنرى صفوفا تلو صفوف من الحوانيت ذات الغرفة الواحدة، وقد تكدست فيها اجهزة الكاسيت، وصناديق السجائر ولفائف الاقمشة. وقال ساناجول: "هذه مدنية المهربين" فكل شيء تراه هنا مهرب". وفي اتجاه الشمال، تمتد وديان سحيقة ينتشر فيها عبير الزهور مع نسائم الربيع المتوهجة بحمرة الخشخاش وتعد هذه المنطقة احدى المناطق الثلاث الاكثر شهرة بانتاج الافيون على وجه الارض.

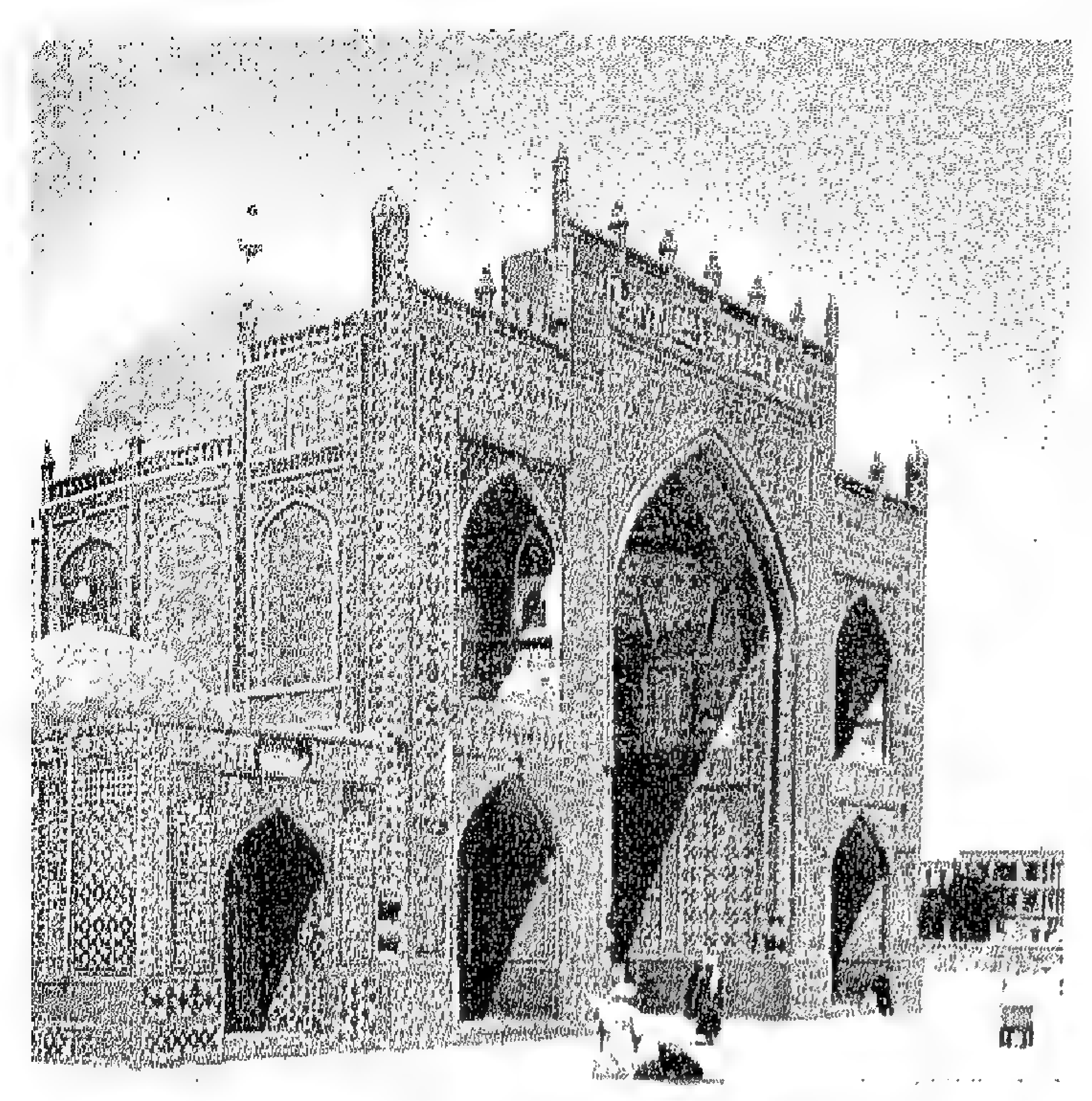
وعدنا الى كابول نستعد لتسلق جبال الهندوكوش المعممة بالثلج وهي الامتداد الغربي لسلاسل جبال هيمالايا. وراح الطريق يصعد ويصعد بلا هوادة - ٢٥٠٠ متر، ٣٠٠٠ متر - ويدور في منحنيات حادة متتابعة بلا حصر كالكوابيس التي لا تنتهي، واخذ رأسي ينبض وانا اشهق طلبا للهواء، ورأيت نسرا يحلق بعيدا في اسفل، وهو يتأرجح في رياح البانشي.

وعند ارتفاع ٣٣١٠ امتار بلغنا نفق سالانج، وهو اعلى نفق في العالم. ويمتد هذا الممر المظلم الرهيب، الذي بناه السوفيات، مسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات ومئتي متر. وقال ساناجول: "اذا حدث زلزال..."، ثم تمالك نفسه واغلق فمه. وخرجنا من النفق فجأة الى منظر منفسح من الجليد والثلوج يبهر الابصار، والى يميننا ترتفع قمة شاهقة تعلو على قمة مون بلان في سويسرا بثمانمئة متر، ولكنها محرومة حتى من الاسم. ثم بدأنا نهبط بالانحدار الرهيب نفسه الذي صعدنا به.

على خطى ماركوبولو - انفتح مضيق تاشكورغان امامنا وانبسط تحت اعيننا جانب من السهوب الروسية الشاسعة التي تمتد بلا انقطاع مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر حتى تبلغ اوروبا. وحبسنا انفاسنا في خولم، مدينة السوق القائمة في الموقع الذي اشترى فيه ماركوبولو حاجياته عام ١٢٧٤. ورأيت الحرفيين من الكهول الذابلين راكعين يعملون بمحبة في تطريز القبعات ونسج الحرير المخطط وصناعة الاحذية الطويلة الساق من جلد الغزال اللين الناعم. كان المشهد ساحرا، الى ان جاء جمل ضل طريقه فعاث فسادا في ادوات العمل والمشترين حتى اختلط الحابل بالنابل.

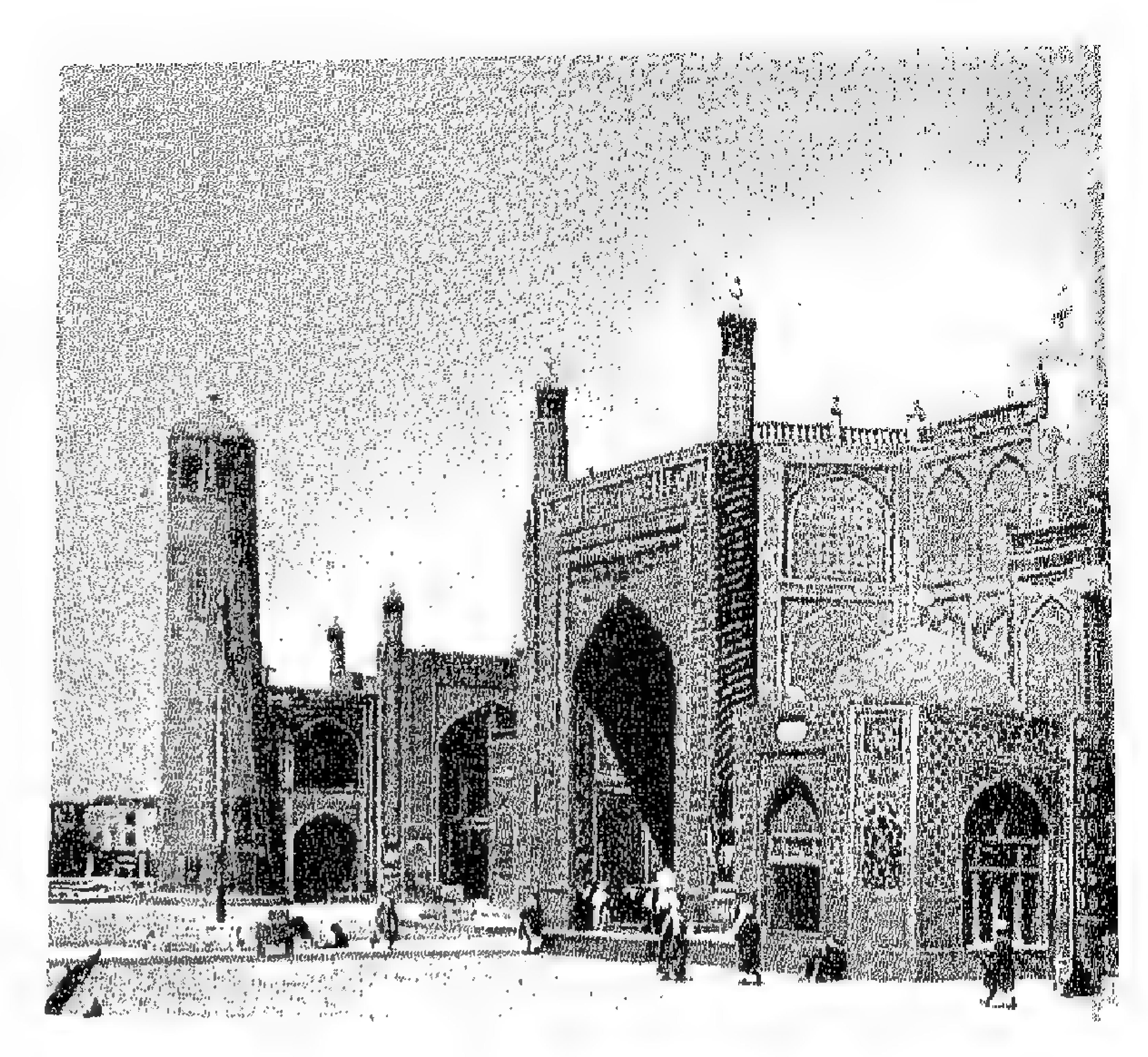
ويمضي الطريق بعد خولم مستقيما عبر خواء السهوب المطلق الذي يصدمك بالفراغ، ولا تقطعه الا بعض قوافل التجارة التي تمضي من حين الى آخر متهادية في عياء عبر الطريق الرئيسي، وينطلق رنين حزين

من اجراس الجمال المتهادية في غمرات الصمت المحيط، وكم يتلمس المسافر في هذا المسطح الشاسع مشاعر الاغتراب والانسحاق. وبعد هذا تبرز مدينة المزار الشريف، اكبر مدن الشمال في افغانستان، كمفاجأة سارة. فهي واحة ناعسة ساحرة تجتابها طرق فسيحة وتظللها اشجار التوت وتزينها الحدائق الزاهية وهذه المدينة هي مركز صناعة السجاد الافغاني الشهير التي يكاد العمل فيها يقتصر على النساء (قيل لي انه كلما زاد عدد زوجات الرجل تزايد انتاجه من السجاد). وهي ايضا مدينة لها طابعها الديني، ينتهي كل شارع فيها الى مسجد من ابدع مساجد آسيا هو مسجد الضريح الذي يرقد فيه حسبما ترويه الاسطورة الافغانية جثمان الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه زوج ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم. والمعتقد ان هذا المسجد الازرق يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر. وهو يقوم على مساحة ١٦٠٠٠ متر مربع مكسوة بالرخام وتنتصب فوقها مباني المسجد ومآذنه الرشيقة وقبابه الفيروزية في انشودة معمارية رائعة العذوبة.


المزار الشريف، ويبدو المسجد الازرق.

وخرجنا من مدينة المزار الشريف ورحنا نضرب مرة اخرى عبر السهوب نحو بلخ التاريخية، مدينة الاشباح. وكانت هذه المدينة في عزها افخم مدن آسيا الوسطى واجملها، ولكنها تدهورت عندما راحت تجتاحها موجات الغزاة المتتابعة، فلم يبق منها اليوم سوى مسجد اتلفه الزمن وقوس معماري علوه ٢٢ مترا وقلعة بلحصار المتهدمة التي كانت في ما مضى حصنا شامخا منيعا. وتجولت فوق اسوار القلعة والرياح المعولة تصفر من حولي ولكنها اعجز من ان تكبت الاصوات التي تخيلتها صادرة من اشباح الابواق وحوافر جياد الفرسان.

وحينما عدنا الى الجبال، مضى طريقنا ينحدر انحدارا شديدا على كيلومترات عدة، حتى القى بنا في وادي باميان الضائع بين المرتفعات، وكأنه مرتع من مراتع الجنة يزدهر بالخضرة الغنية ويشرق بالترحاب. وقد كان وادي باميان منذ القرن الاول مقاما دينيا مبجلا من ملاجىء البوذية، يعيش فيه ٦٠٠٠ راهب بوذي في ارديتهم الصفراء مستغرقين في التأمل. واستمر هذا



الحلم البديع اكثر من ستمئة عام، حتى جاء العرب المسلمون فطبعوه بطابعهم الديني.

لكن وادي باميان لا يزال محتفظا بسحره العريق. فالجبال هي هي طوال خط الافق تبسط امواج قممها الوعرة فوق الجرف الصخري الشاهق المطل على سهل باميان، وهناك ايضا تمثالا بوذا العملاقان المنحوتان في صلب الصخرة وقد تشوه وجهاهما ولكنهما لا يزالان منتصبين يظللان الوادي كحارسين امينين. وهناك تمثال بوذا العظيم - وهو اطول تماثيله اطلاقا - الذي يعادل علوه ارتفاع عمارة من ١٧ طابقا، ترسم ذراعاه المكسورتان نصف المرفوعتين شعار البركة الجريحة وقد تقوست شفتاه غبطة في بوادر ابتسامة هنيئة.

نفوس حرة - وذات يوم طلبت من سائق سيارتي ان يتوقف حيث تربعت خمس خيام سوداء مخفوضة يقيم فيها الرعاة الكوتشي بين قطعان الماشية. وسرعان ما واجهنا بضعة عشر رجلا من هؤلاء الرعاة وصوبوا بنادقهم نحونا بحذر، واخذوا يتقدمون ببطء من دون ان يبدو ظل ابتسامة على وجوههم. ووجدت سائقي منفعلا يدخل معهم في حديث استمر ٤٠ دقيقة.

واخيرا، خرج من كبرى الخيام شيخ مهيب جليل المظهر ذو لحية فضية تتوج رأسه عمامة بيضاء، ورفع صوته يزأر: "تعال!" وهو يدعوني ملوحا بذراعه. وتقدمت بين صفين من الرعاة المحملقين ذوي الاردية السوداء حتى بلغت مضرب الخيام وانا متوتر الاعصاب، فوضع مضيفي يده فوق قلبه وقال برقة: "هار - كالا - راشي" (مرحبا!).

وكان مضيفي هذا عبد الملك عمار كيل الذي يبلغ من العمر ٧٣ عاما، ويجلله الوقار، وله ثلاث زوجات ويملك ٤٠ رأسا من الابل و ١٧٠ رأسا من الغنم.

وداخل الخيمة الدافئة المبطنة باللباد الصوفي، جلسنا متربعين على بسط التركستان الضخمة وقدمت الينا نساء الكوتشي الخبز (نان) الساخن وقدور الشاي الاخضر الذي يتصاعد منه البخار. ولم تكن اولئك النسوة الوسيمات الطويلات القامة محجبات. ورحن يضحكن ملء قلوبهن، ويخشخشن بما في سواعدهن من

الاساور النحاسية، ويحملقن في بشيء من الجرأة الى ان اغض انا من بصري. وغمغم السائق "بلهجة المأخوذ: "ان الزوجة من الكوتشي تكلف ضعف ما تكلفه اي زوجة اخرى، فهن يستطعن اطلاق البنادق وترويض الجياد الجامحة، ويقمن بأي عمل يستطيع الرجل ان يفعله".

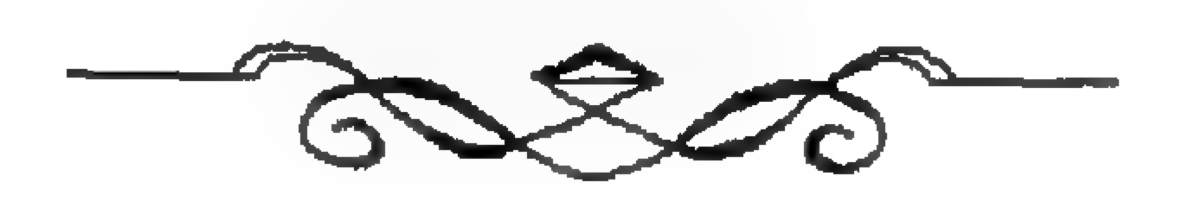
وازدحم رجال الكوتشي داخل الخيمة يقيِّمون هذين المتطفلين، ثم اخرجوا ناياتهم المصنوعة من القصب وطبولهم الرقيقة، وارتفعت اصواتهم باغنية موحشة حزينة. ورحت اقلب مرتبكا في جيوبي ابحث عن هدايا اقدمها اليهم، ولكن كل ما كانوا يريدونه هو اقراص الاسبيرين، لتسكين اوجاع اسنانهم.

وقال عبد الملك: "اننا لم نستبق ثلوج الشتاء الا بايام قليلة، ولا يزال امامنا ٤٥٠ كيلومترا حتى نصل الى مخيمنا في الاراضي المخفوضة. وقد يستغرق قطعنا لهذه المسافة المليئة بالممرات، مدة شهر ولكن من الذي يبالي بذلك؟". وضحك حتى التمعت اسنانه البيضاء، واستطرد: "اننا احرار ذوو نفوس حرة، نتجول حيث نشاء. ونحن على استعداد لقتال كل من تسول له نفسه ان يعترض طريقنا".

وغمس شيخ الرعاة الاشيب يده في كيس قديم من جلد الغزال، واخرج منه ثلاث قطع متلألئة من البلور الجبلي، وقال: "هذه لك. وليكن الله معك!"

وودعنا الرعاة واتجهنا الى السيارة، يتابع خطانا حرس من الكوتشي المسلحين وهم يطلقون رصاص بنادقهم نحو السماء الصافية المرصعة بالنجوم.

■ كريستوفر لوكاس



كفى فراء

قال الثري: "دعيني، يا عزيزتي، امتع عيني بوجهك الجميل، اقدم اليك فرو سمور لزنديك. ودعيني الامس يدك فاشتري لك وشاحا من فرو الثعلب الفضي. ودعيني اقبلك، فاقدم اليك معطفا من فرو المنك. ودعيني...".

فقاطعته قائلة: "قف! فكفى فراء".

(امريكان فارم اند هوم الماناك)

شاب انيق يقضي عطلته الصيفية على الشاطىء الفرنسي، دخل خطأ غرفة الفندق التي تشغلها سيدة متقدمة في السن، فتلعثم مرتبكا: "عفوا، يا سيدتي، لقد ضللت طريق غرفتي".

فأجابت السيدة: "ليس ذلك بالضرورة هو واقع الحال، ولكنك جئت متأخرا اربعين سنة".

("داي زايت"، هامبورغ)



حديقة افكار

■ رقّق كلماتك فيسهل عليك أمرها اذا ما شئت ان تبتلعها في ما بعد •

(فرنكلين ب • جونس)

■ ما الكون سوى فكرة عابرة في خاطر الله، بل فكرة مقلقة ولا سيما اذا ما تأخرت عن دفع قسط بيتك•

(وودي الين)

■ ربما نسيت من اضحكك ، لكنك لن تنسى أبدا من أبكاك•

(مثل عربي)

■ طوبى للذين يغرقون في العمل، فلا يكون لديهم متسع للهموم في النهار، وللذين يغرقون في النوم، فلا يكون لديهم متسع لها في الليل•

(ليو أيكمان)

■ ليس الغرض من درجة السلم ان يستريح عليها المرء، بل ان تكون موطئاً لقدمه كيما يخطو صعوداً بالقدم الاخرى•

(توما س هكسلي)

■ كثيراً ما تبدأ الاجتماعات حادة في السابعة والنصف وتنتهي فاترة في العاشرة والنصف•

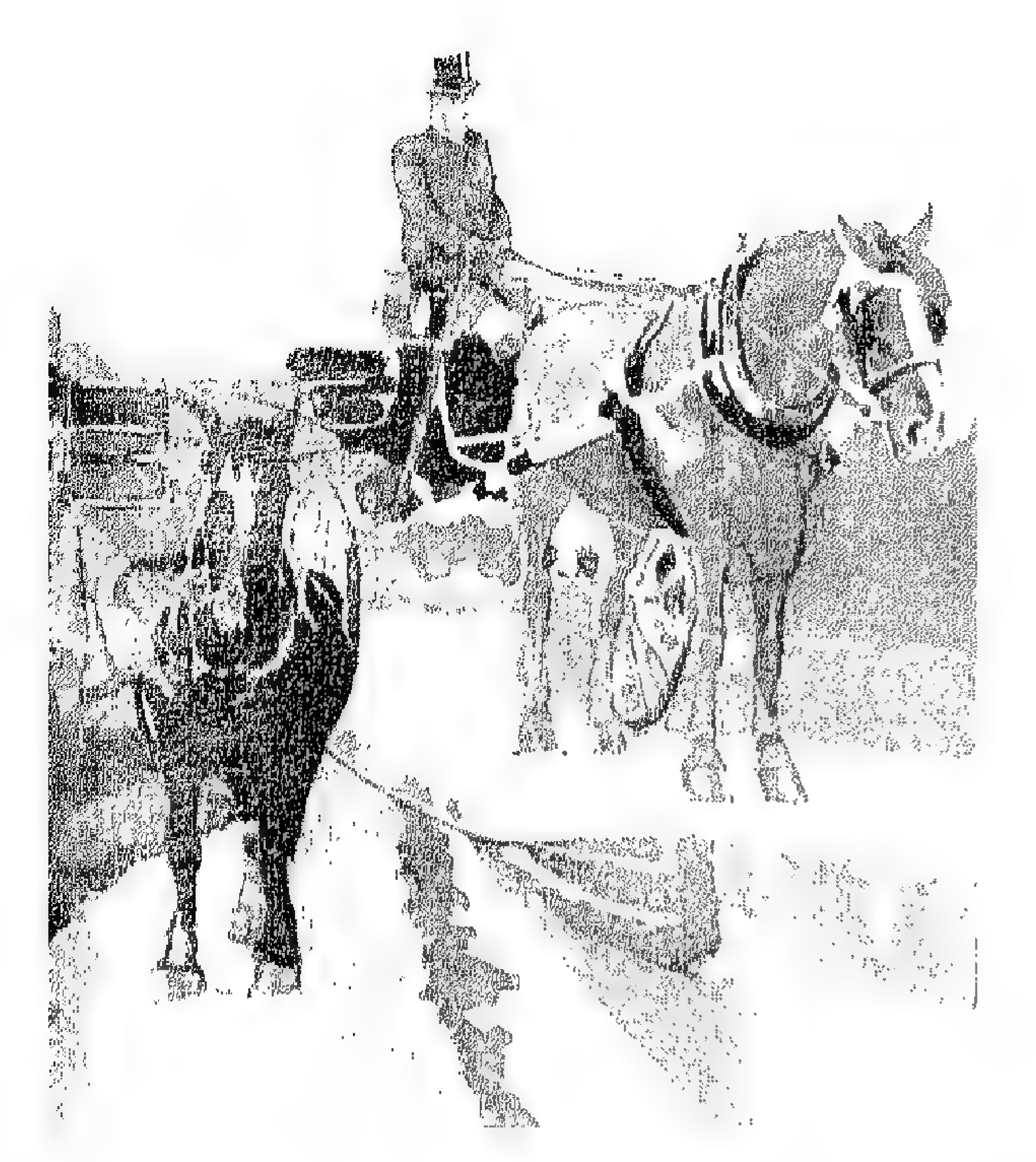
("اوكلاهوما مايزون")

■ اذا ما تذمرت، مرة ثانية، فتذكر ان النفايات التي تطرحها تفوق ما يتوافر لغذاء ٣٠٪ من سكان العالم•

("اوربانس كوميدي فيللرز")

■ المكاسب المادية كالملذات الجنسية، يظن المرء انها تنطوي على اكثر مما هي تحوي، وان نصيب الآخرين منها اوفر من نصيبه•

(روبرت فيدش)



الجمال الأسود

نظرة حنان الى الخيول

روايتها عن الخيول قد تكون اهم لفتة الى هذا الكائن الذي يلقى عادة من الحب والود مقدار ما يلقى من القسوة وسوء المعاملة.

كان وقع حوافر جواد يتردد بعد الظهر في احد شوارع قرية نورفولك صوتا يمكن ان يحطم قلب فارسة أقل شأنا من آنا سيويل. فقد كان هذا الصوت يقول لها - وهي ترقد فوق اريكة في غرفة الجلوس في منزل ابويها - انها لم تعد قادرة على ان تمضي ثانية في نزهاتها التي تحبها في عربتها التي يجرها حصان. لقد اصابها العرج وهي في الخامسة عشرة. وهي الآن، في الحادية والخمسين، ضحية مرض غامض يجعلها تشعر بانها لا يمكنها من الخروج للتنزه. لذلك آثرت ان تقدم جوادها الذي تعشقه ومركبتها الى مدير مدرسة يملكها اخوها فيليب بدلا من ان تغلب انانيتها فتحتفظ بالجواد في وضع خامل من شأنه ان يجر عليه الأذى.

ورأت آنا في هذه النهاية لاحدى



مراحل. حياتها فرصة لبدء مرحلة اخرى. وفي حال من عرفان الجميل للخيول التي امتلكتها طوال حياتها وعطف بالغ على كل الخيول التي تعاني صعوبات، قررت ان تكتب رواية تهذيبية. وكما قالت في تواضع بعد ست سنوات: "كنت اخطّ ما تصورت انه سيكون كتيّبا غايته اثارة الشفقة والعطف والتفهم في معاملة الخيول".

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٧، صدر هذا "الكتاب الصغير" الذي وضع في غرفة الجلوس التي تفوح منها رائحة اوراق الورد في البيت الأبيض في اولد كاتون شمال نوريتش باسم: "الجمال الأسود". وحقق الكتاب هدف آنا على نحو رائع، حتى قيل انه صنع لخير الخيول أكثر مما صنع اي كتاب آخر. وتحول فوق ذلك، الى واحد من الكتب الكلاسيكية، وصوّر للسينما ثماني مرات على الاقل، واخذت عنه البرامج للتسجيلات والاذاعات، وكان مصدر الهام لمسلسلين تلفزيونيين خلبا المشاهدين، وترجم الى عشرات اللغات، وبيع منه اكثر من ٣٠ مليون نسخة، واصبح واحدا من اكثر الكتب انتشارا في العالم.

غير ان القراء الذين وجهت آنا حديثها اليهم في زمن الخيول الذي عاصرته، حين كان الكثيرون يعاملون الحيوانات بلا مبالاة كما يعامل بعض السائقين اليوم سياراتهم، كانوا هم الحوذية والسياس وصبية الحظائر. ولكي تحقق آنا لروايتها اكبر مقدار من الجاذبية، ابتدعت شخصية بطل جميل بالغ الذكاء سمته "الجمال الأسود"، وهو جواد يزيد طوله على متر ونصف متر ويكسو ظهره شعر اسود ناعم "يلتمع كأنه جناح غراب"، وتزين جبهته نجمة بيضاء جميلة، وله ساق بيضاء.

لغة الخيل - ولكي تضفي آنا الحيوية على روايتها - وهي التي نشئت على اقاصيص لافونتين عن الحيوانات - استخدمت اسلوب لافونتين نفسه، واعطت كتابها عنوانا فرعيا هو: "السيرة الذاتية لجواد"، وقالت انها "ترجمة عن لغة الخيول الاصلية". وهكذا صار في وسع "الجمال الأسود" وأترابه في الحظيرة عرض نظرة الخيول على بني الانسان.

ان "ميريلغز" - وهو جواد رمادي بدين يشبه كثيرا جواد آنا - يزمجر قائلا: "يظن الاولاد ان الحصان اشبه بقاطرة يمكن ان تقطع اي مسافة يريدون وفي السرعة التي تروقهم". اما جينجر، احدى صديقات "الجمال الأسود"، وهي مهرة كستنائية اللون عانت اياما قاسية وأثار موتها دموع اجيال من القراء، فتقول في مرارة عن الناس: "اذا كانوا قساة ومن دون مشاعر، فليس في وسعنا ان نفعل شيئا سوى ان نتحمل، ونتحمل حتى النهاية".

كانت آنا تكتب احيانا بقلم الرصاص على قصاصات من الورق، لكنها أحيانا اخرى لم تكن قادرة الا بشق النفس على استجماع قواها لتملي بضع عبارات على امها ماري. وهكذا وضعت عقدة ٤٩ فصلا قصيرا، عمل "الجمال الأسود" خلالها لدى دائرة واسعة من السادة والسيدات. وهو بدأ حياته العملية مع سكواير غوردن، وهو "فارس طيب للغاية، يهتم كثيرا بجواده". ثم اخذ ينتقل من مالك الى آخر، وينحدر شيئا فشيئاً حتى اصبح يجر عربة في لندن حيث انهار انهياراً مأسوياً وهو يجاهد لجر حمل بالغ الثقل. ثم استرد عافيته وارتاح في النهاية - وهو في الرابعة عشرة - الى العمل لدى ثلاث شقيقات مسنات: "لقد انتهت كل متاعبي، وانا الآن في داري".

وفي سخط بالغ على السائقين الذين يلهبون ظهور خيولهم بالسياط حتى تسقط ميتة بين قوائم العربات، قدمت آنا عمداً في قصتها امثلة عن هذا اللون وغيره من الوان القسوة، وخصوصا عذاب اعنة الحمل التي تبقي رؤوس الخيول منتصبة على نحو غير طبيعي. ويقول "الجمال الأسود" في شكوى واتهام: "قبل هذا لم اكن اعرف ماذا يعني ان يعلو الزبد شدقيك... ان البعض يظن ان هذا مشهد طريف ويقولون: "نعم، هذه الكائنات التي تمتلىء حيوية"... ان عنقي وصدري متوتران وهما يؤلمانني، وفمي ولساني ملتهبان".

ولم تضرب آنا المثل فحسب باستخدام اعنة مريحة لجوادها ومركبتها، بل كانت تثير دهشة الراكبين معها اذ كانت لا تستخدم هذه الأعنة، وانما تحث الجواد بحديثها الرقيق على عادة اتباع طائفة "الكويكرز": "عليك ان تسرع قليلا... انك ستشعر بالأسف اذا تأخرنا".

وكانت مشكلتها الرئيسية، وهي تضع كتابها، ان تكتشف تفاصيل الرعاية السليمة للخيول. وكانت سيدات العصر الفيكتوري يتحاشين الحظائر. فأخذت آنا توجه الاسئلة الدقيقة الى اخيها فيليب في زياراته المنتظمة للبيت الأبيض. وكانت النتيجة ان رواية "الجمال الأسود"

تحوي رصيداً غنياً من المعرفة بالخيول، من تغذيتها وسقياها الى تركيب الحدوات ورعايتها الطبية، بل وأدق الاساليب الفنية لترويضها، حتى صاح ادوارد فوردهام فلاور - وهو فارس معاصر شهير وخبير في الخيل - في دهشة عندما قرأ الكتاب: "لقد وضعه جراح بيطري وحوذي وسائس، وما من خطأ واحد فيه كله. كيف امكن سيدة ان تعرف هذا كله عن الخيول؟".

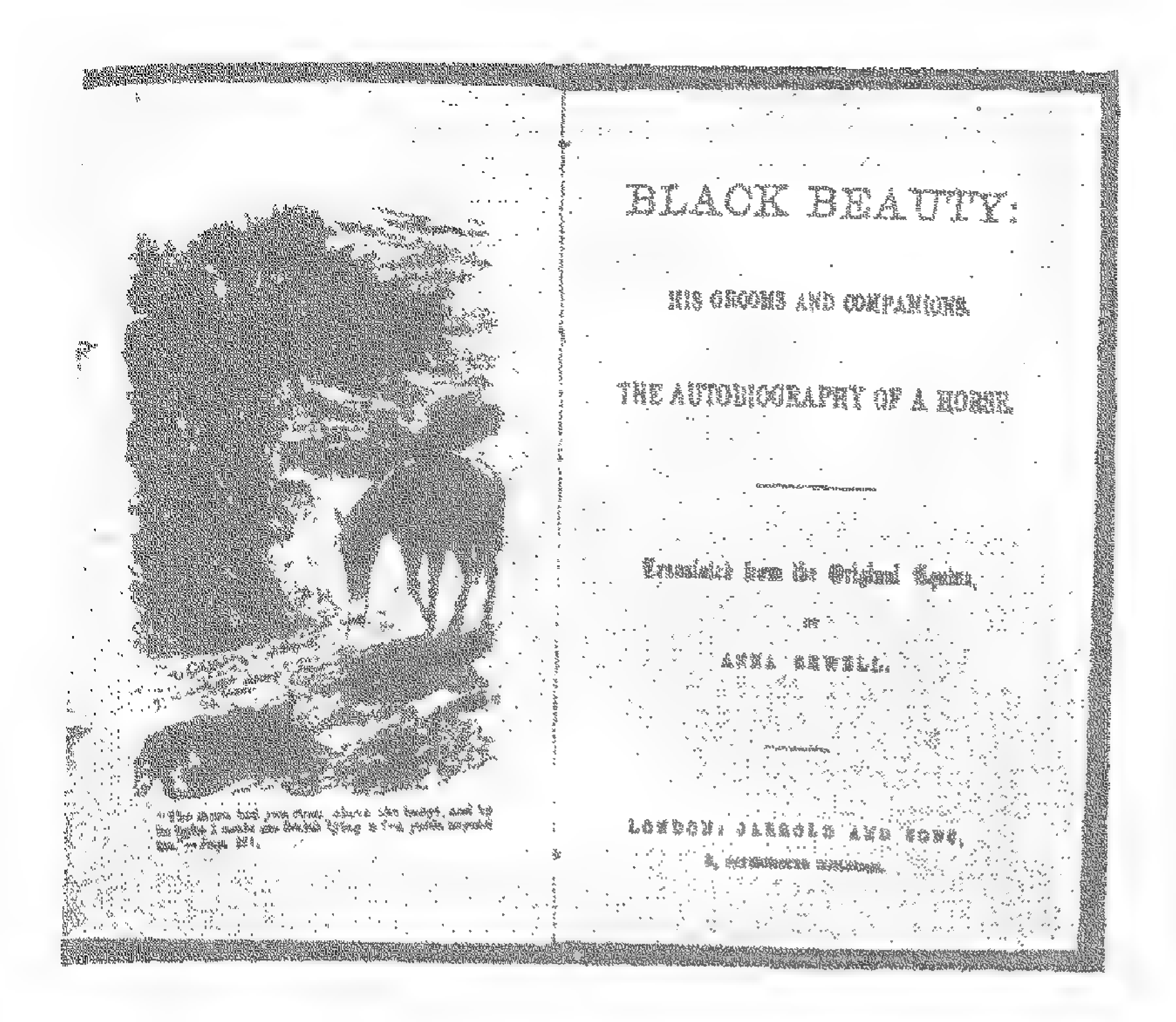
واستندت آنا في كثير من مشاهدها وشخصياتها الى ملاحظاتها طوال حياتها. فبعد وقت قصير من مولدها في بلدة غريت يارموث في ٣٠ مارس (آذار) ١٨٢٠، انتقلت الاسرة الى شارع كامومبل في شرق لندن، وافتتح ابوها اسحق، الذي كان ينتمي الى طائفة "الكويكرز"، محلا يبيع فيه ملابس خاصة بأتباع طائفته. وكانت طفولتها متقشفة صارمة. فكثيرا ما كان آل سيويل يكتفون بالخبز والثريد، واحيانا كانوا يعطون اللحم اسرة مجاورة فقيرة. وصادقت آنا خيل العربات في الجيرة، وهي خيل كانت تنتظر صابرة كيفما كان الجو، وتتحمل اهوال المرور في المدينة، تماما كما كان شأن "الجمال الأسود".

محنة وإبداع - وبعدما افلس محل والدها الأول وتبعه محل آخر في منطقة هاكني، اشترى آل سيويل مزرعة في ستوك نوينغتون، وهناك سقطت آنا والتوى كاحلها وهي تركض عائدة من المدرسة في يوم من عام ١٨٣٥ لتصاب بالعجز مدى الحياة. وارسلت في العطلة الى مزرعة عمها وعمتها جون وآن رايت في نورفولك. والمزرعة، ببستانها وممرها الذي تحف به الاشجار، اشبه ما تكون بموطن "الجمال الأسود" الثاني في بيرتويك بارك. اما سكواير والسيد جوردان، "الخيران، العطوفان على كل امرىء وكل شيء"، فقد استمدت آنا شخصيتيهما من آل رايت.

وانتقلت عائلة سيويل بعد ذلك الى برايتون في مقاطعة ساسيكس حيث اصبح اسحق، الذي لا يستقر على حال، مديرا لاحد المصارف. وانتقل بعد ذلك بعائلته الى لانسينغ وهايواردز هيث وتشيشستر وويك في مقاطعة غلوسترشير وباث.

وفي ويك سحقت احدى العربات سائس الاسرة. وتجد هذه النهاية الأليمة صدى لها في سائس "الجمال الأسود" روبن سميث الذي استسلم لاغراء الكحول (كانت آنا من الدعاة المتحمسين للامتناع عن الخمور)، فأخذ يلهب ظهر "الجمال السود" بسوطه في طريق وعر واحدى حدواته مفكوكة، حتى سقط ولقي حتفه. وفي باث كان ثمة خط للسكك الحديدية وحقل خلف منزل آل سيويل كذاك الذي كان فارمر غراي (وهو شخصية مستمدة من جد آن) يضع فيه "الجمال الأسود" لكي يألف رؤية القطارات.

وادت وفاة زوجة فيليب الفجائية عام ١٨٦٧ - تاركة له سبعة اطفال فضلا عن سبعة ايتام كانا قد تبنياهم - الى ان تنتقل الاسرة آخر انتقال لها الى اولد كاتون على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من منزل فيليب. وعكفت آنا طوال ثلاث سنوات على



غلاف الطبعة الأولى من كتاب "الجمال الأسود" (١٨٧٧)، وهي نادرة اليوم. وقد بيعت احدى نسخ هذه الطبعة بمبلغ ١٣٠ جنيهاً استرلينياً في مزاد علني في لندن قبل ثلاث سنوات، وهي التي لم تكن تساوي في عام صدورها اكثر من شلنين وستة بنسات.

رعاية اطفال فيليب قبل ان تتدهور صحتها. وقالت امها انها اصيبت بعدوى مرض غير معروف. غير اننا - على حد قول سوزان تشيتي التي سردت قصة حياة آنا في كتاب "المرأة التي كتبت الجمال الأسود" - "اذا ما نظرنا بعيون القرن العشرين الاكثر ادراكا، بدت لنا حال آنا اقرب الى كونها عدم رغبة في مواجهة العالم".

وكان فيليب قد تزوج ثانية. اما امها التي حققت مقدارا محدودا من الشهرة عن طريق كتابة الرواية والشعر والاغاني العاطفية، فقد هجرت الكتابة لتشرف على البيت الأبيض. وهكذا لزمت آنا الفراش واصبحت خاضعة لسيطرة امها اكثر من اي وقت. ولم تكن تغادره عادة الا بعد الظهر لكي ترقد على الاريكة.

وحين انتهت من رواية "الجمال الأسود" في مطلع العام ١٨٧٧، حملتها ماري الى "دار جارولدز للنشر" التي كانت تتعامل معها. وعرضت الدار ٢٠ جنيها استرلينيا في مقابل حقوق طبع الكتاب الكاملة. وحثت ماري ابنتها على القبول لانها، ككاتبة غير معروفة، لا يمكن ان تحصل على اكثر من هذا.

تحرير الخيل - في البداية لم يتجاوب القراء مع الرواية. وذكر مندوب دار جارولدز ان مجموع ما بيع من النسخ لم يتجاوز المئة. لكن الحديث ينتشر عن الرواية، واخذت الصورة غير العاطفية للحياة كما تعرضها آنا، من وجهة نظر جواد، تثير سخط الرأي العام وتهز ضميره. وفي العام ١٨٨٣ وقع ٥٠٠ من الاطباء البيطريين عريضة تدين اعنة الحمل الضيقة. وفي ثلاثة اعوام قلّ الى حد كبير عدد المستخدم منها. ووصلت رواية "الجمال الأسود" الى الولايات المتحدة حيث حققت نتائج لم يسبق لها مثيل. ففي العام ١٨٩٢ كان وزع منها مليون نسخة. ورحب جورج ت. انغيل، مؤسس "جمعية ماساتشوسيتس للرفق بالحيوان"،

بهذه الرواية قائلا انها تمثل، بالنسبة الى الخيول، ما تمثله رواية "كوخ العم توم" بالنسبة الى العبيد.

وأدى نجاح الكتاب المذهل في امريكا الى صدور طبعة ثانية في بريطانيا عام ١٨٩٤ حيث سرعان ما اصبح من اكثر الكتب رواجا. وصدرت الطبعة بعبارة تقول: "بتوصية من الجمعية الملكية للرفق بالحيوان". وقد وجدت الجمعية في "الجمال الأسود" سلاحا قويا في حملتها من اجل منع اساءة معاملة الخيول المسنة التي كانت تباع بأثمان رخيصة وتدفع الى العمل حتى الموت، كذلك من اجل الكف عن ضرب خيول عربات النقل والحافلات بالسياط.

لقد كفلت رواية "الجمال الأسود" ظروفا افضل لخيول العربات. لكنها كانت في المقام الأول - باثارتها موجة عطف عارمة على الحيوانات - قوة اساسية وراء صدور قانون حماية الحيوانات عام ١٩١١، وهو القانون الذي يعرف باسم "شريعة الحيوانات" والذي يعد أساساً لأي تشريع لحماية الحيوانات. حتى يومنا.

وبانقضاء فترة حماية حقوق الطبع عام ١٩٢٧، اصدر معظم كبار الناشرين البريطانيين رواية "الجمال الأسود". وما زالت طبعات جديدة منها تصدر كل عام تقريبا. لكن ما بيع من الرواية، حين تدهورت صحة آنا وتوفيت في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٨٧٨، لم يتجاوز بضعة آلاف. ولم تحقق آنا من جهدها الادبي الوحيد اكثر من عشرين جنيها استرلينيا.

وكانت امها - التي عاشت ست سنوات بعدها - اول من واصل حملتها ضد القسوة. ففي يوم جنازة آنا كانت عربة نقل الموتى تقف امام البيت الابيض لتحمل جثمانها الى مدفن طائفة الكويكرز في قرية لاماس المجاورة. وكان المعزون يحتشدون في غرفة الجلوس، حيث كتبت آنا رواية "الجمال الأسود"، حين نظرت ماري من النافذة وشهقت قائلة: "كلا! هذا امر لا يجوز".

وهرعت الى الخارج لتتحدث الى منظم الجنازة، فيما مضى واحد من رجاله لينزع اعنة الحمل عن الخيول.

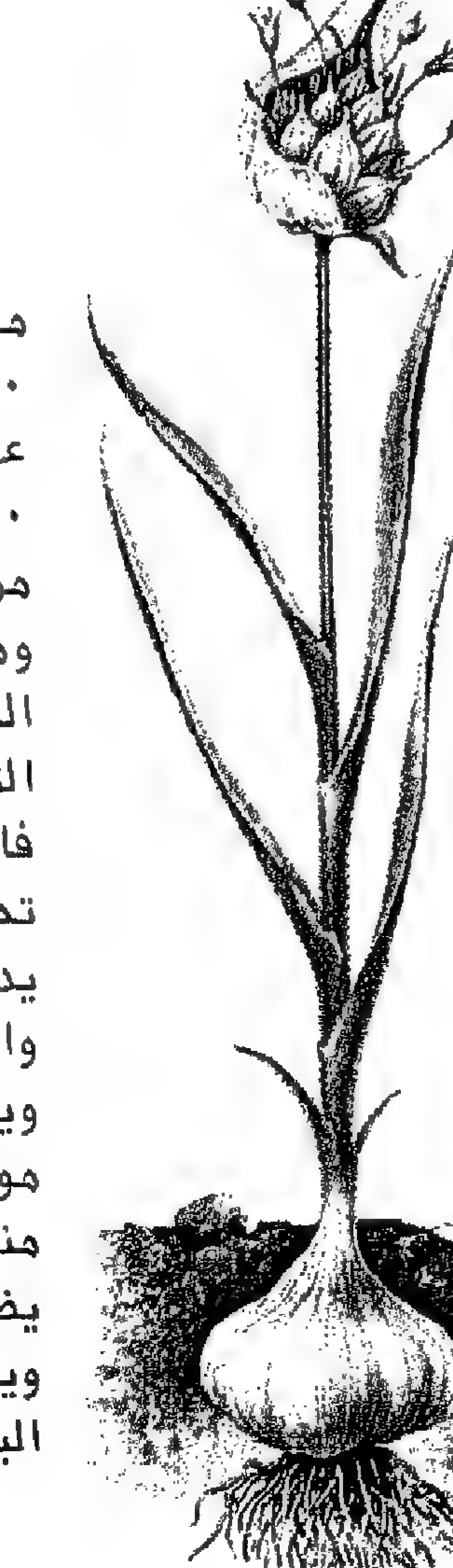
■ مايك تومكيز

اجوبة احجية الطوابع البريدية

١ - يتصاعد الدخان من اليسار الى اليمين، بينما يلوح العلم من اليمين الى اليسار.
٢ - يتطلع كولومبس الى اليابسة عام ١٤٩٢ بالتلسكوب الذي لم يخترع الا في القرن السابع عشر.
٣ - يتبين من الاشرعة ان المركب يبحر بسرعته القصوى بينما ليس فيه ملاح واحد.
٤ - يبدو روبرت شومان، في الاصدار الاول، ووراءه موسيقى من تأليف فرانز شوبرت.
٥ - في الاصدار الثاني صحح عنوان الكتاب.
٦ - في الاصدار الاول كان الخطأ في كلمة "انا" التي جمعت في الاصدار الثاني واصبحت "أنثاس".
٧ - يبدو فرنكلين د. روزفلت بستة اصابع في يده اليسرى.
٨ - طائرة تقليدية تحلق من دون مروحة، خطأ في كتابة (السعودية) بالفرنسية.

الثوم رائع وكثير المنافع

أهو تعويذة للحظ؟ ام علاج منزلي؟ ام اكسير للحب؟ نعم: ان هذه البصيلة السحرية ذات الرائحة الغريبة النفاذة هي كل ذلك معا. اما في المطبخ... آه! فهناك موطن سلطانها الحقيقي.



هل هناك من يدري كيف استولى الثوم بسلطانه الفريد على قابلية البشر؟ فلقد كان لخمسة وعشرين قرنا مضى يسمونه "الوردة العفنة" ومن قبلهم وبعدهم آخرون كثيرون يطلقون عليه مجموعة من الاسماء المختلفة تراوح بين "كافور الفقراء"، و"سم الساحرة"، و"دبس الفقير"، و"قوت العاشق"، وغير ذلك... وايا يكن الاسم الذي يعاود الذهن، فانه يشف دائما عن اعتقاد راسخ في قوى الثوم وطاقاته المذهلة.

ويعود عهد اول حادث مسجل لادمان الثوم الى ٤٥٠٠ سنة، عندما امر عاهل بابلي بتوريد ١٣٩٢٠٠٠٠ ليتر تقريبا من هذا النبات لمائدته، ومنذ ذلك الحين درج الناس على استخدام الثوم في شتى الاغراض: فالى تطعيم غذائهم به تحسينا لنكهته اخذوا يدعكون به اجسامهم واجسام اطفالهم الرضع، ويدفنونه الى جوار موتاهم، ويتقلدون جدائل منه حول اعناقهم او يضعونه في احذيتهم، ويعلقونه على جدران البيوت... بل ويتضرعون

اليه احيانا تضرعهم لما يُعبد.
وقد خلف قدماء المصريين في قبورهم العادية، نماذج للثوم مصنوعة من الطين المدهون باللون الابيض، ووضعوا ست بصيلات حقيقية منه في القبر الذهبي للفرعون توت عنخ آمون، وكانوا مقتنعين بان الثوم - الى مزاياه الطبخية - يحوي سر القوة البدنية: فقد انفق الملك خوفو ٤١٦٠٠ كيلوغرام من الفضة على الثوم الذي اشتراه لتغذية عماله المشتغلين في بناء الهرم الاكبر، والذين يقال انهم اضربوا عن العمل عندما شحت الكميات المتوافرة منه.

واما من الناحية النباتية، فليس للثوم خصائص مميزة فريدة: فهو، اذا ما غرس فص واحد منه في مكان مشمس وتوافر له الماء الكافي، يتم انباته على نحو اكيد من الناحية العملية في اي مناخ معتدل. كما انه لا يتسم باي مظهر جمالي خاص، بل ينمو كضرب من الكرنب في كرات صغيرة على ساق كثيرة العقد متعرجة السطح، تتألف من ٦ بصلات الى ١٣ بصيلة بيضاء متراكبة ومتلاصقة وكأنها لوزات معوجة تكسوها قشرة ورقية.

للرياضيين والجنود والعمال - الا انه منذ اللحظة التي تنشق فيها الانسان اول شمة من هذا النبات او لاك اول قضمة من هذه السوسنة الشاذة (والثوم في حقيقة الامر ينتمي الى فصيلة السوسن)، افترض ان هذا النبات الحريف اللاذع الكبريتي المرير لا بد وان يكون شيئا مميزا غير عادي. فالى الاستعانة به على بناء الاهرامات، كان الثوم يضاف بسخاء الى طعام الرياضيين الاغريق ليزيد من قدرتهم على الاحتمال، والى طعام الجنود الرومان ليمدهم بالقوة في اثناء المعارك، والى طعام عمال المزارع السوريين - في الماضي والحاضر - في اوقات الحصاد. وحين ولد هنري الرابع ملك فرنسا، ابتهج جده - في ما يقال - عندما شاهد الرضيع "يتمصص شفتيه الصغيرتين" لدى احتكاكهما بفص من الثوم، وقد رأى جده في ذلك "علامة على الحيوية الباكرة". وقد لقي الثوم رواجا كبيرا على مدى التاريخ باعتباره منشطا لا مثيل له للقوى الجنسية. اما كيف تبقى الشهوة حية مشتعلة بعد ان تهب عليها انفاس العاشق الفائحة بالثوم، فهو سؤال لا يزال الجواب عنه متعذرا، اذ يكفي المرء ان يبتلع جزءين اثنين من مئة الف جزء من الغرام من زيت الثوم لكي تفوح انفاسه بعطره الرهيب.

ويقال ان رائحة الثوم وحدها كفيلة بان تصنع الاعاجيب لصحتنا. والواقع انه ليس هناك اي نبات آخر قد حافظ مثل الثوم، طوال هذه الفترة الطويلة، على سمعته كدواء للامراض البشرية المختلفة. وقد سجل العلامة الروماني الكبير بليني ٦١ علاجا من الثوم لشتى الاوجاع البدنية، منها: لدغة الثعبان والبواسير والقرحات المختلفة والربو والتقلصات والحصبة والبرد والزكام العادي. كذلك الاطباء الهنود فقد اوصوا في القرن الخامس باستعمال الثوم لتحسين الصوت والقوى العقلية، كما اوصى به الاطباء الفرس في العصور الوسطى للمحافظة على دورة الدم وتنشيطها، ووصفه الاطباء الصينيون كعقار مسكن. وكلما ظهرت حوادث الكوليرا وحيثما نشبت، خلد

الثوم في العالم العربي

مصر هي اكبر منتج عربي للثوم، وهي المنتج الثاني في العالم، اذ تأتي بعد اسبانيا. ومن اصل ١٠،٠٠٠ هكتار زرعت ثوما في العالم العربي عام ١٩٧٧، كان لمصر نصف هذه المساحة. وبلغ انتاجها في ذلك العام ١٥٠،٠٠٠ طن. وهو يفوق نسبيا انتاج اسبانيا في العام نفسه، الذي بلغ ١٩٩،٠٠٠ طن في ٣٧،٠٠٠ هكتار.

وتأتي سورية بعد مصر في انتاج الثوم في العالم العربي. وهي شهدت زيادة في الانتاج بين ١٩٧٠ و١٩٧٧ من ٤٠٠٠ طن الى ١٥،٠٠٠ طن سنويا، فيما تضاعفت مساحة الارض المزروعة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ هكتار.

وبعد سورية تأتي تونس فلبنان. لكن المحصول السنوي بقي ثابتا في هذين البلدين بين ١٩٧٥ و١٩٧٧، اذ بلغ في تونس ٤٠٠٠ طن وفي لبنان ٢٠٠٠ طن سنويا. اما البلدان العربية الاخرى فليس فيها زراعة ثوم تذكر.

والعرب يعرفون منافع الثوم الذي يكون عنصرا رئيسيا في مآكلهم. وفي مصر معامل لاستخراج زيت الثوم، وهو يستعمل لتحسين مذاق الاطعمة المحفوظة. الى ذلك، يستعمل العرب الثوم ومشتقاته كعلاج لبعض الامراض مثل ارتفاع ضغط الدم والديدان المعوية وتشنج الامعاء والالتهابات الخارجية. وهو يستعمل ايضا كطعام للحيوانات.

الناس (كما وقع حديثا في نابولي في ايطاليا عام ١٩٧٣)، الى استخدام فصوص الثوم لتنقذهم من هذا البلاء. وما زال الملايين مقتنعين بان الكلمة الاخيرة في هذا الموضوع هي تلك التي قالها في القرن السابع عشر الاختصاصي في الاعشاب نيكولاس كالبيبر الذي اعيد اخيرا طبع الدليل الذي كتبه والذي جاء فيه: "ان الثوم هو دواء لمعالجة كل الامراض".

للسكري والكوليسترول - وقد يبتسم الاطباء سخرا في أيامنا هذه لدى ذكر افضال الثوم العلاجية. لكنهم لا يجهلون ان فص الثوم المسحوق يعتبر في الحقيقة بمثابة مطهر قوي فعال، بشهادة الاطباء العسكريين الذين جعلتهم تجاربهم الاضطرارية في ميادين القتال ابان الحربين العالميتين يحلفون بافضال عصير الثوم في الوقاية من التسمم والاكال (الغنغرينا) الناتجين عن التلوث. وقد ثبتت صحة دعواهم هذه في عام ١٩٥٤ حين اكتشف احد العلماء الروس ان عصير الثوم كفيل بابادة شتى انواع الجراثيم في مستنبتها خلال ثلاث دقائق. وبعد ذلك، نشرت المجلة الطبية البريطانية الموثوقة "لانسيت" عام ١٩٧٣، دراستين اثبتتا ان في استطاعة عصير الثوم ان يخفض نسبة السكر في دم المصابين بهذا الداء، وان يخفض ايضا نسبة الكوليسترول بدرجة ملحوظة.

ولئن كان الثوم يقصر عن منافسة الادوية التقليدية (فمعدل ابادته للجراثيم لا يزيد على واحد في المئة من فعالية البنسلين)، الا انه مليء بالوعود الطبية في ما يختص بابادة الحشرات والنباتات المؤذية.

وقد نجح عالم الحشرات الهندي شانكار امونكار في انتاج زيت الثوم الاصطناعي واستخدامه بفعالية في ابادة ديدان خمسة انواع من البعوض، من بينها الانواع الناقلة للمرض الفيلي والحمى المخية، والحمى الصفراء والملاريا. كما اثبت هذا الزيت الثومي ايضا انه يتميز بمعدل فعاليته المرتفعة في ابادة اصناف اخرى من الحشرات، كحشرة المنة التي تمتص عصارات النبات، وذبابة المنازل واليسروع حفار الكرنب والملفوف.

غير ان معظمنا - في طبيعة الحال - لا يتلمس السحر الحقيقي للثوم الا في المطبخ. ويقول مؤلف كتاب الطهي الشهير مارسيل بولستان: "ليس من المبالغة في شيء ان نقول ان السلام والهناء يبدآن - جغرافيا - حيث يستخدم الثوم في الطهي". ولربما نسب التحيز الى بولستان لانه فرنسي، لكن الثوم قد استمر أمداً طويلا عنصرا لا غنى عنه في الطهي - ليس في جنوب فرنسا فحسب، وانما ايضا في ايطاليا واسبانيا واليونان - بل وفي الواقع في كل مكان حول البحر المتوسط، فضلا عن جنوب آسيا باكمله حتى الصين واليابان. اما البلاد التي نبذت الثوم فهي خصوصا البلاد الشمالية والبلاد الغربية الباردة المناخ، والتي قد تكون في طبيعتها اقل ميلا الى السلام والهناء. الا ان هذه البلاد ايضا قد بدأت تتعلم.

وليست هناك اليوم ربة منزل واحدة تدعي القدرة على الطهي وتقبل ان تخلو جعبتها من الثوم. وقد زاد استهلاك الثوم في الولايات المتحدة الامريكية بنسبة مئة في المئة على مدى السنين العشر الاخيرة، وقد نشأت صناعته الزراعية وراجت كي تشبع الطلب المتزايد عليه، فامتلأت رفوف المخازن الكبرى للاغذية بالثوم المجفف.

غير ان عشاق الثوم الاصيليين المخلصين لا يعدلون شيئا بفصوصه الطبيعية. ومن اسعد ذكريات اسرتي عدد من الوقائع التي يلعب فيها الثوم دورا بارزا: نزهة خلوية على ساحل امالفي في ايطاليا اكلت فيها قطعة من الخبز المحمص مدهونة بالثوم ومحشوة بالطماطم (البندورة) الطازجة المشبعة بزيت الزيتون، كما يعاودني ذكر غداء حافل في مزرعتنا في توسكانيا قوامه عجة مطبوخة مع شرائح رقيقة من الثوم الطازج، ولحظة لا يمكن وصفها حين عثرنا على نبات فطر (عيش الغراب) عملاق في الغابة وهرعنا به الى المقلاة لنقليه قليا خفيفا بعد دهنه بغشاء رقيق من الدقيق (الطحين) المخلوط بفص او اثنين من الثوم.

كانت تلك اطباقا بسيطة مما يأكله الفلاحون وقلما تتسرب اسرارها الى كتب الطهي. غير انه لا يكاد شخص واحد ممن خبروا مذاق الاطباق الايطالية الشهية، لا ينتهي به المطاف في اغلب الاحيان الى هواية الثوم متيما به من دون تحفظ ولا ندم. لكن افضل الاطعمة الايطالية لا تستخدم الثوم بكثرة على نقيض الانطباع السائد. فكثيرا ما تقتصر ربة الاسرة على وضع فص واحد فقط في طبق المعكرونة اليومي، وهو المقدار الذي تضعه ايضا في طبق لحم الغنم الشهي او في طبق لحم العجل المشوي.

كذلك الفرنسيون فهم اقل سخاء ايضا في استخدام الثوم مما يعتقده البعض. وقد لا يتعدى الامر لديهم مجرد ايحاء بالنكهة في بدائع انواع السلاطات والصلصات الفرنسية. بيد ان الفرنسيين جديرون ولا شك بالجائزة الاولى على اطباق معينة في طبخهم تحتوي على اعلى نسبة من الثوم، من بينها حساء الثوم الفرنسي الكلاسيكي ومايونيز الثوم المسمى "ايولي" الذي ذاع صيته فاجتذب الناس من اطراف الارض ليتذوقوا "البويابيس" (حساء السمك) المرسيلية مع حفنة من "الايولي"، وطبق من الدجاج المقلي المثقل بعشرة فصوص من الثوم.

وهناك الآن حقيقة كفيلة بان تطمئن من التحقوا حديثا بهواية الثوم ولكنهم لا يزالون يتراجعون عنه خشية تعلقه بانفاسهم بعد الطعام. غير ان انفاسك، ايها المتذوق، لا تشي بك ابدا اذا انت اكلت الثوم مطبوخا، وان في طبق الدجاج ذي العشرة الفصوص. ولكنك اذا ما سحقت الثوم نيئا، كما يحدث مثلا حين تمسح به وعاء خشبيا تعد فيه السلطة، فهنالك تنشأ المركبات التي تفوح منها تلك الرائحة الحادة الغلابة. ولاولئك الذين غلبهم الادمان فلم يعودوا قادرين على مقاومة اغراء تلك السلاطات، هناك امل جديد يشرق من اليابان، حيث نجح اخيرا احد المزارعين ممن يعملون في انتاج الرز في ايجاد فصيلة من الثوم عديمة الرائحة. ومن يدري، فقد يحمل هذا الاكتشاف تلك البصيلة السحرية الى ذروة الانتصار النهائي في تاريخها. ■

كلير ستيرلينغ



ذاعت شهرة الجامعة المجاورة لدار الشباب التي نقيم فيها، بسبب سهولة تسرب اسئلة الامتحانات.

وفي اثناء حفلتنا السنوية، قدمت القهوة الى القيّم على هذه الدار بكوب من الورق كانت القهوة تتسرب منه، فقال على الفور مداعبا: "هذا الوضع ينطبق تماماً عليكم، ايها الشبان، فلعلكم قد استخدمتم اوراق اسئلة الامتحانات لصنع هذه الفناجين التي ترشح".

(ب.ك.)

أجود صابون في العالم

تعذر على احد اصدقائي من الخريجين الجامعيين ان يجد عملا له، فراح ينتقل من بيت الى آخر ليبيع مسحوق الصابون لغسل الثياب. وانتهى به الأمر الى دار للشابات، فشئن ممازحته وطلبن اليه ان يتولى غسل ثيابهن التحتية كبرهان عملي على جودة المسحوق.

وامتثل صديقي لمشيئتهن، فكان ردّ الشابات ضحكة جماعية ساخرة.

وهنا قال صديقي مستدركا: "لدي الآن مسحوق آخر يقتضي بالطبع اجراء تجربة عملية مماثلة، وهو مسحوق الصابون الخاص بالحمام!".

ش.ك.ش.

أغربُ مِنَ الخيَال

هناك مجموعة من الحقائق المستغربة تؤكد المثل السائر بأن الحقيقة قد تكون أغرب من الخيال٠

غرائب فيزيائية وفضولية : اذا سقطت حبة من العنب في كأس من الشمبانيا الباردة، اخذت تتحرك صعوداً وهبوطاً باستمرار٠ عندما تدار البيضة المسلوقة في شكل لولبي فانها تقف على احد رأسيها، واما البيضة النيئة او "النيمرشت" فلا تقف كذلك٠ ان كرة الفولاذ تثب الى علو يفوق وثوب كرة المطاط٠ يفرقع السوط لان طرفه المستدق يتحرك بسرعة تفوق سرعة الصوت٠ يصعق البرق الارض مئة مرة في الثانية٠

ملذات الطعام: يستلزم أكل قطعة من الكرفس كمية من الحريرات تفوق ما تحويه قطعة الكرفس قبل البداية بأكلها٠ من الناحية الغذائية، يتضمن سمك الرنكة قيمة وقودية تفوق القيمة الموجودة في شريحة من لحم الخاصرة (الستيك)٠ يبلغ وزن ما يتناوله الفرد العادي من الطعام والشراب في العام الواحد قرابة طن٠

غرائب جسدية : ينتقل العطاس بسرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة٠ تبلغ حساسية العين البشرية درجة يتمكن معها شخص واقف على قمة جبل في ليلة صافية غير مقمرة من رؤية عود ثقاب يشتعل على مسافة ٨٠ كيلومترا٠ الاظافر اسرع نموا على اليد التي تحظى بأفضليتنا٠ يستنشق الفرد سبعة ليترات ونصف ليتر من الهواء في الدقيقة٠ تستلزم الابتسامة تحريك ١٧ عضلة ويستلزم العبوس تحريك ٤٣ عضلة٠ في غضون ٧٢ سنة من العمر ينبض القلب البشري الطبيعي اكثر من ثلاثة مليارات مرة٠

نبذات فنية : كان الفنان بيار اوغست رينوار في اواخر حياته مصابا بالتهاب المفاصل الى حد انه كان يربط الفرشاة بيده كي يتمكن من الرسم٠ يتضح من تماثيل الفرسان – تقليديا – ان الفارس قد قضى نحبه طبيعيا، عندما تكون حوافر الحصان جميعها على الأرض، وأما اذا بقي حافران في الهواء فيستدل من ذلك على ان الفارس قد استشهد في ساحة الوغى٠ واذا بقي حافر واحد في الهواء، فمعنى هذا ان الفارس قد مات خلال المعركة متأثراً بجروحه٠

لمحة عن الحظ : هناك ما لا يقل عن ١٧٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ طريقة لنقل الحجار العشرة الاولى في مباراة الشطرنج. ان مجموع النقاط على الوجهين المتقابلين من مكعب النرد هو دائما ٧.

أنثى العنكبوت وبقية الحشرات : ان انثى العنكبوت الارملة السوداء تلتهم ذكرها بعد الجماع (وفي وسعها ان تقتل ٢٥ طالب جماع في اليوم الواحد). تقدر النملة ان ترفع ثقلا يعادل ٥٠ ضعف وزنها. يستطيع البعوض ان يعيش في المناخ البارد، فقد وجدت اجناس منه على مقربة من القطب الشمالي. قد تعمر ملكة النمل الأبيض قرابة خمسين عاما. يشتمل اليسروع على زهاء ٢٠٠٠ عضلة.

لعبة الالفاظ : ان لفظة "غوغول" تدل على الرقم ١ متبوعا بمئة صفر. محمد اكثر الاسماء شيوعا في العالم. ان لفظة بقشيش ("تيب" بالانكليزية) مركبة اصلا من اوائل حروف الكلمات الثلاث الآتية: لكي يتأمن الاسراع (To Insure Promptness).

علامات طبيعية : في وسع الخلد ان يحفر نفقاً طوله ٩٠ متراً في غضون ليلة واحدة. تستشم الافاعي الروائح بالسنتها التي تلتقطها من الارض او من الهواء. اسرع الاسماك في البحر هي ذات الشراع (سيلفيش) على الارجح التي تبلغ سرعتها القصوى ١٠٩ كيلومترات في الساعة. تكسو جسم القنفذ (الشيهم) قرابة ١٦ الف شوكة. الخفاش هو الحيوان الثديي الوحيد الذي يقوى على الطيران. يستطيع الحصان ان ينام واقفا. لا تشرب الخراف من الماء الجاري، وقد جاء في المزمور الثالث والعشرين "هو يقودني الى ضفاف المياه الساكنة".

رياضيات : تقول النظرية الحديثة للنسبية العامة ان المنحنى هو أقصر مسافة ما بين نقطتين، وانه من الممكن لخطين متوازيين ان يلتقيا، وان الفراغ محدود وغير محدود في آن. اذا ذاب مكعب جليدي في كأس من الماء فانه لا يرفع منسوب الماء، اذ ان الحجم الذي يزيحه المكعب يعادل الحجم الذي يشغله في حاله السائلة. اذ بدأ امرؤ العد منذ لحظة ولادته واستمر كذلك حتى بلوغه السن الخامسة والستين، فانه لن يصل في عده الى البليون (مليون مليون). اقوى مجموعة لونية في اثرها البصري هي التي تجمع بين الاسود والأصفر.

عوامل البرد : لم يعثر احد اطلاقا على كسفتين ثلجيتين متماثلتين في تركيبهما البلوري.

■ ديفيد لويس



بين الضحكة والقبلة

كتبت مارسيل كابرون في "الفيغارو":

هناك مشهد لا يتصوره العقل في باريس: عندما يتيح سائقو السيارات لانفسهم متعة الضحكة، فقد يستفرق ذلك بعض الوقت. وعندما يتيح العاشقون المشاة لانفسهم ان يتوقفوا لتبادل القبل وسط الطريق فذلك يشل حركة المرور.

مَن هُم السُعَداء في الحَياة؟

معظم الناس يعلمون في اوقات التعاسة انهم تعساء، وكثيرا ما يدركون ايضا انهم يعيشون لحظات من السعادة العابرة. اما السؤال الآن فهو: "من هم السعداء في الحياة؟" وليس من السهل الجواب عن هذا السؤال. فربما كان الاختبار الآتي الذي وضع على اساس الميزات المشتركة بين السعداء، مفيداً في تقدير درجة السعادة التي ننعم بها.

حاول، اذا، ان تختار لكل سؤال اقرب الاجابات الى التعبير عن شعورك او حالتك. (ولا تحاول ان تختار من الاجابات ما يبدو لك اقرب الى السعادة، فمثل هذه الاجابات لا تنطوي بالضرورة على ما تدل عليه). اما اذا بدا لك ان ايا من الاجابات ليست هي الصحيحة، فيمكنك ان تتحقق من صحة اجابتين فقط، وليس اكثر من ذلك.

١ - أي الوظائف تختار من بين الوظائف الآتية؟

أ - مهمة صعبة فيها امتحان لقدراتك، حتى انك اذا وفقت فيها حصلت على ترقية الى وظيفة ادارية كبرى.

ب - وظيفة يمكنك ان تبرز فيها لأنها مناسبة تماما لقدراتك ومواهبك.

ج - وظيفة متواضعة تقتضي منك العمل مع شخصية مهمة في مركز رفيع.

٢ - هل تحب اسداء المعروف؟

أ - نعم، قلما أرفض اذا سئلت.

ب - نعم، اذا كان ذلك في متناولي وفيه مساعدة حقيقية لشخص ما.

ج - كلا، لا احب ذلك. ولكن اسدي الجميل اذا شعرت بأنني مدين به للشخص المعني، او اذا كان هناك سبب ملزم.

٣ - اي من الاوصاف الآتية يطابق طريقتك العادية في النوم؟

أ - النوم العميق، مع بعض الازعاج للاغراق في النوم.

ب - النوم الخفيف، مع سهولة التيقظ.

ج - النوم السليم، مع بعض الصعوبة للاغراق في النوم.

٤ - هل تشعر احيانا بانك في حاجة الى ان تكون منفردا بنفسك؟

أ - بكل تأكيد. فان اهنأ اوقاتي وانسبها للابداع هو عندما اكون في مفردي.

ب - كلا، فأنا احب ان أجالس الآخرين.

ج - كلا، فاني اتحمل الوحدة عندما اكون في مفردي، لكنني لا اشعر بحاجتي اليها.

٥ - ما هو مدى اهتمامك بالمحافظة على الترتيب والنظافة حولك؟

أ - ذلك امر شديد الاهمية. في امكانـي ان اتـحمـل الاهمـال مـن الآخرين، ولكن لا اسمح به لنفسي.

ب - ذلك امر مهم، ولكم اود ان اكون اكثر نظافة وترتيبا.

ج - ذلك امر له اهمية، وانا اميل الـى الترتيـب، ولسـت احـب القذارة او الفوضى.

د - لا أهمية لذلك. افضل ان اكون في بيت ينقصه الترتيب ويأخذ سكانه الامور مأخذا سهلا، على ان اكون في بيت منظّم يتصف سكانه بالتزمت والصرامة.

٦ - من هو الشخص الذي يستبعد ان ترغب في صداقته؟

أ - المدعي والمتنفج (سنوب) المقلد لمن يعتبرهم ارقى منه.

ب - المتنمر على من هم اضعف منه ولا يقوون على ردّ عدوانه.

ج - الرجل الفج، الفظ، غير المهذب.

٧ - كم مرة في الاشهر الستة الماضية تغيبت عن العمل بسبب المرض؟

أ - لم يحدث ذلك على الاطلاق.

ب - مرة واحدة.

ج - مرتين أو اكثر.

٨ - اذا طرأ حادث مؤسف لشخص عزيز عليك كأن يتوفى صديق له تربطه به علاقة حميمة، فماذا يكون موقفك؟

أ - احاول ان اواسيه وابدد حزنه.

ب - اشاطره الاسى، فاتألم معه حينما يتألم.

ج - ابدي له اسفي لمصابه، لكنني استمر في معاملتي له كما ألفت في الاحوال العادية.

٩ - الى اي حد انت حريص على دقة المواعيد؟

أ - انني حريص على ذلك الى اقصى حد، لأن لي حاسة دقيقة بالوقت.

ب - اخالف المواعيد الى حد بعيد. وحتى اذا قصدت مكان الموعد المضروب في وقت مبكر، فانني لا اصل ابدا في الموعد المحدد.

ج - يختلف الأمر من حال الى اخرى. فانا احافظ على المواعيد في بعض الأمور، واتأخر عنها في امور اخرى.

د - انني احافظ عادة على المواعيد، فاصل الى المكان المعين في الوقت المحدد.

١٠ - الى اي مدى يستمر جفاؤك للشخص الذي اساء اليك؟

أ - لفترة طويلة، فلست اغفر الاساءة على الاطلاق.

ب - لست ممن يحنقون لان الحنق ليس سوى وليد عقل مضطرب.

ج - لا لفترة طويلة. لكنني عرضة للزعل، وانما يندر ان احتفظ بضغينة.

د - لا يطول غضبي لكنني اقرر عادة ان اتجنـب الشخـص المعنـي واقاطعه.

١١ - افترض انك ورثت بضعة ملايين من النقود، فماذا يكون شعورك حينئذ؟

أ - شعور بالبهجة الكاملة.

ب - اتوقع المشكلات، وان كنت

أتقبل المال الذي آل الي".

ج - يتملكني القلق حيال التصرف بمثل هذا المبلغ الضخم، بسبب اضطراري الى مواجهة حياة جديدة تماما.

١٢ - ما هي الصفة التي تروقك ان تجدها في شريك العمر؟

أ - جمال الطلعة.
ب - الغنى.
ج - الذكاء.
د - الانسجام.
هـ - العشق الرائع.
و - التفاهم.

١٣ - ما هو اقرب الاوصاف الآتية الى مفهومك للحياة الاجتماعية؟

أ - اميل الى اصطفاء مجموعة قليلة من الاصدقاء.

ب - اتميز بالنشاط الاجتماعي الواسع النطاق ولي معارف بالمئات.

ج - لي اصدقاء كثيرون، لكنني لا اواظب على الاتصال بهم، فاقتصر عادة على معاشرة من يأتي الي منهم ايا كان.

١٤ - على اي جملة من الجمل الآتية توافق؟

أ - يمر الوقت بسرعة، وكأنه يمر في طرفة عين.

ب - يمضي الوقت ببطء شديد.

ج - الايام طويلة، لكن الاسابيع والأشهر سريعة المرور.

د - يبدو ان الايام تمر بسرعة، لكن الاسابيع والاشهر تتباطأ.

١٥ - ما رأيك في وضعك الحالي من حيث الصفات الشخصية والاصدقاء والاسرة والعمل وآفاق المستقبل؟

أ - وضع رائع، والمستقبل مشرق.

ب - وضع جيد. قد لا اكون في وضع رائع لكنه لا بأس به، وهو يتحسن باطراد.

ج - رأيي حول وضعي يختلف من وقت الى آخر. فاحيانا ارتاح الى نفسي واحيانا اخرى لا ارتاح.

راجع اجاباتك على اساس القائمة الآتية، وامنح نفسك نقطة على كل اجابة صحيحة.

١ - ب	٤ - ج	٧ - ا أو ب	١٠ - ج	١٣ - ج
٢ - ب	٥ - ج	٨ - ج	١١ - ا	١٤ - د
٣ - ا	٦ - ب	٩ - د	١٢ - د	١٥ - ب

اجابات "المختار"
عن اختبار "من هم السعداء في الحياة؟"

اذا حصلت على نقطتين او اقل فان معنى هذا، لسوء الحظ، ان حياتك تخلو من السعادة. اما اذا حصلت على اربع نقاط فيعتبر ذلك مجموعا جيدا، كما تعتبر النقاط الست مجموعا جيدا جدا. واذا كان المجموع سبع نقاط او اكثر، فمعنى ذلك انك انسان سعيد. وفي ما يأتي وصف لكل حالة، مع عدد الاسئلة التي تتضح درجة سعادتك من "صحة" الاجوبة عنها:

من هم السعداء في الحياة؟

الشخص السعيد هو الذي يأتي من الأعمال بما هو نافع ومثمر، ويستغل قدراته على نحو كامل (١)، وهو الذي يسعده ان يساعد الآخرين، لكنه لا يضحي بمصلحته (٢)٠ وقد وجد الباحثون ان الشخص السعيد لا يصعب عليه ان ينام (٣)، وهو يميل الى الاكتفاء الذاتي، ويمكنه ان ينعم بالانفراد كذلك بصحبة الآخرين، لكن حاجته الى ايهما ليست حاجة مطلقة (٤،١٣)٠ وهو عادة شخص يحب الترتيب وحريص على المواعيد (٥،٩)٠

والشخص السعيد يغفر للناس هفواتهم، لكنه يكره القسوة والنزوع الى التدمير (٦) ٠ وهو سليم الصحة (٧) ولا يبالي بالرخاء المادي (١١)، ويأبى ان يشارك الآخرين في انفعالاتهم السلبية (٨) او ان يظل اسير انفعالاته (١٠)٠ فاذا اراد ان يختار شريكة العمر اختار شخصية تناسبه بدلا من ان يختار شخصية تتحلى بالمعاني الرومنطيقية وسمات الحسن الخلابة (١٢)٠ وهو كشأن الاشخاص النشطين المنكبين على اعمالهم، يشعر بان الايام تمر بسرعة وان تبدى له ان الوقت في وحداته الكبرى - من اسابيع وأشهر واعوام - يطول بلا نهاية (١٤)٠ ويمكن القول اخيرا بان الشخص السعيد يشعر بانه في تقدم وتحسن وبأنه في سبيله الى تحقيق غاياته (١٥)٠



يقول المسرحي الفرنسي ساشا غيتري: "يحسن بالمرء ان يقرأ بين السطور، لان ذلك اقل تعباً للعيون"٠

عودة الروح

غرق احدهم في الديون، فلم يبق له من حيلة سوى الانتهاء من الحياة٠ فقال له جاره الصيدلي: "لماذا الموت، يا احمق! سأعطيك جرعة من الدواء تتخدر معها حيويتك، وعندئذ اقول للجميع بانك توفيت ثم انتقل بجسدك الى ولاية اخرى حيث يمكنك الانتعاش وبدء حياة جديدة"٠

فقبل المديون، وفي اليوم التالي سجي في قاعة الاستقبال حيث جاء المعزون واقبل كذلك الدائنون٠ فقال الدائن الاول متأسفا: "لماذا فارقتنا يا عزيزي، صحيح انك مدين لي بخمسة عشر الف دولار، ولكن ما قيمة هذا المبلغ بين الاصدقاء؟"٠

ثم تقدم الدائن الثاني، وقال: "الم يكن الاحرى بك ان تطلب الي تمديد تاريخ الاستحقاق؟ صحيح انك مدين لي بخمسين الف دولار، ولو قلت لكنت ارجأت ايفاءها الى اجل غير محدود"٠

ثم تبعه دائن ثالث وقال: "انت، يا قذر، مدين لي بمائتي الف دولار، والآن فقد فقدت منزلي وعملي بسببك، غير انني سانتقم لنفسي منك، ولو انك ميت، بطعن قلبك طعنة نجلاء بهذا الخنجر الحاد ثم اقتله في داخله فتلة عن كل دولار"٠

وعند سماعه هذا التهديد، لم يلبث الميت ان فتح بحرص طرف عينه، ورفع سبابته وقال: "مهلا، فانت سأفيك دينك"٠

(اوربنز كوميدي فيلارز)

يقبل الرياضيون في انحاء العالم، هواة ومحترفين، على تعاطي المنشطات على نحو مطرد الازدياد مما بات يدعو الى بذل اهتمام خاص بهذه المشكلة التي من شأنها الاساءة الى الرياضة والرياضيين وعشاق الرياضة على السواء.

الرّياضيّون والعقاقير المنشّطة

راح ناسيلي اليكسييف يتباهى بخطى واسعة على خشبة المسرح في حلبة سان مايكل في مونتريال (كندا)، بينما تتعالى هتافات الجمهور في حماسة شديدة. فقد سبق له ان نال لقب اقوى رجل في العالم، وها هو الان تملأه الثقة بالحصول على ميداليته الاولمبية الذهبية الثانية لرفع الاثقال في الوزن فوق الثقيل، فيسجل بذلك رقما قياسيا عالميا في الرفع والنتر.

وكانت الثقلة المعدنية ملقاة على الارض وفي طرفيها اقراص حديد تضاف اليها اقراص جديدة لكي تبلغ الوزن المذهب الذي يعادل (٢٥٥ كيلوغراما) بينما لا يقل وزن اليكسييف عن ١٥٦ كيلوغراما، واقفا في ثبات بصدره العامر داخل بزته الحمراء، يحدق الى الثقلة من جميع جنباتها. ثم اقترب منها في تؤدة واغمض عينيه لحظة وامسك بقضبة الثقلة ثم اطلق تنهدة عالية وانتشلها الى كتفيه ثم رفعها الى ما فوق رأسه مترنحا قليلا الى الوراء وعضلاته المشرئبة ترتعش وقد اطبق اسنانه في عزم ثابت وتصميم عنيف. وما ان تأكد من سيطرته عليها حتى تصلب جسمه في سكون ظافر، وافلت الثقلة قذفا فارتطمت بالارض من دون ان يتردد لها صدى وسط صيحات الجمهور المسحور وهتافاته للبطل.

ولكن هل تقدم اليكسييف لاجراء المعاينة الطبية قبل المباراة امام اللجنة الاولمبية الدولية في مونتريال؟ ام انه كان خارج المدينة في ذلك الحين ولم يتسن بالتالي فحصه للكشف عن تناوله بعض المواد المنشطة او غيرها من العقاقير المحظورة؟ ام هل عمد، كما يشك بعض المسؤولين والمتبارين المتنافسين، الى ازالة كل آثار الهرمونات المنشطة من جسمه

قبل خضوعه لمعاينة تعاطي العقاقير؟

قد لا تلقى مثل هذه الاسئلة جوابا مطلقا لعدد من الاسباب، بينما ان هذه المعاينة لا تطبق على جميع المتبارين قبل المباراة. وفاز اليكسييف بالميدالية الذهبية واجرى فحصه الطبي بعد المباراة.

ليس ثمة رياضي او مسؤول سوفييتي لديه ذرة من العقل يجرؤ على افشاء شيء عن استعدادات اليكسييف قبل الالعاب الاولمبية. ولكم يتعذر على الاتحاد الدولي لرفع الاثقال، بعد الحيرة التي واجهها بسبب حرمانه بولونيا وبلغاريا الميدالية الذهبية بحجة تعاطي المنشطات، ان يعرض سمعته للانتقاص عن طريق اتهامه بحساسيته السياسية بدلا من روحه الرياضية البحتة.

الا ان الدلائل كلها في ذلك اليوم في مونتريال كانت ايجابية في نظر جورج فرين اللاعب الاولمبي من رماة المطرقة في الولايات المتحدة. وقال فرين ان وجه اليكسييف كان منتفخا على نحو غير عادي وكأنما يوشك ان يتفجر من بشرته. وان تلك هي في العادة علامة تناول العقاقير وخصوصا المنشطات، بالاضافة الى تلك الكريات الكوليسترولية الصغيرة التي تتجمع تحت مقلة العين بسبب جرعة مفرطة من "الاستيرويد".

التغذية بالنار – لم يعد مشهد تعاطي العقاقير في نظر فرين وغيره من الرياضيين المعنيين والسلطات الطبية مجرد ستار من دخان لتحسين الاداء الرياضي وانما اصبح حريقا مستعرا في غابة لا يفهمه المسؤولون ولا يملكون الوسائل لمكافحته. ويخشى بعض الرياضيين ان يسقط ذات يوم لاعب ذو مكانة عالمية من رماة الكرة الحديدية مغشيا عليه في احدى الحلبات الاولمبية او ان ينهار احد لاعبي الهجوم في مباراة كبرى للبولينغ ضحية جرعة مفرطة من العقاقير.

وقد تجلت الاخطار التي ينطوي عليها هذا الوضع في ما حدث اخيرا لاحد ابطال سباق الجري الذي اخذ يسرف في تعاطي العقاقير بعد ان انضم الى جمعية رياضية اعتقادا منه بان الامفيتامينات ومركبات "الاستيرويد" ستزيد من قدرته وعنفوانه، وانتهى الامر بانه فقد كل سيطرة على نفسه بعد مباراة للبطولة جاء ترتيبه فيها الثاني بينما كان يتوقع الفوز.

فعلاوة على ١٤٠ ملليغراما من "ابوترول ٤٠"، الذي يعد من أشد الامفيتامينات فعالية، تناول المهدئات والكحول.

وقد ادى به هذا المزيج القوي الى حال هياج شديد في فندق محلي، فحطم مثبتات الاضواء في الغرف وانتزع اجهزة اطفاء الحريق من الجدران، ثم ظهر الشاب الجامح الذي يزن ١٤٥ كيلوغراما في غرفة اثنين من الرياضيين اللذين اعوزتهما المساعدة للسيطرة عليه.

وقد اسفر هذا الحادث عن احراج كبير للجمعية الرياضية التي ينتمي اليها، وعن اتخاذ الاجراءات التأديبية ضده.

اخطار الامفيتامينات – من شأن العقاقير التي يتعاطاها الرياضيون

عموما انها تساعد في تحسين مستوى الاداء او اعادة اللياقة الى مستواها العادي. وعلى رأس قائمة المنشطات الظرفية ترد الامفيتامينات، (ومعظمها محظور من جانب الاتحادات الرياضية الدولية). وقد اقترنت الامفيتامينات بكل انواع الرياضة تقريبا، من سباق السيارات الى المصارعة. فهي تزيل الجوع (تغري الملاكمين وفرسان السباق والمصارعين) وتسرع التنفس وتنشط القلب والمخ.

وبعض الامفيتامينات اقوى من بعضها الآخر. ففي مقدور خمسة مليغرامات من هيدروكلوريد الميتامفيتامين مثلا، (يباع في شكل حبوب بيضاء تعرف تجاريا باسم ديسكوكسين) ان تزود الفرد بقوة عارمة وان تخلف لديه احساسا بالثقة ومزيدا من التركيز عندما يتطرق الشك الى النفس، وهكذا تصبح الحبة منه بمثابة دعامة لرامي القرص او رافع الاثقال المرتاب في مقدرته على بلوغ هدفه. وقد تكون بالنسبة الى لاعب كرة السلة عاملا يساعده على الاستمرار في الانطلاق بسرعة حين تدعو ساقاه المتعبتان الى التراخي.

ولكن للعقار نصيبه ايضا من المشكلات. فكثيرا ما تتذمر زوجات بعض لاعبي كرة القدم المحترفين من اساءة معاملة ازواجهن لهن كرد فعل لتعاطي العقاقير في النهار، وان يكن احد منهم لا يعترف بذلك علانية، وهن عاجزات عن وقف ازواجهن عن تعاطي الحبوب لانهن يدركن ان مستقبلهم يتوقف على مدى حسن ادائهم الرياضي.

وتقول المصادر القريبة من الرابطة الوطنية لكرة القدم في الولايات المتحدة الامريكية ان اكثر المسرفين في تعاطي الامفيتامينات بين محترفي اللعبة هم لاعبو الهجوم والدفاع الذين تدعوهم الحاجة خصوصا الى بذل مزيد من النشاط في الصراع الفردي المتوالي عند نقاط التحصين. ويقول لاعب احد النوادي: "اذا شئت ان تكون في مقدم اللاعبين هنا فعليك ان تتعاطى الامفيتامينات".

لكن الباحثين الطبيين يرون ان للامفيتامينات سيئات تفوق بكثير فوائدها. فهي، الى الاضطرابات السلوكية المحتملة التي تحدثها، تتسبب عادة بالنسبة الى الذين يكثرون من استخدامها وادمانها في مضاعفات طبية تتفاوت بين نزف المخ والمشكلات الغذائية. وهناك نزعة ايضا بين الرياضيين الى الاعتقاد بانهم اذا شعروا بشيء من العافية لمجرد تناولهم حبة واحدة، فقد يصبحون في وضع رائع اذا هم تناولوا حبتين. ولكي يستعيد الرياضي وضعه السوي على اثر تعاطيه جرعة كبيرة من المنشطات، فانه غالبا ما يضطر الى استخدام المهدئات فيقع من جراء ذلكفي حلقة مفرغة لا نهاية لها.

اعتقال العضل - وقد حدث منذ سنوات ان عمد احد رافعي الاثقال، في سعيه الى تسجيل رقم قياسي، الى اخذ حقنة من "الادرينالين" وثلاث حبات من الامفيتامينات قبل المباراة بعشرين دقيقة. وعلى رغم انه زعم قبل المباراة انه لم يشعر

ابدا من قبل بمثل هذه القوة، فانه سقط مغشيا عليه في اثناء المباراة ولم ينقذه الا الاسعاف بالاوكسيجين وتدليك الصدر.

وليست الامفيتامينات هي العقار الوحيد في جعبة الرياضيين. فقد اصبح الكوكايين هو العقار الناجح الشائع. ويعتقد بعض لاعبي "البيسبول" ان الكوكايين يشحذ قدرتهم على التركيز ويجعلهم اكثر توفيقا في اصابة المرمى. ويقول اللاعبون الذين يستنشقون الكوكايين عرضا في ايام المباريات انه يقي سواعدهم التصلب ويعوق الاحساس بالكلل والوجع.

اما مركبات "الاستيرويد" التي حظرتها اللجنة الاولمبية الدولية، ولا يزال الرياضيون مع ذلك يستخدمونها على نطاق واسع، فقد اصبحت هي المصدر الاكبر للنقاش في الطب الرياضي الدولي. ومثال ذلك ان اوي باير احد ابطال رماة المطرقة في المانيا الغربية قد فاز في ١٩٧١ وهو في الثانية والثلاثين من العمر ببطولة اوروبا وحطم الرقم القياسي العالمي في هذا المضمار. وقد اوردت التقارير الصحافية تصريحا له قال فيه انه اعتمد على مركبات "الاستيرويد" في برنامج تدريبه استعدادا للالعاب الاولمبية في مونتريال الى حد انه حين انقطع عن تناول الحبوب اضحى فاتر الهمة ومكتئبا يشعر بهبوط في قواه الحيوية ويائسا من الفوز بأي شيء. وقد عانى اعراض الاقلاع وهو ما يعانيه مدمن المخدرات.

ومركبات الاستيرويد المنشطة هي مستحضرات من الهرمونات الذكرية الطبيعية والتوليفية التي لها اثار بناءة على العضلات وتساعد على زيادة الوزن، غير ان لها علاقة ايضا بسماكة البشرة ونمو اللحية، ونمو اعضاء الذكورة وانخفاض طبقة الصوت. ومن اكثر ما تردد في صدد الالعاب الاولمبية في ١٩٧٦، السؤال الذي وجه الى مدرب من المانيا الشرقية لمعرفة سر انخفاض اصوات السابحات الالمانيات. فرد المدرب: "لقد جئنا لنسبح لا لنغني".

غير ان بناء العضلات عن طريق تعاطي مركبات "الاستيرويد" يحمل الرياضيين على الاعتقاد بان العقار سيزيدهم لياقة وقوة وسرعة. لكن استعمال هذه المركبات بالنسبة الى الكثيرين لا يتجاوز، ويا للاسف، مرحلة التجربة والخطأ. وقلما نجد بين المعلومات العلاجية المتاحة من شركات الادوية بينات عن المقادير الصحيحة التي يمكن ان يستفيد بها الجسم في الاداء الرياضي. ومن شأن القيام بتجربة جرعات كبيرة غير عادية من مركبات "الاستيرويد" خلال فترة قصيرة من الوقت، ان يؤدي الى الغثيان وفقد الشهية.

ثمن الفوز – لقد اصبح الالمانيون الشرقيون مصدرا للتخمين المستمر حول استخدام التجارب العلمية، بما في ذلك العقاقير، لزيادة قوة رياضييهم وسرعتهم. ويقول الطبيب الدكتور الويس مادير، العضو السابق في البرنامج الطبي للرياضة في المانيا الشرقية والذي انضم الى الغرب منذ سنوات، ان هناك مراقبة مستمرة للرياضيين على مختلف المستويات خصوصا قبل المباريات

وفي اثنائها وبعدها كذلك. وتجري تغييرات في برنامج تغذيتهم وتدريبهم بما يتناسب مع مستويات معينة من الاجهاد. وقد تسبب هذا النهج في اثارة الحقد والانقسام بين كثير من الرياضيين والمدربين والمسؤولين في الغرب، وهم يتساءلون ما اذا كان الفوز يستحق مثل هذا الجهد العلمي المكثف.

ويقول الجراح الدكتور ايرفنغ دارويك رئيس اللجنة الطبية التابعة للجنة الاولمبية للولايات المتحدة الامريكية والتي انشئت حديثا: "ان الرياضيين يفضلون عدم تناول مركبات "الاستيرويد" فهم لا يشعرون بانها مفيدة او صحية ولكنهم يخشون مغبة عدم تناولها بسبب جهلهم لما قد يفعله المنافسون لهم".

وتتخذ الان بعض التدابير الوقائية ازاء سوء استخدام العقاقير. فالاتحاد الدولي لرفع الاثقال مثلا، بعد ان احرجه اعلان عدم اهلية بعض الرياضيين في مونتريال بسبب تعاطي مركبات "الاستيرويد" والتقارير الواردة عن استخدام الحبوب في مباريات البطولة الوطنية، قد اعتمد تنظيمات جديدة تقضي بعدم الاعتراف بارقام قياسية عالمية ما لم تكن هناك تدابير لمراقبة عدم استخدام المنشطات في المباريات، كما تقضي بتشكيل فرق للتحقيق بصفة منتظمة ومراقبة بقية البطولات الوطنية والدولية.

وكان، ويا للاسف، اتخاذ الاتحادات والرابطات اجراءات صارمة وتشديد القيود على توزيع الامفيتامينات باعثا على تلمس هذه العقاقير في الخفاء. ويقول جورج فرين لاعب رمي المطرقة: "ان الرياضيين لن يكفوا عن تناول العقار لمجرد عدم توافره رسميا. ولكن المؤسف هو ان العقار الذي يباع بطريقة غير مشروعة سيء النوع ولا يخلو من التلوث، بسبب انعدام مراقبة الجودة في بعض المصانع، ومن المحتمل والحال هذه، ان يشتري المرء سم الفئران بدلا من الدكسيدرين".

ولكن، هل يستطيع الرياضيون ان ينقطعوا عن العقاقير؟ وهل تستطيع المنظمات الرياضية ان تتحمل فضائح كبرى بسبب تعاطي العقاقير؟ ولم يكن اقدام اتحاد الدراجات البلجيكي في ابريل (نيسان) ١٩٧٧ على وقف فريدي مارتنز وايدي ميركس واربعة آخرين مع وضعهم قيد المراقبة لمدة سنة، بسبب استخدام عقار محظور لمقاومة التعب، سوى عقوبة خفيفة. ولكن ماذا يستطيع الاتحاد ان يفعل غير ذلك؟ فهو في حاجة الى النجوم من اجل بقاء الرياضة. ومن ثم فان العقاقير تشكل مصدر ازعاج لا بد له ان يتحمله. والواقع انه ليست هناك رياضتان يمكن ان تتفقا على طريقة مكافحة مشكلات العقاقير على نحو ناجع، كما ليست هناك وكالات وطنية لسد الفجوة القائمة بين الرياضيين والمسؤولين.

ويقول فرين: "لقد حان الوقت لمواجهة المشكلة. فلنجلس معا ونرى اين نحن الان؟ والى اين نحن ذاهبون؟ قبل ان يفوت الاوان".

■ نيلي امدور

مأساة واقعية

زوجتي كشفت لي جوهر الحب

احبته يوم كان صحيح الجسم وزاد تعلقها به عندما غاب عن الوعي وفقد النطق وعجز عن المشي٠

كان بيتر ساراسينو البالغ من العمر واحدا وعشرين عاما يقود سيارته في التاسع عشر من شهر يوليو (تموز) عام ١٩٧٦ في ضاحية بلوود من مدينة شيكاغو، فانزلقت السيارة فجأة وارتطمت بعمود كهرباء ثم اندفعت بعنف وتحطمت على عمود ضخم للاعلانات وقذف بيتر مثخنا بالجروح على رصيف لا تقل مسافته عن ٣٠ مترا٠ وما ان علمت والدة بيتر الارملة بالحادث حتى انطلقت مسرعة الى مستشفى ويست ليك القريب من هناك حيث وجدت موظفي غرفة الطوارىء يعملون بانفعال شديد لانقاذ حياة ابنها٠ وكاد الامر ان يكون مستحيلا، فقد كان بيتر في غيبوبة عميقة وكان مصابا بعطب خطير في منطقة الدماغ التي تتحكم بتنسيق العضلات والصوت والنطق والذاكرة٠ وكان تشخيص الاطباء "متحفظا"، فقرروا انه حتى وان بقي بيتر على قيد الحياة، فمن المحتمل ان يظل مشلولا عاجزا عن النطق ومضطرا الى الاعتماد التام على عناية الاخرين به٠

وكان بيتر سعيد الحظ بوجود اطباء ممتازين وممرضات مخلصات مندفعات واجهزة من احدث طراز ورعاية طبية من احسن الرعايات الممكنة٠ لكن كل ذلك لم يكن كافيا بالنسبة الى والدة بيتر السيدة لويز ساراسينو التي لم تغادر غرفة ابنها طوال الاشهر الاربعة التالية، كما لو كانت ترعى طفلا صغيرا عليلا، لكن هذا الطفل طوله متر وخمسة وثمانون سنتيمترا، ووزنه ٩٤ كيلوغراما٠

لقد قضت لويز حياتها تجهد من اجل توفير بيت عائلي لاطفالها الخمسة بمساعدة اقتصادية حكومية ومعونة اسرة امريكية كبيرة من اصل ايطالي٠ اما الان، فقد تخلت ابنتها الكبرى آنا ماري البالغة من العمر عشرين عاما عن عملها لكي تكرس جهودها للعناية باخواتها الثلاث الاصغر منها سنا٠

الحب الكبير ـ وكانت لوزير تعتبر

ايضا ليندا فراكالا البالغة من العمر واحدا وعشرين عاما وخطيبة بيتر منذ ثلاثة اعوام، كفرد من افراد عائلتها. وكانت ليندا تمارس عملا متفرغا في مستشفى في شيكاغو حيث كان بيتر يعمل حارس أمن لدى وقوع الحادث. وكان هو اكمل اخيرا فترة خدمة في احتياط القوات البحرية وينتظر الالتحاق باكاديمية الشرطة. وكان بيتر يحب ليندا حتى العبادة وكانت هي تعتبره وكأنه العالم باسره.

وكانت ليندا تذهب في سيارتها الى المستشفى كل يوم بعد انتهاء عملها، لتساعد لويز في العناية بالمريض المشلول الفاقد الوعي. وكثيرا ما كانتا تناضلان في اثناء الليل على السرير المرتفع لكي تغسلا جسده وترشاه بالذرور (العطر المطهر) وتدهناه بالنطول (الماء تغلى فيه الادوية). وكانت ليندا تقلم اظافر بيتر، وعندما ازيلت العصابات عن رأسه استدعت حلاقا ليقص شعره، وشرحت ليندا هدفها من ذلك: "انني اردت ان ازينه لكي يشعر بالارتياح عندما يستعيد وعيه".

وقد جاءت لويز وليندا بافضل ما كان يشتهيه بيتر من طعام ايطالي علما منهما بالمكانة التي يحتلها الطعام لديه، وكانتا تمسكان بطبق الطعام تحت انفه، لعل رائحته الشهية تتغلغل الى ذاكرته وراء نطاق الوعي فيستفيق. ولم تنثني المرأتان عن التحدث الى بيتر وهو غارق في غيبوبته، وعن شد ازره.

وفي احدى ليالي شهر سبتمبر (ايلول) ادارت لويز جهاز التلفزيون على برنامج من البرامج المفضلة لدى بيتر، وبينما كانت تضبط الوان شاشة التلفزيون لاحظت ان عيني بيتر ترمشان وتتحركان. ثم اطفأت الجهاز واشعلته بسرعة، فرمشت عيناه ثانية. واندفعت لويز الى الخارج وركضت في الممر لتدعو الممرضات ولم يمض شهران ونصف على ذلك حتى اخذ بيتر يستعيد الوعي تدريجا.



وبحلول شهر اكتوبر (تشرين الاول) بدأت عيناه تتبعان ليندا ووالدته اينما اتجهتا في ارجاء الغرفة، كما اصبح من المستطاع اعطاؤه طعام الاطفال، وانما كان يتعذر عليه النطق. وكان الشلل يسمر جسمه وذراعيه وساقيه باستثناء يده اليمنى التي كان يحركها بشكل طفيف ويمد سبابته عندما يطلب منه ذلك، ويستعين بها في ضغط الحروف على السبورة المغناطيسية الصغيرة، التي جاءت بها لويز. وكانت والدته تسأله وهو جالس موثوقا الى كرسيه ليبقى في وضع قائم: "من انا يا بيتر"؟ وترد هي نفسها على ذلك، بقولها "ماما" وتشد باصبعيها على شفتيه لكي تتخذا شكل النطق بهذه الكلمة، فيتجاوب بيتر مع ذلك بنخرة من حنجرته. وتطلب منه امه ان يتهجأها، فيحرك بيتر يده متعثرا ويمدها نحو السبورة الموجودة في حضنه، ويستعين بسبابته في اختيار الحروف وترتيبها في وضع معوج.

في معهد النقاهة - وكان ذلك كل ما يستطيع بيتر ان يقوم به في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ عندما دخل معهد النقاهة في شيكاغو للحصول على معالجة مكثفة، فوضع في رعاية الطبيب بهوبندراك اغراوال المتخصص في نقاهة المرضى والذي يعاونه لفيف من الممرضات واطباء النفس والمتخصصين في المعالجة البدنية والمهنية والخبراء في امراض النطق واللغة والمستشارين المهنيين من مركز الهندسة الحيوية التابع لمعهد النقاهة في شيكاغو.

وكان بيتر يعلم اين هو الا انه كان يفقد الوعي حينا ويتسعيده احيانا. وعندما بدأ شفاء دماغه المعطوب اصبح بيتر يتلقى يوميا معالجة تتناول النواحي الجسمانية والمهنية والنطقية،، وتتسبب في انتعاشه اكثر من اي وقت مضى عندما كانت لويز تجيء لزيارته ثلاثا او اربع مرات في الاسبوع او عندما كانت ليندا تقدم الى المستشفى كل ليلة بعد الانتهاء من عملها.

وكانت لفظة "آه" اول كلمة تفوه بها بيتر في شهر فبراير (شباط)، وكان عسر الكلام الذي يعانيه عائدا الى الضعف او الشلل في عضلات الصوت، وهو مرض يستلزم استعمال ما يزيد على مئة عضلة تتحكم بنطق الكلمات التي تلفظها بصوت عال، وبالتالي كان ينبغي لبيتر ان يتعلم تحريك هذه العضلات. وما ان حل شهر مارس (آذار) حتى استطاع النطق بثلاث كلمات: "لا"، "آي"، "ما"، غير انها كان من الصعب فهمها نظرا الى عدم وضوح اللفظ وضعف النبرة، ولكنها كانت كلمات على اي حال.

واخذ بيتر يتعلم كذلك الاحتفاظ برأسه منتصبا بفضل قبعة مزودة بجهاز راديو واداة تحكم يدوية. وكان هذا الجهاز يزود بيتر بالموسيقى طالما بقي رأسه منتصبا، وتتوقف الموسيقى عندما يميل رأسه، وبذلك يفطن الى ابقاء رأسه في وضع قائم. وقد اخذ ادراكه يتزايد ولكنه بدأ صبره ينفذ، لرغبته في القيام بزيارة للبيت.

وفي الثامن من مارس (آذار) ١٩٧٧ تحققت هذه الزيارة وللمرة الاولى منذ

ثمانية اشهر شاهد بيتر منزله حيث تجمع ١٤٢ من الانسباء والاصدقاء والجيران، بمن فيهم عمة لويز الضريرة التي لم تخرج من منزلها طوال خمس سنوات، وقالت لويز في هذا الصدد: "وعندما انحنت عمتي لتتلمس وجنة بيتر وهو ملقى على سريره بكينا جميعا". حتى ان بيتر نفسه انفجر بالبكاء للمرة الاولى منذ الحادث الذي اقعده. وبعد ذلك، انطلق ابن عم بيتر باغنية مألوفة وانضم اليه الاخرون، بينما راح بيتر يؤدي بيده في شكل ايقاعي نغم الاغنية التي لم يستطع المشاركة فيها فتأثر الجميع فرحا وتبادلوا العناق مرة اخرى.

معه حتى النهاية ـ وكان من شأن هذا المشهد رفع معنويات بيتر، فبدأ يتدرب على استعمال الجمل ويتناول الطعام بنفسه بملعقة لهاممسك مربوط كجبيرة الى يده. وكان خلال جلسة العلاج الجسماني يتدحرج على الحصير لينهض بنفسه الى وضع الجلوس. واخذ يدرب ذراعيه برفع اوزان مربوطة على معصميه ويقوي قبضته بمعجونة بلاستيكية. فما ان اقبل شهر مايو (آيار) حتى رخص لبيتر ان يشتغل في البيت.

وسحبت ليندا ما ادخرته من مال واشترت حوضا للسباحة طوله ثمانية امتار ونصف متر اقامته في الفسحة الخلفية من منزل والدتها. ثم تركت وظيفتها واشترت بآخر راتب قبضته خمس بذلات سباحة لبيتر وفرشتين عائمتين. وقالت: "اردت ان اكون معه واساعده على القيام بالتمارين وكل شيء. ولكنني شئت ان يكون له في ذلك بعض المتعة والسلوى".

ولم يكن الامر متعة في الحقيقة غير ان بيتر كان على الاقل في البيت. واستقرت ليندا في منزل لويز تساعدها في تقديم وجبات الطعام الى بيتر والمحافظة على نظافته وعونه على القيام بتمارينه وتزويده بالعطف والحنان. ولم ينقطع الاقارب عن زيارة البيت وكان اصدقاء بيتر متوافرين دائما لرفعه عن السرير الى كرسيه للراحة والرقاد، ثم ينقلونه بالسيارة الى حوض السباحة في بيت ليندا. وبعد انقضاء ستة اسابيع عاد بيتر الى معهد النقاهة في شيكاغو ليتلقى معالجة مكثفة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٧، اي بعد مرور سنة على الحادث، كان بيتر قادرا على الجلوس في وضع منتصب من دون سند لفترة خمس ثوان. وبات في مقدوره، في شهر اغسطس (آب) ان يدفع كرسيه ذي العجلات بنفسه، وفي شهر سبتمبر (ايلول) صار يستطيع الوقوف على قدميه لمدة خمس دقائق بين قضيبين متوازيين. وطالت زيارته لمنزله هذه المرة ثلاثة اشهر.

وعاد بيتر الى معهد النقاهة في شيكاغو في شهر ديسمبر (كانون الاول)، وبدا كسابق عهده، ضحوكا مشاكسا وهو يمر بسرعة في كرسيه ذي العجلات، ويخالجه شعور بانه رجل مندفع نابض بالحياة والحنان واهل للمنافسة. كما انه كان يشعر هذه المرة بانه اصبح في المرحلة النهائية من اقامته بين المرضى.

لقد كان بيتر مصيبا في تقديره، اذ لم تطل مدة اقامته في معهد

النقاهة سوى شهرين عصيبين طرأ خلالهما تحسن كبير على نطقه وبدأ يمشي من جديد. وهذا جل ما كان بيتر يتوق اليه فناشد الجميع بان يزودوه بمتكأ من الالومنيوم لاعانته على المشي. ولم يحظ بذلك الا بعد بضعة اسابيع من المشي على مسافة ثلاثة امتار بين قضيبين متوازيين. ولما حصل على المتكأ لم يعد من الممكن وقفه عن التمرين الا بانتزاعه من المتكأ بالقوة. فهو عقد العزم على ان يمشي مرة ثانية لان والد ليندا قال له: "يمكنك الزواج من ابنتي يوم تستطيع ان تجتاز واياها الجناح المؤدي الى صحن الكنيسة". وكان بيتر يعرف الكنيسة ويعرف ايضا ان الجناح طويل.

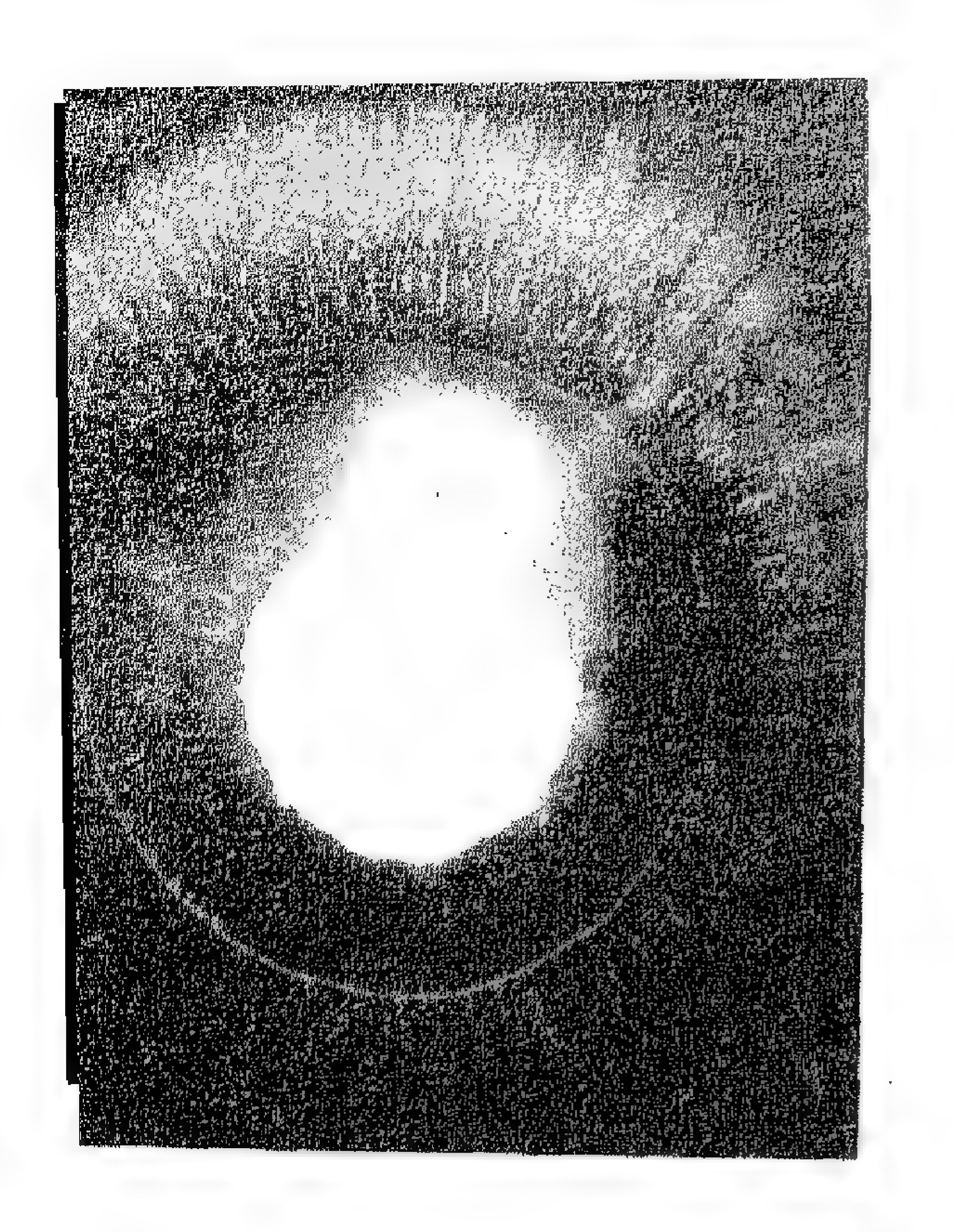
وفي الحادي والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٧٨ غادر بيتر معهد النقاهة بمتكأه، على ان يعود للمعاينة مرة كل ثلاثة اشهر. وكان نطقه يتحسن يوما بعد آخر، وكانت قابليته للعمل كبيرة كذلك شهيته للاكل. وزاد وزنه الى ٩٠ كليوغراما بعدما كان ٦٣،٥ كيلوغراما قبل عام فقط. وبدا قوي البنية، سليم الصحة وجاهزا لاجتياز الجناح المؤدي الى صحن الكنيسة.

وفي السادس عشر من يوليو (تموز) احتشد انسباء بيتر واصدقاؤه وقد ناهز عددهم المئتين والخمسين شخصا ليروه وهو يدخل من الباب الجانبي لكنيسة سيدة بومبييه مع متكأه. وانسكبت الدموع مدرارة على وجنتي لويز التي جلست على مقعد في المقدم تشاهد وصيفات العروس يمررن من جانبها، وراحت تقول لهن: "ابتسمن يا حبيباتي، ابتسمن"، وكأنها تريدهن ان يظهرن على وجوههن الشعور الذي يخالجها من خلال الدموع. ومرت ليندا بثوب العرس الانيق من جانب لويز تتأبط ذراع والدها، واشرقت ابتسامة من ثغرها موجهة الى لويز وفي عينيها تتألق دمعة البهجة والغبطة، وتابعت خطاها تحت قوس من الزهر للانضمام الى بيتر، ثم تقدما معا بصحبة اشبين بيتر وصعدا الدرجات الثلاث في اتجاه المذبح.

وبعد انتهاء خدمة الاكليل، مشى بيتر مستعينا بمتكأه الى جانب ليندا واجتاز جناح الكنيسة.

يقيم بيتر وليندا الان في شقة في ملروز بارك على بعد ٢٥ كيلومترا الى الغرب من شيكاغو. وتذهب ليندا كل يوم الى عملها في المستشفى بينما يواصل بيتر علاجه في البيت ويقوم بالتمرينات لتحسين قدرته على النطق وتنسيق عضلاته. ويأمل في ان يشغل وظيفة ثابتة في غضون سنة، كما يأمل هو وليندا في ان ينجبا عائلة كبيرة. ويقول الدكتور أ. أفشار، طبيب بيتر في مستشفى ويست ليك: "ان قضية بيتر ساراسينو المرضية تعتبر اكثر من معجزة بالنسبة الى الطب الحديث، بل هي انتصار رائع لروح الشجاعة الانسانية". واما بيتر فيعبر عن مشاعره ببعض التعثر في النطق ويقول: "اود ان اكون ابا طيبا لاعلم اطفالي ما تعلمته انا، فقد تعلمت الكثير عن الحياة خلال السنتين الماضيتين، لكن ليندا علمتني جوهر الحب".

■ اليز بيكيت



ليـنارت نيلسُون
رائد الفضاء الداخلي للجسْم البشري

كان عمله اشبه بالمعجزة، فهو أدخل الكاميرا الاحشاء الداخلية للانسان واستطاع بتفانيه ومهارته المذهلة ان يستمد من "الفضاء الداخلي" للجسم البشري صورا تبعث على الخشوع.

قبل عقد من الزمن قدم الينا احد الاصدقاء كتابا من الصور التي التقطها المصور الاسوجي لينارت نيلسون، وكانت زوجتي آنئذ حاملا تنتظر ولادة طفلنا البكر. وكانت تلك المرة الأولى التي تلتقط صورة لطفل وهو جنين في بيئته الطبيعية - الرحم.

يا للرؤيا! لقد نزلت علينا هذه الصور لعالم الاجنة البهي المتألق، فجأة ومن دون اي تمهيد. وقد اظهرت صور نيلسون اجنة قرنفلية اللون شبيهة باللؤلؤ، لا يعدو حجم بعضها حجم الابهام. ومع ذلك، فلكل منها ذراعان ويدان في غاية الصغر وعينان مؤطرتان بالسواد. وبدا الجنين الطافي باسترخاء في السائل الذي يحيط به وسط نسيج زابط في هيئة الغمام، اشبه ما يكون برائد فضاء يجوب اطراف كونه الخاص.

وشاطرنا الاعجاب ملايين الناس. واصبح كتاب نيلسون "مولد طفل"،

العالم الخارجي كما يبدو من الجزء الباطني للعين عبر النافذة التي تؤطرها قزحية العين.

الذي نشر عام ١٩٦٥، في عداد الاعمال الكلاسيكية. ويثني الاطباء على هذا الكتاب لوضوحه البياني، ويمتدح المصورون الفوتوغرافيون براعته الفنية، ويعجب به الفنانون لقدرة عين المصور على استخلاص صور بهذا الجمال لحياة كائنات لم تولد بعد.


تنتشر في انحاء الجسم اعضاء حسية من مختلف الاشكال والانواع. وهذه البصيلة الرقيقة هي احدى الحليمات الذوقية في ظهارة اللسان.

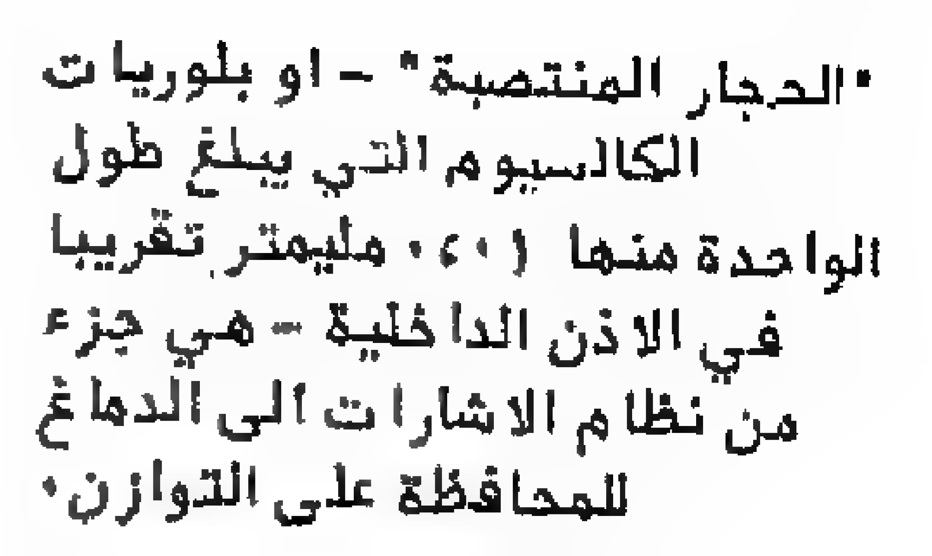
وقال المصور الراحل فيكتور هاسلبلاد، صاحب المؤسسة الاسوجية الشهيرة لآلات التصوير: "ان نيلسون رائد خاض عالم الفضاء الداخلي وعاد به الينا لنراه جميعا ونحار في امره". والحق ان نيلسون اظهر، سواء في تصويره مجموعات النمل تحت الارض او جسم الانسان، تفانيا في الدقة والاتقان يرقى بانتاجه الى مرتبة الفنون الجميلة. وقد علق احد محرري زاوية الكتب في صحيفة "النيويورك تايمس" لدى صدور كتاب نيلسون "انظروا الانسان" الذي استقبله النقاد بالتهليل، بقوله انه لا يحتمل ان يكرر المرء، بعد اطلاعه على صور نيلسون المفصلة، تلك العبارة السقيمة: "دماء وامعاء" عندما ينظر من جديد الى اجزاء الآلة البشرية.

ان المناظر التي يصورها نيلسون غريبة، ومع ذلك فهي مألوفة وملازمة لنا. فهنا تظهر هذه الارض البركانية المخددة التي تتكشف عن كونها منظرا مكبرا للغدد البوابية في المعدة، او هذا الشراع الاملس الممدود في وجه الريح، والذي يتكشف عن انه الصمام التاجي للقلب. وتبدو انسجة فقرة من العمود الفقري كأنها نافذة شبكية مصنوعة من زجاج البندقية الناعم. اما بلوريات الكالسيوم في الاذن الداخلية فهي اشبه ما تكون بصخور ضخمة غير منحوتة رصفتها الطبيعة على هيئة ستونهنج (معبد الدرويديين الانكليز قديما). واذا، فان الاشياء التي عجزت العين المجردة حتى عن رؤيتها اصبحت الآن مجسمات مفعمة بجمال بصري يحبس الانفاس.

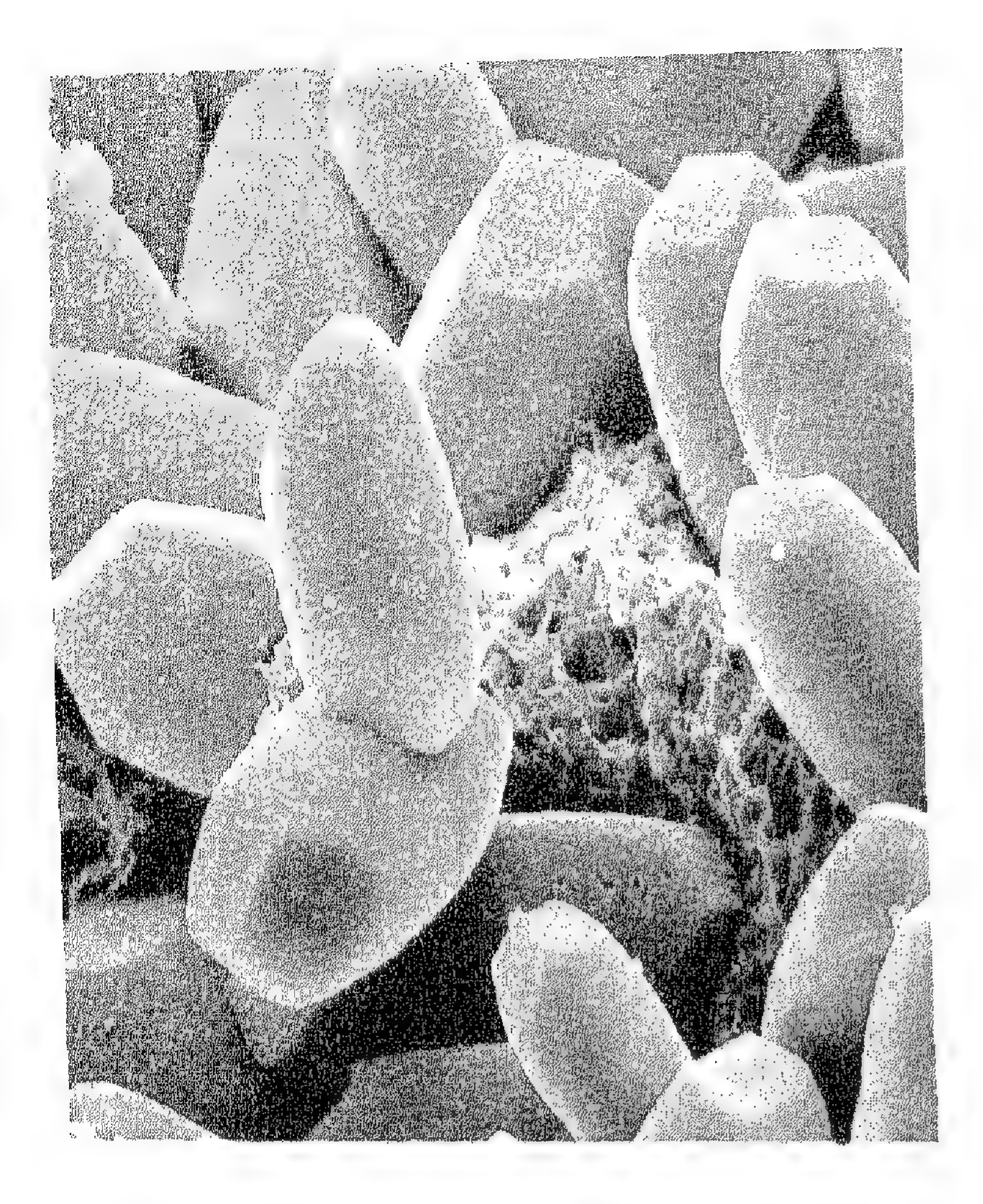
طلب المستحيل – كيف استهل نيلسون طريقه في هذه الرحلة؟

ولد نيلسون في ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٢٢. وهو يذكر انه كان صبيا سابحا في دنيا الخيال، لا يسعده شيء مثل التقاط صور الزهر والحشرات والنباتات بآلة التصوير التي أهداها اليه ابواه. وما ان بلغ مطلع العشرينات من عمره حتى ذاع صيته كأمهر مصور صحافي في اسوج. ويذكر احد اصدقائه ان "اللقطة الفوتوغرافية المستحيلة هي التي كانت تحفزه وتنميه". ومرة بقي

١٩٧٩

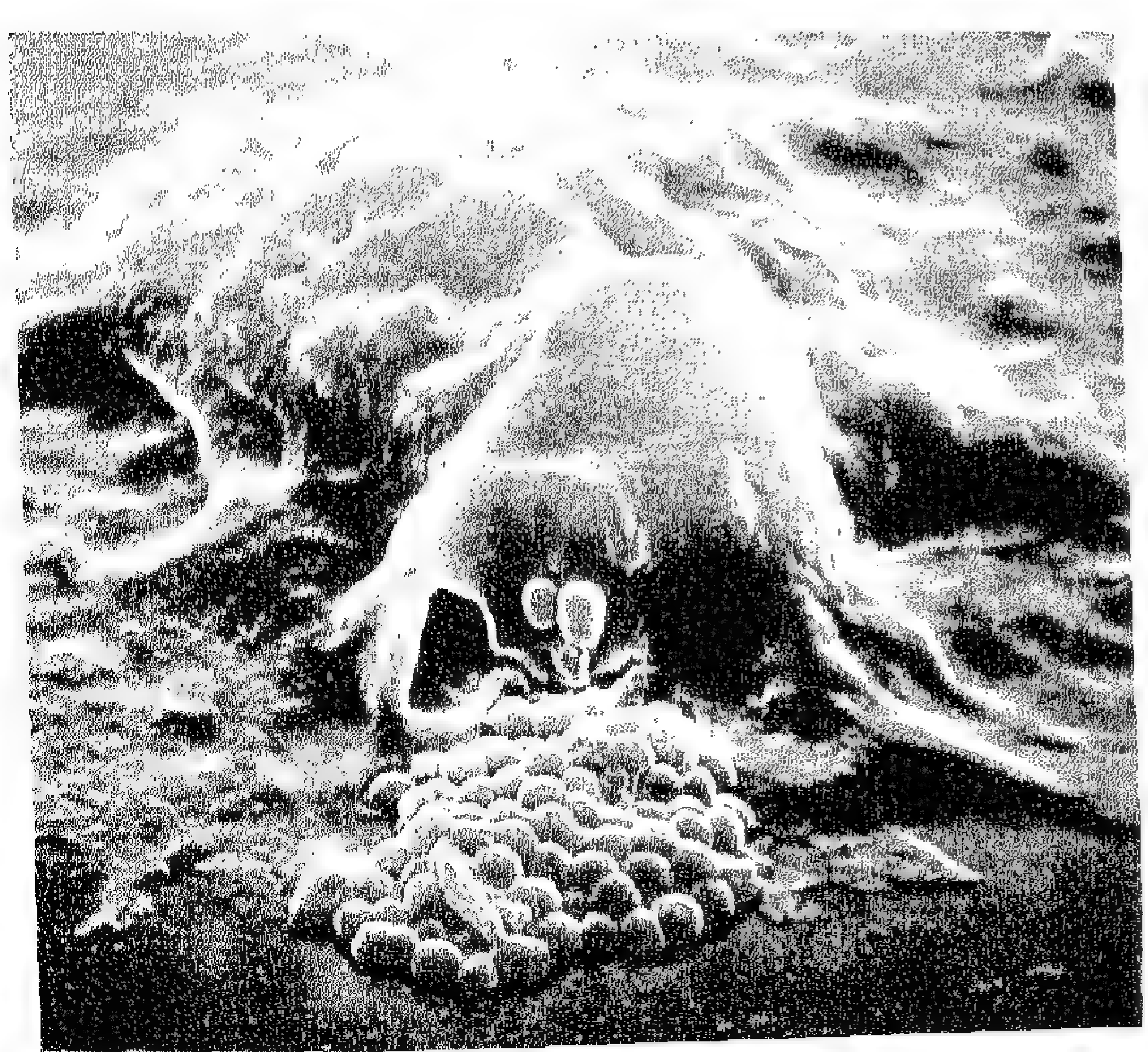


"الحجار المنتصبة" - او بلوريات الكالسيوم التي يبلغ طول الواحدة منها (٠،٤٠) مليمتر تقريبا في الاذن الداخلية - هي جزء من نظام الاشارات الى الدماغ للمحافظة على التوازن.

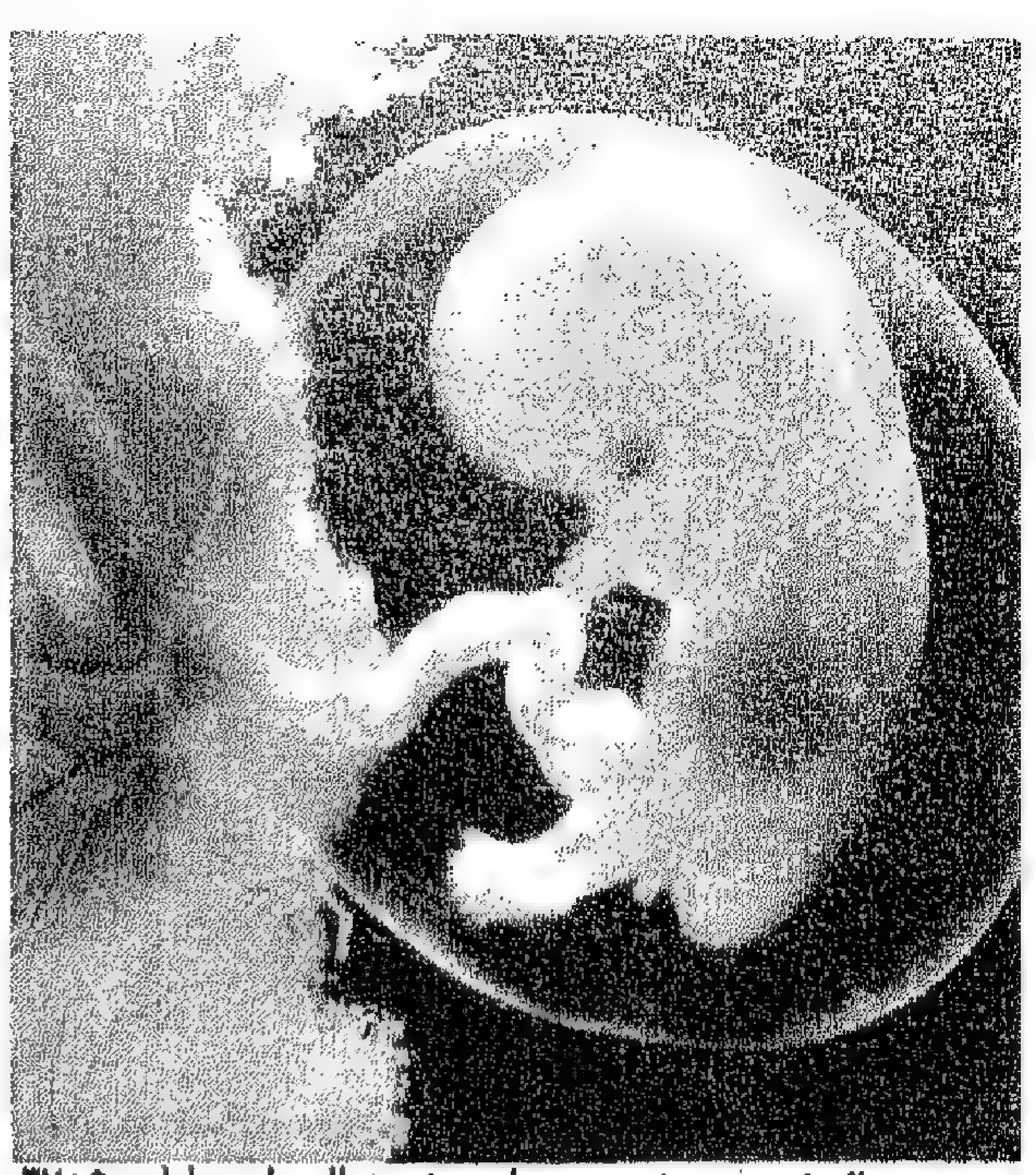


اشهرا يراقب كثيبا للنمل ويصوره عن قرب بأصغر العدسات التي استطاع العثور عليها ليغنم بلقطة ساحرة تمثل كيف يبدو النمل في عين النملة نفسها، هائل الحجم كالابقار. ومرة اخرى جهز نفسه بأدوات التزلج على الثلج ليتابع جولات احدى القابلات عبر بلاد اللابيين الرحل. وفي ضوء الشمعة الخافت في اكواخ القطب الشمالي، التقط نيلسون صورا للولادات البشرية الاولى التي شاهدها في حياته. وهو قال لي: "ان افتتاني بالخلق البشري بدأ منذ ذلك الوقت".

وساقته مهمة عادية عام ١٩٥١ الى تصوير احد العلماء البارزين في بحوث الانسجة العضوية في معهد كارولينسكا الاسوجي. وللحال



احدى خلايا الدم البيضاء تندفع صوب تكتل للبكتيريا (الكريات الخضر) لتطوقه ثم تزدرده.



الجنين بعد شهرين واسبوع من الحمل· طوله ٣٧،٥ مليمترا، وهو يطفو في السائل الذي يملأ السلى· ويتمتع الجنين بالاعضاء كلها التي يولد بها الطفل الكامل·

استرعت انتباهه زجاجة على رف في مكتب ذلك العالم احتوت على جنين ذي شهر، طوله ١٢،٥ مليمترا ومحفوظ في الكحول الجراحية· ويذكر نيلسون تلك المناسبة بقوله: "كنت اظن الاجنة كتلا رجراجة كالهلام، الا ان ذلك الجنين كانت له عينان وانف ويدان"· ولدى مغادرته معهد كارولينسكا بعد ظهر ذلك اليوم، بدأ يفكر مليا في السبيل الى تسجيل مراحل الحياة البشرية فوتوغرافيا منذ بدء تكون الاجنة الحية حتى الولادة·

وبدت فكرة نيلسون للوهلة الأولى شبه مستحيلة من الوجهة الفنية· فكيف سيتسنى له تحديد نظره داخل الرحم ليصور ما يراه بالالوان؟ واقترح عليه الاستاذ اكسل انغلمان سانديبرغ، الطبيب المختص في التوليد، ان يجرب المنظار الباطني، وهو أداة انبوبية في رقة القلم، لفحص الجزء الداخلي من تجاويف الجسم· فركب نيلسون تلك الاداة على آلة التصوير بتثبيت طرف منها في مكان خاص فوق العدسة· ولما كان الضوء المركب داخل المنظار الباطني اضعف مما يفي باغراض التصوير، صمم له صديق مهندس مصباحا لا يزيد حجمه على ١٢،٥ مليمترا، ومع ذلك كان نوره اقوى ١٠٠٠ مرة من نور الاداة· وفي الامكان ربطه الى انبوب المنظار الباطني وادخاله بلا وجع من المهبل الى الرحم·

سبع سنوات طويلة - واجريت التجربة الاولى في احد أيام عام ١٩٥٥ عندما تلقى نيلسون دعوة من الاستاذ انغلمان سانديبرغ الى حضور الفحوص التي سيجريها لامرأة تشكو من مضاعفات رحمية حادة بعدما وافقت تلك السيدة على تجربة نيلسون· وقال الاستاذ وهو يوجه رأس المنظار الباطني الى الرحم: "استعد الآن لالتقاط الصورة"· وحدق نيلسون في مصوبة آلة التصوير ليرى شيئا لا يزال يذكر انه "صاعق" على حد تعبيره، وهو جانب لوجه جنين في الشهر الرابع يمص ابهامه بهدوء واطمئنان· وضغط فورا على معتق الغلق لالتقاط الصورة، لكن زناد الضوء الالكتروني لم يعمل تلك اللحظة· وفي اللحظة التالية استدار الجنين في مكانه فاختفى رأسه عن العيان· واقتضى الامر ان ينتظر نيلسون سبع سنوات طويلة قبل ان يرى منظرا مماثلا ويسجله على الفيلم·



داخل القلب من اسفل البطين الايمن صعوداً في اتجاه الاذين الايمن.
وفي الوسط الصمام المثلث الشرفات الذي يحول دون عودة الدم الى الاذين لدى تقلص البطين.

وتركت حماسة نيلسون انطباعا قويا في نفس الاستاذ انغلمان ساندبيرغ الى حد انه حث زملاءه الاطباء على اعلام نيلسون عندما يزمعون على اجراء فحوص رحمية بالمنظار الباطني. وفي السنين العشر التالية كان نيلسون يأوي الى فراشه وهو يرتدي نصف ملابسه، والى جانب سريره حقيبة عدته الفوتوغرافية، ليبقى على استعداد للوثوب من الفراش والتوجه الى اي مستشفى يستدعيه. وتجمع لديه في نهاية الامر عدد من الصور المثيرة التي سجلت المراحل الرئيسية لتطور الجنين البشري. وبين مختلف ردود الفعل التي عبرت عن الاعجاب بالصور، علق في ذاكرة نيلسون رد فعل واحد كان ابلغ اثرا من سواه، وهو صورة لقرويات في الكونغو تحلقن حول كتاب صور الاجنة في استغراق ينم عن الدهشة والخشوع. وقد التقط صورة النسوة مصور اسوجي آخر.

واراد نيلسون بعد ذلك ان يحول اهتمامه الى "مسرحيات اخرى تتمثل مشاهدها في اجسامنا". وبلغت به جرأة التفكير، حين باشر عمله مع مجلة "لايف" الامريكية لسرد قصة الشرايين في جسم الانسان ونظام الدورة الدموية للقلب، حدا جعله يفكر في التقاط الصور الفوتوغرافية داخل الاوعية الدموية نفسها. وقد صممت له احدى الشركات الاسوجية لصناعة الادوات البصرية عدسة ثورية مصغرة جدا، يمكن تركيبها في اسلاك القسطر (المستخدم طبيا لتفريغ المثانة عبر مجرى البول) بعد ملء القسطر بخيوط الياف زجاجية ناقلة للضوء يمكنها بث صور واضحة المعالم على نحو متسق الى فيلم في الخارج فور ايلاج القسطر في الأوعية الدموية.

ونصب نيلسون معداته في غرفة عمليات تشريح الجثث استعداداً للتصوير في الاحوال التي تفتح فيها مسالك الاوعية الدموية جراحيا. وكانت نتيجة ذلك التصوير المقال المصور الفذ الذي ظهر عام ١٩٦٨، وفي صوره تبدو الشرايين كأنها انفاق متفرعة داخل كهف خيالي واسع الاطراف في باطن الارض. وبلغ اعجاب رابطة بحوث القلب الامريكية بهذا العمل حدا منحت نيلسون جائزة "لمأثرته في نشر المعلومات حول نظام الاوعية الدموية القلبية".

الفضاء الداخلي — وفي العام ١٩٧٠، قرر نيلسون، بالاشتراك مع الدكتور جان لندبيرغ الاختصاصي في اسباب الامراض واعراضها في معهد كارولينسكا والمصور الفوتوغرافي في الوقت نفسه، التعاون على كتاب يتقصى باطن الجسم على نحو لم يشهده من قبل حتى الاطباء انفسهم. ويفسر نيلسون اهداف الكتاب بقوله: "لقد أردنا أظهار باطن الجسم على نحو يسهل فهمه لدى عامة الناس، وتصويره تصويرا مرضيا من وجهة فنية وجمالية بحيث لا تكون الصور مجرد رسوم ايضاحية لكتاب مدرسي". واقتضى ذلك العمل الجبار استخدام اربع عدسات مصغرة اضافية، كل واحدة منها اصغر من سابقتها حتى ان قطر صغراها لم يتجاوز قطر خيط رفيع. وقد استخدم نيلسون هذه العدسة في التقاط الصور

الفوتوغرافية الاولى للاذن الداخلية من مسافة قريبة.

ومن الادوات الاخرى التي يعتمدها نيلسون في عمله الفريد جهاز مسح مجهري الكتروني يكبر الاحجام الدقيقة بمقدار ١٠٠،٠٠٠ مرة. ومن صوره التي نالت شهرة خاصة تلك اللقطة الاولى بالمجهر الالكتروني لبعوضة في اثناء عملية القرص. وللفوز بتلك اللقطة ملأ نيلسون عشرات من انابيب المختبر بالبعوض الذي قنصه، ثم اطلق البعوض كله في حجرة مسدودة وقف فيها المتطوعون في انتظار القرص. والحيلة التي لجأ اليها نيلسون هي قتل البعوضة خلال عملية القرص بمادة كيميائية تحفظ الاجسام، وذلك في اللحظة الحاسمة التي يخترق فيها خرطوم البعوضة طبقة الجلد. وبعد مئات القرصات حظي نيلسون بما اراده، فنقل البعوضة وشريحة من الجلد الذي جثمت فوقه الى جهاز المسح المجهري الالكتروني. واسفر ذلك عن صورة تشبه طائرا ضخما من الجوارح يطعن بمنقاره حصيرة من المطاط.

قبلة الحياة - ومن صوره الشهيرة ايضا تلك التي تسجل اللحظة الاولى من بدء تكون جسم الانسان. وقد وقع عليها نيلسون عندما كان يلتقط صورا ايضاحية لدراسة تتعلق بالعقم عند بعض الناس. وبينما كان نيلسون يفحص بالمجهر العادي مسحة من عنق الرحم على شريحة زجاجية مجهرية تعج بمئات الخلايا النطفية الذكرية التي تدافعت حول بيضة انثوية او خلية التناسل الانثوية، ابصر فجأة احدى الخلايا الذكرية وقد بدأت تخترق السطح الهلامي للخلية الانثوية. وهزه هذا المشهد فبادر الى تجميده بالسائل الكيميائي، ثم نقل الشريحة الى المجهر الالكتروني الماسح وكبر الصورة ٣٠،٠٠٠ مرة، فسجل بذلك مشهدا فذاً لا مثيل له لخلية نطفية ذكرية متجعدة الثنايا كأنها فرخ ضفدع عملاق يدس رأسه في كهف صغير داخل الخلية الانثوية ليباشر على الفور عملية التلقيح. وكم وفق ذلك الصحافي الاسوجي الذي وصف المشهد بعبارة "قبلة الحياة".

لقد حصل نيلسون على جوائز والقاب وتكريم اكثر مما يستطيع حصره في ذاكرته. ولكن ربما كان اغرب اعتراف بمقدرته هو ان "ناسا"، الادارة القومية الاميركية لبحوث الطيران والفضاء، ضمنت "بطاقة التحية الكونية" التي حملها رواد مركبتي الفضاء "فوياجر" ١ و٢ عام ١٩٧٧، نسخا عن الصورة الفذة التي التقطها نيلسون لتلقيح خلية التناسل الانثوية، مظهراً اللحظة الاولى لبدء التكوين البشري.

■ روي فيرغسون

كان الرسام الهولندي المشهور فان دوبخن يفضل ان يسافر متخفيا، فاختط لنفسه طريقة بسيطة ومضمونة: اذا سأله شخص يشتبه به عن اسمه، كان فان دوبخن يجيب: "فان دوبخن، يكتب بكلمتين مثل اسم الفنان المعروف.

هارولد هيلفر



الثعلب وعالم الانتروبولوجيا

عالم شاعر يروي
معجزة البراءة التي شاهدها
على شاطىء مهجور٠

بدأت القصة في ساعة متقدمة من اصيل يوم خصص في بدايته للاغراض العلمية العادية٠ فبينما كنت اسير في منطقة غير مطروقة من شاطىء البحر اذ بي امام قارب تحطم مقدمه وانغرس في الرمال، حيث القت به التيارات منذ مدة وقد اطل الضباب ليغمر القارب المقلوب، ثم يندفع في وجهتي ويلتف من حولي كأنما هو ينعم النظر الي ليتبين ملامحي٠ لم يعترني الرعب من ذلك، وانما ادركت ببعض الوجل، ان احدا لم يكن يتوقع ان ابرح المكان على الفور٠

فهممت بالجلوس واسندت ظهري الى القارب المقلوب ومر نورس فوق رأسي يضرب بجناحيه الفضاء وانطلقت منه صرخة كانت اشبه بانتحاب صادر عن كائن غريب، فأغلقت عيني وتركت قطيرات الضباب تتحسس وجهي٠ واطلقت

العنان لذاكرتي فراحت تهيم في ثنايا الزمان الى ان غشيني النوم.
وعندما افقت كان الضباب والليل قد انقشعا. وجلست ملتفا بسترتي المصنوعة من جلد الغنم واخذت ارقب الفجر يلامس وجه البحر وينساب الى الواح القارب من خلفي. فبدت اذ ذاك المعجزة لعيني وشاهدتها لانني كنت منحنيا في اتجاه الارض ولم اكن اتطلع الى أشياء هذا العالم تطلع الانسان المغتر بانتصاب قامته.
ولم ادرك الامر للوهلة الاولى. لكنني عندما استجمعت انتباهي التائه لم ار سوى اذنين ناتئتين سلطت عليهما شمس الصباح. ولمحت تحت الاذنين وجها رقيقا انيقا يرفع بصره الي على استحياء. وكانت اذناه تنثنيان تجعدا بازاء كل نبرة حبا في الاستطلاع وتبينت انهما لم تعرفا للخوف معنى بعد.
وزحفت على ركبتي حول مقدم القارب وجلست القرفصاء الى جانبه، واذا به ثعلب جرو يقيم في وكر تحت الاخشاب، لا بد ان والديه لم يعودا بعد من رحلة الصيد.
في فمي عظمة ـ وتناول ببراءة من كومة مختلطة من اشتات القمامة، ما بدا وكأنه عظمة دجاجة، واخذ يهزها امامي كأنه يدعوني الى اقتسام الوليمة، وقد ارتسم على وجهه مرح نزق بلا حدود.
ولكم قيل ان الانسان مهما فعل، لا يمكنه الوصول الى مرتفع يواجه منه العالم. فنصيب الانسان من العالم يقتصر على رؤية الجانب البعيد منه وعلى ادراك الطبيعة بالتراجع الى الوراء. فما القول اذا في ذلك الكائن القابع بين العظام، ذلك الثعلب الجرو البريء الواسع الاحداق يدعوني الى اللعب واياه، وقد تجلت كياسته الفطرية في ضمة قائمتيه الاماميتين مشفوعة بما بدا وكأنه هزة ازدراء من الرأس؟ فكأنه العالم يدور على نفسه في شكل عجيب لكي يعرض علي ملامح وجهه. وكان الوجه من الصغر بحيث ان العالم ذاته اضحى بسمة مشرقة.
الا ان تلك اللحظة لم تكن للتحدث عن الكرامة الانسانية، وانما كانت لحظة لمراعاة قواعد اللياقة المسجلة وراء النجوم. فما كان مني الا ان استعنت بكل ما لدي من وقار وهيأت يدي بينما راح الجرو يموء في بهجة واغتباط. واندفعت غير مبال فالتقطت عظمة واخذت اهزها بين اسناني التي لم تنس تماما مهمتها الاصلية. واخذنا انا والجرو ندور وندور ونتعثر في غمرة النشوة. فلقد كنا ذلك الشيء البريء بين العظام الذي انبعث من جوف البيضة ثم نشأ في الوكر او تشكل في صورة الانسان، وعندها تباعد وانعزل تحفظا عن سائر الكائنات.
لكنني شاهدت معجزتي. فرأيت العالم في البداية التي تبدأ منها جميع الاشياء. ولم تكن تلك البداية الا ذلك العالم الطفولي الضحوك البالغ الصغر. وربت على ظهر الجرو واخذت اعدو عدوا الى اقرب مرتفع من الارض. وكان وجه الشمس عندئذ عالقا فوق سطح البحر. وكان العالم يدور مرتدا الى وضعه العادي. كما ان كبار الثعالب كانت ولا بد في طريق العودة الى اوكارها.

وبعد مسافة قليلة رأيت احد الثعالب على مرتفع شامخ الرأس والذنب، وعلى وجهه علامات الترقب والاحتراز. لكننا لم نأبه بالامر، فمضى كل في طريقه من دون ان تلتقي اعيننا.

اما انا، فقد جاءني الضباب بالمشهد الفريد الرائع، لحظة انتصبت امامي الاذنان الناتئتان في اشراق شمس الصباح، فعشت معجزتي الصغيرة كما هي الحال في كل عظيم من الامور. لكنني تمكنت لبرهة من ان اوقف مسيرة العالم بحيلة لا تعدو كوني قد جلست القرفصاء امام وكر الثعلب، واهرول هنا وهناك وفي فمي عظمة دجاجة.

ولقد كانت تلك اللحظة، ولا شك، اكثر وقارا ورزانة وادل ما اتيته من اعمال على الاطلاق.

■ لورن ايسلي

لورن ايسلي عالم امريكي مشهور في ميدان الانتروبولوجيا، توفي في عام ١٩٧٧ وقد جمع في آخر سنة من حياته بعض مقالاته المحببة ونشرها. وهذه احدى تلك المقالات.

من نوادر الشيوخ

عندما عدنا من عطلتنا الصيفية، كنا نتوقع ان نرى جدنا واقفا عند باب المنزل ليستقبلنا. لكننا وجدنا الباب مقفلا والبيت خاليا. وحيث انه كان عالما بقدومنا، فقد ظننّا انه وضع المفتاح في مكان ما. فأخذنا نبحث عنه الى ان وجدناه ودخلنا المنزل، ورأينا كل شيء فيه جاهزا لاستقبالنا، بالاضافة الى مذكرة تركها على المائدة وجاء فيها: "لن اتأخر في العودة. المفتاح تحت عتبة الباب".

ك.ت.

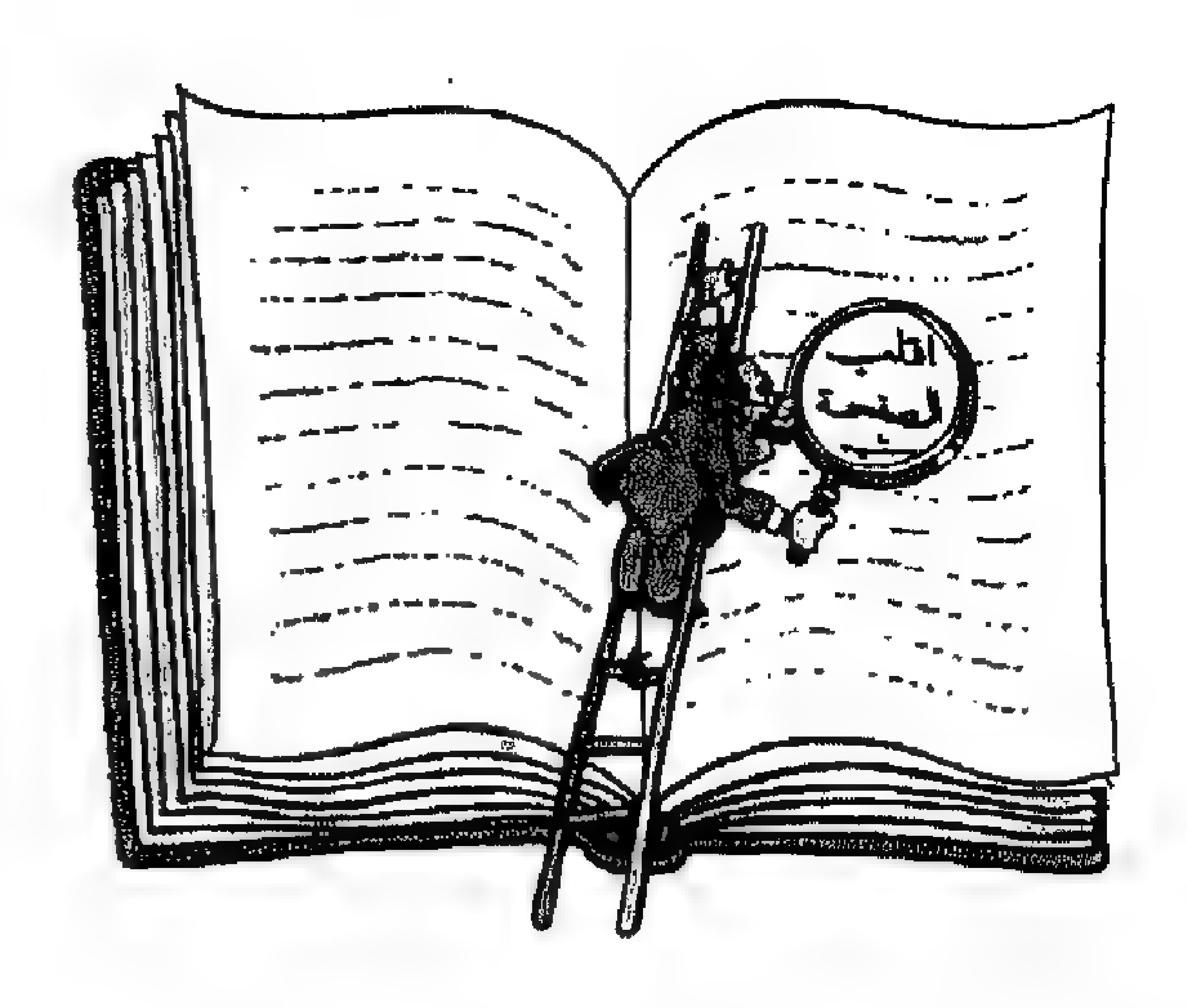
وقت للرئاسة ووقت للرئيس

ذهبت الى واشنطن بوصفي طالبة فرض عليها ان تروي قصة طريفة، فتمكنت من اقناع احد معاوني الرئيس ليندون جونسون الذي كان غائبا في ذلك اليوم، بان ازور القاعة البيضاوية التاريخية من البيت الابيض التي تتخذ فيها القرارات الوزارية. والتمست من المعاون ان يسمح لي بالجلوس لحظة على كرسي الرئيس.

فغطست في المقعد المكسو بالجلد وبسطتُ يدي على ذراعيه العريضتين واخذت احدّق في الطاولة. فرأيت هناك تحت مقدمها ومقابل المقعد لوحة تحمل اربعة ازرار: احمر وازرق واخضر وابيض. فقلت في نفسي: يا لعظمة السلطة الرهيبة! فأي هذه الازرار يتصل بالبنتاغون (مقر وزارة الدفاع الامريكية)، وأيها بالكرملين (مقر الحكومة الروسية)، وأيها بداونينغ ستريت رقم ١٠ (مقر رئاسة الوزارة البريطانية)، وأيها يتحكم بانطلاق الحرب النووية التي قد تبيد الحضارة؟

وكدت اطير فرحا لتمكني من العثور على مثل هذه الرواية المثيرة. ولكن، لسوء الحظ، ما ان انقضى الاسبوع حتى صدرت مجلة "التايم" وفيها خبر مقتضب عن الازرار الملونة الاربعة التي امر الرئيس جونسون بوضعها امام مقعده في القاعة البيضاوية: الزر الابيض لطلب الحليب، والاحمر لطلب القهوة، والازرق لطلب المشروب، والاخضر لطلب الماء.

لوتا دمبسي في كتاب "لا حياة للمرأة"



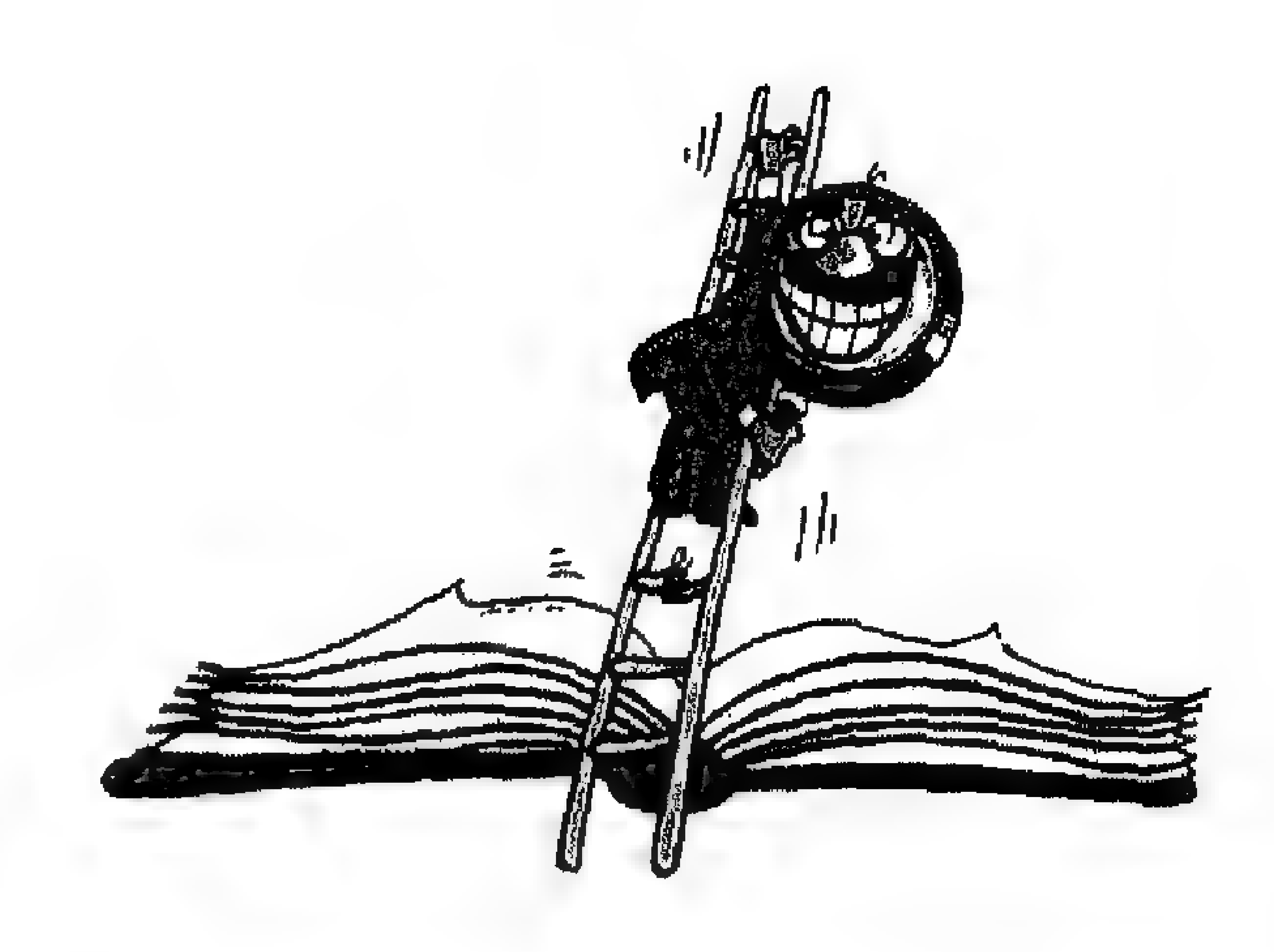
دائرة المعارف

هذا الباب فتحه "المختار" بهدف زيادة معارف قرائه من جهة، ومساعدتهم على فهم بعض المواضيع المتخصصة.

ومن أجل الوصول الى هذا الهدف، أخذ "المختار" بفكرة الرياضة الذهنية فاسحاً أمام قرائه مجال الاختبار.

كلمات الدائرة في هذا العدد هي اسماء أعلام (أشخاص) مذكرة ومؤنثة. وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

٠١ غيث: عون - ندى - ثلج - مطر.
٠٢ رَباح: غنى - ربح - عبير - كَرَم.
٠٣ تامِر: كثير التمر - بائع تمر - مثمر - طويل.
٠٤ عَبْلة: صخمة ممتلئة - سمراء - شقراء - بيضاء.
٠٥ أيْمَن: منسوب إلى اليمن - سعيد - كريم - مبارَك.
٠٦ لمياء: سمراء الشفتين - واسعة العينين - طويلة - فاتنة.
٠٧ بَشير: سعيد الحظّ - عاشِق - مَرِح - مبلّغ البشرى.
٠٨ وَضّاح: واضح - أسمر - أبيض - جَوّاد.
٠٩ أُسامة: اسم زهرة - اسم طائر - اسم للأسَد - رفيع الخُلُق.
٠١٠ لُبْنى: شجرة صنوبر - شجرة ذات عسل طيب - رضيعة - حاجة.
٠١١ فاروق: مؤمن - مفرّق الامور - زعيم - قادر.
٠١٢ عِصام: عَمْد - قوي - ساعِد - لا يُخْطىء.
٠١٣ نَذير: عالم بالأمر - مستعدّ - ناظِر - مُنْذِر.
٠١٤ بلال: نَدى - رجاء - ماء - كَرَم.
٠١٥ ضُحى: جَمال - تضحية - مكان مرتفع - وَقْت شروق الشمس.
٠١٦ تَميم: بَدْر - كامل الخَلْق - طائر مائي - خرزة زرقاء.
٠١٧ أدماء: طويلة - ذكية - سمراء - بيضاء.
٠١٨ رامِح: رمح طويل - غمد السيف - صفة للبرق - ذو عقل.
٠١٩ جُمانَة: صَدَفَة - لؤلؤة - بنفسجة - قلادة فضة.
٠٢٠ عزّام: مضيف - صبور - صعب القياد - عاقد العَزم.
٠٢١ نجيب: صديق محسن - عاقل - كريم الحَسَب.
٠٢٢ وائل: ملتجىء - وارث - عائد - سعيد.
٠٢٣ كِنانَة: جعبة للسهام - رَوض - ضمير - ستْر.
٠٢٤ إياد: متقدّم - كريم - سَنَد - قويّ.
٠٢٥ حليم: قاض في الامور - ذو عقل - تقي - حالم.
٠٢٦ ضَيْغَم: أسَد - حصان - نمر - ضخم الجسم.
٠٢٧ سُهى: ضوء القمر - اسم كوكب - سَهَر وأرَق - خيال.
٠١٨ فَيْصل: واضح - مادح - لسان - حاكم وقاض في الامور.
٠٢٩ لبيب: رقيق القلب - بهيّ - عاقل - مُنْتَقى.
٠٣٠ عاتكة: قادرة - شديدة الحُمرة - فاتنة - ممتلئة الجسم.



الأجوبة الصحيحة

١٠ غَيْث: مطر، وربما سمي السحاب غيثاً، أيضاً: الكلأ الذي ينبت بماء الغيث، ومنها: "رعينا الغيث"، أي النبات.
٢٠ رَباح: ربح، ما يُربح.
٣٠ تامر: كثير التمر أو عنده تمر.
٤٠ عَبْلة: ضخمة، ممتلئة الجسم، عبلاء: صخرة بيضاء.
٥٠ أيمَن: مبارك على قومه، وبالمعنى نفسه يامن وميمون.
٦٠ لمياء: في شفتها لمى، أي سمرة او سواد، وهي مؤنث ألمى.
٧٠ بَشير: مبلغ البشرى او الخبر المفرح.
٨٠ وضّاح: أبيض اللون، حَسَن الوجه، بسّام، نهار.
٩٠ أُسامة: من اسماء الأسد.
١٠٠ لُبْنى: الذي يفرق بين الامور، لقب الخليفة عمر بن الخطاب.
١٢٠ عصام: عَمْد او ذمام، كحل.
١٣٠ نَذير: منذر، اسم بمعنى الانذار، رسول، الشيب لأنه ينذر بتقدم السن.
١٤٠ بلال: ماء، ما يُبَلّ به الحَلْق من ماء او لبن.
١٥٠ ضُحى: وقت شروق الشمس، الشمس، البيان: "ما لكلامه ضحى"، أي بيان.
١٦٠ تميم: كامل الخلق، جميل.
١٧٠ أدماء: سَمْراء.
١٨٠ رامح: صفة للبرق الذي يلمع لمعاً خفيفاً متقارباً، طاعن بالرمح، ذو رمح، "السماك الرامح": نجم سُمي هكذا لأن قدامه كوكباً كأنه رمح له.
١٩٠ جُمانة: لؤلؤة (كلمة فارسية)، جمعها جُمان.
٢٠٠ عزّام: مبالغةَ "عازِم": عاقد العزم او الضمير على فعل شيء، جادّ في الأمر، صفة للأسد.
٢١٠ نجيب: كريم الحَسَب، فاضل نفيس في نوعه.
٢٢٠ وائل: ملتجىء، متخذ موئلا، راجع إلى الله.
٢٣٠ كِنانة: جعبة من جلد او خشب تُجْعل فيها السهام.
٢٤٠ إياد: سَند او دعامة، "إياد الجيش": جناحاه، أي ميمنته وميسرته، ستر، كنَف، هواء.
٢٥٠ حَليم: عاقل (ضدّ طائش)، رزين، صبور، هادىء.
٢٦٠ ضَيْغم: أسد، وجمعها ضياغم.
٢٧٠ سُهى: كوكب خفي، يمتحن به الناس أبصارهم، ومنه المثل: "أُريها السُهى وتريني القمر"، يُضرب للذي يَسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً.
٢٨٠ فَيْصل: حاكم وقاض، ما يَفْصل بين الامور، القضاء بين الحق والباطل، السيف القاطع.
٢٩٠ لبيب: عاقل، ذو لبّ.
٣٠٠ عاتكة: شديدة الحمرة، قوْس محمرّة، كريمة خالصة، العاتك: الكريم الخالص من كل شيء ولون، النبيذ العاتك: الصافي.

المستوى

٢٥ – ٣٠	: ممتاز
١٩ – ٢٤	: جيد
١٣ – ١٨	: مقبول

حظّ اكبر للمصابات بسرطان الثدي

هناك علاج جديد يعقب الجراحة حقق اهم تقدم في معالجة سرطان الثدي منذ مطلع القرن الحالي٠

في مطلع ١٩٧٦، تولت جماعة من باحثي المعهد القومي الايطالي للاورام الخبيثة تقويم النتائج الاولية لاحد البرامج التجريبية لمعالجة سرطان الثدي في مرحلته الثانية بواسطة العقاقير - ذلك النوع الذي يبدو لدى الجراحة انه اجتاح العقد اللمفاوية المجاورة للثدي٠ وحتى ذلك التاريخ، كانت امرأة واحدة من اصل خمس نساء مصابات تقضي نحبها في غضون ثلاثة اعوام، بينما تقضي نصف المصابات تقريبا نحبهن خلال خمسة اعوام٠ اما الان، اي بعد خمسة اعوام من بداية المشروع الايطالي، فقد ادت المعالجة الجديدة الى زيادة الحظ في النجاة، خصوصا لدى النساء اللواتي لم يبلغن سن اليأس٠

ولما كانت فرص سلامة المصابات بسرطان المرحلة الثانية نادرة احصائيا، فقد كلف مدير البرنامج جياني بوناندا ان يختبر عليهن نظاما علاجيا يستند الى ثلاثة عقاقير، ويطلق عليه اسم "سي٠ ام٠اف"٠ (سيكلوفوسفاميد، ميثوتريكسات، فلوروراسيل)٠ ولكل من العقاقير الثلاثة طريقة مميزة في مهاجمة خلايا الداء٠

نتائج مشجعة - وبعد تركيب العقار عام ١٩٧١ في المعهد القومي الامريكي للسرطان الدي دعم تمويل المشروع الايطالي، جرب باحثو المعهد عددا من العقاقير المضادة للداء٠ الا ان العقار الثلاثي الذي لم يستخدم من قبل لمرض المرحلة الثانية اثبت فعالية مثيرة في المراحل الاخيرة من المرض حيث تندر فرص الشفاء٠

انتقى الدكتور بونادونا ٣٨٦ مصابة لاختبار العلاج عليهن. وكان اجري استئصال جزئي للثدي لهن جميعا. وهي جراحة تقوم على بتر الثدي كاملا وشذب ما تحته من عضلات الصدر، والعقد اللمفاوية للابط، بعد تفشي الداء لديهن جميعا الى العقد اللمفاوية. واستثنيت من المعالجة بعد الجراحة ١٧٩ امرأة. بينما حقنت الباقيات بجرعتين من العقار الثلاثي سي. ام.اف.، وتناولن عن طريق الفم جرعة واحدة شهريا لمدة ١٢ شهراً أعقبت الجراحة.

ومن بين النساء اللواتي لم يتخطين سن اليأس وتابع الباحثون تطوراتهن الصحية على مدى أربعة اعوام، تكررت الاصابة لدى ٦٠ في المئة من اللواتي لم يعطين الدواء، في حين توفيت ٣٠ في المئة منهن. اما اللواتي عولجن بواسطة العقار الثلاثي "سي.ام.اف". فقد تكررت الاصابة لدى ٢٥ في المئة منهن، وانخفضت نسبة الوفيات بينهن قرابة ١٠ في المئة. ولاسباب لم تحدد بعد، كانت النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس اقل حظا على رغم ان العلاج بواسطة العقار الثلاثي ساهم في تأخير الانتكاس.

وتؤيد تجارب مشابهة اجريت في الولايات المتحدة النتائج المشجعة التي حصل عليها الدكتور بونا دونا. وان اوسع تجربة تمت في الولايات المتحدة حتى الان كانت مبنية على العقار "ال - بام" (خردل الفينيلالانين) الذي يؤخذ عن طريق الفم. وقد شاركت ٤٠٠ امرأة ضمن ٣٣ مركزا امريكيا واربعة مراكز كندية في دراسة للمعهد القومي للسرطان بدأت عام ١٩٧٢ في اشراف الدكتور برنارد فيشر من جامعة بيتسبورغ الامريكية. ولمدة خمسة ايام كل ستة اسابيع خلال عامين، اعطي نصف النساء حبوبا مزيفة والنصف الآخر حبوب "ال - بام". وهؤلاء النسوة كاللواتي عوجلن بطريقة بونادونا، سبق ان اخضعن لاستئصال جذري للثدي بعد انتقال الداء لديهن جميعا الى عقدة لمفاوية واحدة على الاقل.

وبعد ٤٨ شهرا من مباشرة الدراسة، وجد فيشر ان الاصابة تكررت لدى ٥٠ في المئة من النساء اللواتي لم يبلغن سن اليأس وتناولن الاقراص المزيفة، بينما اقتصر تكررها على ٣٠ في المئة من النساء اللواتي تناولن "ال - بام". غير ان النتائج بالنسبة الى النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس لم تسجل رقما ملحوظا هي الاخرى. فقد تكررت الاصابة لدى ٣٨ في المئة ممن تناولن الاقراص المزيفة ولدى ٣٥ في المئة ممن تناولن عقار "ال - بام".

ولا يزال غامضا سبب ضعف تأثير العقار على النساء اللواتي تخطين سن اليأس. ومن النظريات الشائعة لتفسير ذلك واحدة تستند الى اختلاف التوازن الهرموني لدى النساء الاكبر سنا. وثمة نظرية اخرى تقول بحقيقة كون خلايا السرطان تنشطر وتنتشر بسرعة اكبر لدى النساء الاصغر سنا. وقد توحي هذه الحقيقة للوهلة الاولى ان فرص نجاة المسنات اقوى. لكن الواقع ان خلايا السرطان السريعة الانشطار تبقى اشد تعرضا للتلف بواسطة العقاقير.

في حال الاصابة بسرطان الثدي ٠٠

□ ابحثي مع طبيبك مسألة العلاج الاكثر ملاءمة لك:
يختلف علاج سرطان الثدي من امرأة الى اخرى تبعا لاختلاف الحاجات والظروف، ولا يعطي الطبيب تقديره لمدة الجراحة وما يتبعها من علاج كيميائي وعلاج بالاشعة الا بعد دراسة حجم الاصابة ونوعها وموضعها ٠ وفي حال وصف الجراحة، لا تترددي في الطلب من طبيبك ان يشرح لك الطرائق الجراحية المتوافرة والخطوات التي تليها ٠

□ استشيري اختصاصيا في السرطان، اذا وصف لك العلاج بالمواد الكيميائية:
ان معظم اطباء الصحة واختصاصيي الجراحة العامة وحتى الاختصاصيين في الامراض الداخلية ليسوا مؤهلين لاستعمال الطرق الجديدة لمعالجة السرطان، وان اي طبيب صحة قديرا لا يرفض طلب استشارة طبية مع احالة او طلب احالة الى اختصاصي في السرطان لديه معرفة عصرية بامكانات العلاج بعد الجراحة ٠

□ استفسري عن امكان اجراء جراحة تجميلية:
يمكن في بعض الاحوال المحافظة على محيط الثدي عن طريق اجراء جراحة تجميلية، ويستلزم هذا، لدى النساء الراغبات، فيه، جراحة ثانية اذا امكن اجراؤها ٠ لكن يجب ان يبحث في امرها ويخطط لها قبل العملية الاولى، اذ ان انقاذ الحياة اهم من الحفاظ على الثدي ٠ ولكن في بعض الحالات لا يكون الخيار على هذه القسوة ٠

□ شاركي في مشروع بحث اذا طلب منك ذلك:
ان تعاون آلاف النساء الامريكيات والاوروبيات مع الباحثين المختصين في سرطان الثدي هو الذي ادى الى تحقيق هذه المكاسب الجديدة المشجعة ٠

ويرى بونادونا ان مفتاح الحل بالنسبة الى المسنات هو في تكثيف المعالجة بواسطة عقار "سي٠ام٠اف" ٠ او اضافة عقاقير اخرى الى الخليط ٠ وتحقق الاساليب الجديدة في الولايات المتحدة الجمع بين عقار "ال - بام" وعقار مضاد للاستروجين اسمه تاموكسيفين، دلت التجارب البريطانية على كونه زاخرا بالوعود ٠ وهي تستخدم ايضا لقاحا يدعى "سي - بارفوم" وهو مادة مقوية لدفاع الجسم المناعي ٠ ويقول الدكتور فيشر: "نشعر بان التقدم بالنسبة الى النساء اللواتي تخطين سن اليأس سوف يأتي عن طريق تواقت العلاج الكيميائي والعلاج الهرموني والعلاج بالمناعة" ٠

فهم متزايد - ان هذه الطريقة الجديدة لمعالجة سرطان الثدي هي حصيلة فهم متزايد لطريقة انتشار السرطان ٠ فقد ظن الاطباء لسنوات عدة ان خطورة السرطان ناجمة عن اجتياحه الخلايا المجاورة او - كما في حال سرطان الثدي - بقية الجسم عبر الممرات اللمفاوية ٠ وكان هدف الجراحة استئصال السرطان باكمله قبل ان يتمكن من الانتشار ٠ وقد ادى هذا التصور الى تطور طريقة الاستئصال الجذري للثدي التي ظلت طريقة العلاج المتبعة طوال ٩٠ عاما ٠

ومع استمرار وفيات المصابات باورام صغيرة وعقد لمفاوية نظيفة، على رغم الجراحة الناجحة وبفعل اورام غير مباشرة، بدا واضحا انه لم

يكن في وسع ابرع جراح الحيلولة دون انتشار بعض الخلايا الخبيثة في الدم وبالتالي تسريع اورام مقبلة.

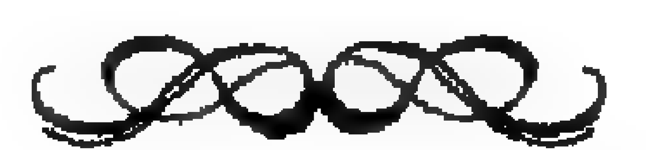
ان فهم التطور الطبيعي لسرطان الثدي وكل الاورام الصلبة قد تبدل في الوقت الحاضر ببساطة وعمق بحيث اصبح يؤثر في مختلف الطرق العلاجية الجديدة. فالتغير الحالي ينطلق من كون الاورام الخبيثة شاملة الجسم كله على رغم انها تبدو في الظاهر اوراما موضعية. والنظرية التي تبرر استخدام المعالجة بالمواد الكيميائية هي ان العقاقير تعمل في انتظام على تدمير نمو الاجسام الصغيرة غير المرئية عبر الجسم وتزيد مناعة الجسم للتغلب على ما يجتاحه. وتبقى الجراحة مفيدة لأنها تخفض عبء الورم الكلي.

وقد كانت نتائج المعالجة الكيميائية من الاهمية بحيث ان كلا من الدكتور بونادونا وفيشر قررا اخضاع كل امرأة في المرحلة الثانية من السرطان لهذه المعالجة في الاختبارات المقبلة. ويقول الدكتور بونادونا: "ان الامتناع عن اعطاء علاج افضل ليس خلقيا". وبغية التوصل الى علاج اشد فعالية، يواصل بونادونا وفيشر وعدد كبير من الباحثين تجاربهم باستخدام جرعات مختلفة ومركبات من العقاقير على مرضى جدد. وستتم مقارنة نتائج كل فئة مع النتائج التي حصلت عليها النساء اللواتي اقتصرت معالجتهن على طريقة "ال - بام" او العقار الثلاثي. وقد تم وضع العقارين وسواهما من العقاقير المضادة للسرطان في متناول ذوي الاختصاص.

وتذهب فئة كبيرة من الاختصاصيين في السرطان الى ان العلاج بالعقاقير يجب ان يقتصر على مختبرات البحث ريثما تصبح النتائج نهائية وتنكشف آثار العقاقير الجانبية في المدى الطويل. لكن رد الفعل العنيف جاء من جانب الدكتور جيمس هولاند، رئيس قسم السرطان في معهد جبل سيناء للطب في نيويورك واحد الرواد العالميين في مجال المعالجة الكيميائية للسرطان، اذ قال: "ان اخطار العقاقير ضئيلة للغاية اذا ما قورنت باحتمال الموت من سرطان الثدي حين تكون العقد اللمفاوية متأثرة بذلك خصوصا اذا اعطيت العقاقير من طبيب كفي".

وبينما يستمر الخلاف، يجمع معظم الباحثين على ان هذه المجموعة من العلاجات الكيمائية المرافقة للجراحة تمثل اهم تقدم في معالجة سرطان الثدي منذ مطلع القرن. وهي بالتالي تقدم املا جديدا الى آلاف النساء اللواتي يتعذبن تحت وطأة هذا المرض.

■ بربارة يونكير



يتضح من دراسة أجريت اخيرا ان عددا كبيرا من المراهقين يعارضون التربية الجنسية في المدارس، ويدعون انها مكيدة ينصبها اهل التلاميذ والمربّون لجعل هذا الموضوع مملا وغير ممتع.

١٠س.

الغريب القادم من البحر

هذه حكاية خرافية مستقاة من التراث الشعبي في اقاصي الشمال القطبي، تبرز من خلالها فضائل الثبات والحنو٠

بدأت سلسلة اسفار ناكوسياك من زقاق بحري تكتنفه الاجرف على الشاطىء الشرقي لجزيرة بافين (★)، صباح يوم من شهر يوليو (تموز) في اواسط القرن التاسع عشر، وكانت مياه المحيط تحجبها طبقات الضباب الابيض المنذرة بالشؤم٠ وقد تجمع الصيادون على الشواطىء يستمعون الى الاصوات المنغمة المتعالية من اول فوج من الفقمات يفد الى تلك المياه في ذلك الفصل٠ وكانت بواعث الاغراء بمطاردتها كثيرة وملحة، غير ان العواصف الهوجاء في تلك الفترة كانت تحول دون القيام بمثل تلك المجازفة٠

لكن ناكوسياك لم يأبه لتحذير رفاقه واحتراسهم، وفضل ان يعتمد على قوته وحسن طالعه في مواجهة الاخطار، التي تخبئها له المياه٠

ورأى المشاهدون على الشاطىء زورقه المصنوع من الجلد (الكاياك) وهو يتوارى بين كتل الجليد الطافية على سطح المياه٠ وعلى رغم الصعوبة الكبرى التي لقيها في تحديد مكان الفقمات، ابى ناكوسياك ان يرتد على اعقابه وقد استحوذ الصيد على ذهنه حتى انه كاد الا يلاحظ تفاقم انقضاض الريح العاصفة من الغرب٠

وبعد بضعة ايام لاحظ الحارس المكلف مراقبة الجليد في مضيق ديفيس من قفص المراقبة في اعلى السفينة النرويجية لصيد الحيتان، ان شيئا يطفو فوق الجليد على بعد ٣٠٠ كيلومتر تقريبا الى الجنوب الشرقي، فظن انه دب قطبي وصاح باعلى صوته آمرا بتغيير وجهة الابحار٠ وراحت السفينة تشق طريقها وسط كتل الجليد المترابطة، في اتجاه ذلك الشبح الذي اخذ يتجلى في هيئة انسان ملقى على سطح عائم بين طافيتين متقاطعتين من الجليد٠

(★) أكبر جزيرة في الارخبيل الكندي القطبي٠

وبعد ان نقل جسم ناكوسياك المنهك مع زورقه المحطم الى السفينة تناول بعض الطعام الساخن فبدأ يستعيد قواه على اثر التجربة القاسية التي مر بها. لكن ناكوسياك الاسكيمو لم يسبق له اطلاقا ان شاهد بشرا من اللون الابيض لذلك تملكه الارتباك خلال الساعات الاولى على ظهر السفينة وتفاقم اضطرابه عندما بدأت السفينة تتجه بثبات نحو الجنوب الشرقي وشعر بانها تبتعد به عن مقره وذويه.

وبلغ قلقه ذروة الهلع عندما تغلغلت السفينة في عرض المحيط فراح يترصد زورقه بعين محمومة ولهفة مكشوفة فضحت نياته. فما كان من بحارة السفينة الا ان ضبطوا الزورق الذي كانوا اصلحوه على عجل، واحكموا شده الى الباب الخلفي من السفينة. ولم يقدم البحارة على هذا التصرف الا حفاظا على حياة ناكوسياك الذي يتهدده الموت، بلا ريب، ان هو نزل في عرض المحيط بزورق ضئيل كهذا.

كانت السفينة الى جنوب شرق جزر فايرو حين واجهتها ريح جليدية هوجاء هبت من الناحية الشمالية الغربية. وكان في استطاعة هذه السفينة المتينة ان تصمد في وجه العاصفة لو لم تتفكك فجأة اشرعة الصاري الرئيسي وتتشقق في ضجة مخيفة انقصف معها الصاري كالعظمة المكسورة وهوى الى جانب السفينة المحجوب عن الريح، ولم يلبث ان اصبح بمثابة المرساة بدافع الحبال التي تشدها، فتمايلت السفينة واستدارت بعنف مع الريح نحو منحدر الامواج المرتفعة العاتية وانقلبت نصف قلبة.

ولم يتسع الوقت لانزال زوارق الانقاذ من السفينة. وبالكاد تمكن ناكوسياك من قطع رباط زورقه المشدود الى الباب الخلفي والانزلاق في جوفه الضيق قبل ان ترتطم السفينة بموجة طويلة عملاقة اخرى تكسرت هادرة على ظهر السفينة فتلاشى كل شيء تحت غمرة الماء.

تحطم الزورق كالبيضة – وسرعان ما تقاذفت الامواج ناكوسياك وزورقه بعيدا عن السفينة، ثم اعتلى لحظة قمة موجة عامرة كالجبل، وحبس انفاسه وهو يهبط في منحدر شاهق بدا انه سيفضي به الى اعماق المحيط. وكان ناكوسياك احكم على خاصرته رباط تنورته المصنوعة من جلد الفقمة والمخاطة الى حافة الزورق منعا لتسرب الماء الى داخله. حتى غدا الرجل وزورقه وكأنهما هيكل واحد لا يتجزأ.

وظلت الامواج العاصفة تتقاذف هذا الحطام القطبي الصغير، والقلب البشري الخافق في جوفه، في اتجاه الجنوب الشرقي على مدى فترة طويلة الى ان غام بصر ناكوسياك وانعدمت الرؤية لديه، وتصدعت عضلاته وتلولبت بالم مبرح الى ان انتهت محنته فجأة مثلما بدأت لدى قدوم موجة طويلة جبارة انتشلت الزورق عاليا وارقصته على كفها قبل ان تقذف به من عل فوق الحصى المتزاحمة على الشاطىء الصاخب فتحطم الزورق كقشرة البيضة، وانصعق ناكوسياك في شبه ذهول، وراح ينجرف فوق تيار المد حتى

انتهى به المطاف الى جزيرة تارانسي في الهبريد الخارجية (★).

وبعد مضي بضع ساعات افاق ناكوسياك من غيبوبته على صراخ النورس وقد انقشعت الغشاوة عن عينيه لكنه لم ير اي اثر لوميض الجليد على سطح البحر الجائش. وحلقت فوقه اسراب الطيور البحرية تهدده باشكالها واصواتها الغريبة واجال نظره شطر الحقول المسيجة فوق لسان الارض الممتد الى البحر واستقر بصره على مشهد مألوف، وظن ان تلك الرقع البيض المترامية فوق المروج المرتفعة لا بد ان تكون ثلوجا ذرتها الريح فوق اليابسة. وحدق فيها طويلا حتى اتى الخوف على اوهامه مذ بدأت تلك البقع البيض تتحرك وكأنها تنبض بالحياة. وهب ناكوسياك يعدو فوق الشاطىء الى ان بلغ كهفا فلاذ الى حماه وقلبه يخفق قلقا ورعبا لانه لم يعرف من قبل سوى حيوان واحد ابيض بمثل هذا الحجم، هو الذئب القطبي، ولم يدر في خلده ان ثمة ذئابا بهذه الكثرة.

وبقي ناكوسياك قابعا في الكهف خلال اليومين التاليين لا يجرؤ على الخروج منه، ولكنه في اليوم الثالث احس بالحاجة الى امرين ملحين: الطعام والسلاح. وبعد ان عثر على خشبة طولها متر واحد جرفتها المياه الى الشاطئ، استطاع ان يربط سكينه بها فجعل منها رمحا بدائيا ساعده على استعادة شجاعته، بانتظار ما سيواجهه من احداث جديدة.

الكائنات الغريبة - وفي صباح اليوم الرابع بلغ ناكوسياك، بعد ان تسلق منحدرا طويلا وشاقا، حافة معشبة خضراء فوق مرتفع صخري احمر، فمكن اصابعه منها وارتفع بجسمه والقى به فوق العشب الناعم لاهثا، ولكن سرعان ما غرب شعوره بالارهاق، لدى مشاهدته على اقل من مئة خطوة منه، حشداً كبيراً من الكائنات البيض الغريبة، فامسك في الحال برمحه واحكم قبضته عليه.

وبدأ القطيع يدنو منه رويدا رويدا، وفي طليعته كبش كبير ذو قرنين اسودين لولبيين. وثغت الخراف في جوقة متعالية النغم، ولم يقو ناكوسياك على الصبر فاطلق صرخة المتحدي وهاجم الحشد الابيض طعنا برمحه المرتجل. فجفل القطيع وتفرق هربا، وراح ناكوسياك يحملق في الحيوانين المقتولين المرتميين على الارض ويرتجف رعبا كالمصاب بالحمى. لكن الشك ما لبث ان زال عنه واتضح له ان تلك الكائنات ليست ارواحا وانها بالتالي عرضة للموت، فاحس بغمرة من الانفراج وتملكه الضحك، واخذ يملأ معدته المتضورة جوعا باللحم الاحمر.

على قمة التلال كان الراعي المحنك آنغوس ماكريمون على بعد نصف كيلومتر تقريبا داخل اليابسة، فاسترعت نظره حركة القطيع غير العادية. فهو رأى الخراف تتجمع حول كائن مجهول الشكل عند حافة المنحدر الصخري. وقبل ان يتمكن الراعي من الوقوف لاستجلاء الامر، نهض ذلك الكائن المقرفص ووثب صارخا على القطيع. ثم ابصر ماكريمون وهج الدم على الصوف

(★) جزر واقعة غرب الساحل الاسكتلندي.

الابيض، وشاهد القاتل وهو يشق خروفا ميتا ليأكل لحمه النيء. فسارع الى طلب النجدة وهو يلعن نفسه لانه ترك كلبه في المنزل. ولم يطل الوقت حتى اقبل عشرة من القرويين، اثنان منهم مسلحان ببندقيتين من الطراز القديم تلقمان بالرصاص من فوهتيهما، وثالث يحمل بندقية ذات ماسورة طويلة.

كان النهار قد شارف على الافول عندما بدأ الرجال الرعاة يجتازون المروج في اتجاه الصخرة. وشاهدوا من بعد كومتين بيضاوين هما الخروفان المقتولان فتجمعوا في كتلة متراصة ومشوا بحذر الى ان رفع احدهم يده مشيرا الى نقطة معينة، ورأوا جميعهم الكائن الجاثم بالقرب من احد الخروفين، فاطلقوا لكلابهم العنان.

وكان ناكوسياك منهمكا في تقطيع شرحات اللحم، ولم يلاحظ قدوم الرعاة الا عندما ارغمه نباح الكلاب الصاخب على رفع عينيه، فرأى الكلاب قد احاطته وفي مقدمها كلبة لرعاية الغنم ضخمة سوداء وبنية اللون من فصيلة الكولي الاسكوتلندية الاصل. وانقضت الكولي بحركة دائرية على ذلك الكائن الغريب الرائحة والغريب الملبس والدامي اليدين الجاثم بقرب الذبيحة الممزقة. فرد ناكوسياك على الانقضاض بحركة جانبية ممسكا نصاب رمحه بكلتا يديه والقم الكلبة على جانب رأسها ضربة شديدة كسرت عنقها. وللتو دنت منه بقية الكلاب مرة اخرى فتراجع ناكوسياك حتى حافة الصخرة ثم رفع رأسه في اتجاه الرعاة وصاح بلغته: "اني انسان لا ينوي شرا".

وردا على كلمته دوت طلقة من البندقية واصابت القذيفة كتف ناكوسياك بقوة استدار معها حول نفسه، وعلت صيحة الرعاة واندفعوا راكضين الى الامام بينما تعثر ناكوسياك فوق حافة الصخرة وهوى، الا انه تشبث بيده اليمنى بارض المنحدر الشاهق وتمكن من التعلق بسفحه منزلقا مسافة مترين فوق جزء ناتىء ثم استلقى منهوك القوى ومرتعشا على حافة ضيقة حفرتها الطبيعة في جدار المنحدر الصخري.

وحين أطل الرعاة فوق المنحدر لم يروا في الاسفل سوى بريق موج البحر المتكسر على الشاطىء الضيق ووميض اجنحة النورس التي فزعت من اماكنها، فاستدعوا كلابهم وقفلوا راجعين الى ديارهم عبر المروج التي بدأ الظلام يخيم عليها. ومهما تكن حقيقة قاتل الخروفين فقد علموا في اعماق قلوبهم انه كائن بشري الا ان نفوسهم لم ترتح الى هذه المعرفة، كما عبر عن ذلك ماكريمون عندما سألته زوجته وبناته عن حقيقة ما وقع فقال: "لقد حدث ما حدث. ولا خير في ابلاغ الدنيا باسرها ما جرى فوق المروج، فلن يصدق الناس الخبر. ومن الافضل نسيان الامر".

اما ماكريمون فلم يقو هو على نسيان الحادث ولازمته ذكرى ذلك الصوت الغريب وانتابته الافكار المزعجة. فما كان منه بعد ثلاثة ايام الا ان توجه الى المرتفع الصخري وانحدر فوق حافته برفق بينما اخذ كلبه يئن في عوائه ولم يجرؤ على

الانحدار وراء سيده الذي اختفى عن النظر.

الطائر ينتقم له – كان الجزر ينحسر عن الشاطىء فومضت الحصى المبللة في اسفل الهوة السحيقة وراح ماكريمون ينحدر شبرا فشبرا فوق الجزء الناتىء واذا به يمر قرب عش متأخر لطائر الاطيش البحري آكل الاسماك، فقذفت انثى الطير بنفسها في الفضاء وهي ترفرف بجناحيها بعنف، ولطم احد الجناحين وجه ماكريمون لطمة قوية، فرفع احدى يديه غريزيا لوقاية وجهه وابعاد الطائر عنه. وفي تلك اللحظة تقوض الصخر الطيني الذي ارتكزت عليه قدماه فتساقط الرجل في اتجاه حجار الشاطىء واحس الكلب من على قمة الصخرة بوقوع المأساة فاخذ يولول عاليا في نباحه.

وايقظ نباح الكلب ناكوسياك من سباته العميق في الكهف الصغير الذي لجأ اليه انتظارا لابلال جسمه من الجروح. فقبض بيده السليمة على السلاح الوحيد الذي تبقى لديه وهو عبارة عن حجر كبير مكسو بقشور "البرنقيل" العالقة بالصخور. فرفع الحجر عاليا وابقاه في الهواء استعدادا لاستخدامه بينما سمع ضجة تدحرج الحجار تصحبها صرخة انسان. فمشى متثاقلا خارج كهفه الصغير ورأى فوق ركام غليظ من العشب البحري جسد رجل ينز الدم من جرح في جمجمته. وفي طرفة عين وقف ناكوسياك فوق عدوه وقد ارتفعت الكتلة الصخرية بيده عاليا. وحوم الموت فوق آنغوس ماكريمون، ولم ينج من الهلاك الا باعجوبة. وقد وقعت الاعجوبة بالفعل. اعجوبة الشفقة.

ووقف ناكوسياك مرتجفا ينظر الى الرجل الجريح وتراخت ذراعه المرتفعة ثم انحنى وامسك بذراعه السليمة جسد الراعي وسحبه فوق الحصى الى ملاذ الكهف.

وفي صباح اليوم التالي عثر الفريق المكلف البحث عن ماكريمون، على كلبه فوق حافة الصخرة فتجهمت وجوههم وقدروا ما حدث لكنهم لم يدركوا كل شيء. واذ بخيط رقيق لولبي من الدخان يتصاعد من الكهف، فقادهم مباشرة اليه، وراحوا يحدقون بحذر داخل الصدع الصخري والبنادق مهيأة لاطلاق النار، وبدت على وجوههم علامات الحيرة والدهشة من المشهد الذي رأوه حتى ان ماكريمون لم يتمالك من الابتسام. وهدّأ روعهم قائلا: "لا تخافوا يا اخوان" واضاف وهو ممدد على فراش من عشب البحر: "ليس هنا سوى نحن المتوحشين ولكننا لن تفترسكم".

داخل الكهف كان الدخان يتصاعد كثيفا من النار التي اضرمها ناكوسياك في عدد من اخشاب جرفتها المياه، مستخدما قطعتين من الفولاذ والصوان كانتا في حوذة ماكريمون. وقد لف ناكوسياك رأس الراعي الجريح بعصابة من قطع قميصه الممزقة، كما غطى ظهره المرضوض وضلوعه المكسورة بالسترة الفرائية التي كان يلبسها هو حينما فتك بقطيع الخراف، وها هو يجلس الان نصف عار الى جانب الراعي ويسند كتفه الجريحة بذراعه السليمة.

وانتقل الاسكيمو بنظراته العصبية

العجلى من وجه ماكريمون الباسم الى مجموعة الرؤوس المحتشدة عند مدخل الكهف، ثم بدأت الابتسامة ترتسم على محياه ايضا بالتدريج، ابتسامة الفرج الذي يتعذر وصفه بالنسبة الى رجل كان تائها في فراغ مخيف ثم عاد الى ارض البشر.

وبقي ناكوسياك وماكريمون عدة ايام طريحي الفراش في سريرين متحاذيين داخل كوخ الراعي الى ان بـرأت جروحهمـا. وكـانـت زوجـة ماكريمون وبناته يحطن ناكوسياك بالعناية والعطـف بينمـا تولـى هـو تسليتهن باغانـي الاسكيمـو. وبعـد انقضاء اسابيع قليلة بدأ الناس هناك يشيرون اليه بمحبة وحنان قائلين: "ذلك هو الشاب الصغير الذي جاء من البحر".

وسرعان ما تكيف ناكوسياك مع طريقة الحياة في الهبريد. ثم تزوج ابنة ماكريمون البكر بعد ثلاث سنوات من وصوله وبدأ حياته العائلية الخاصة واختار لنفسه اسم مالكولم، واصبح واحدا من اهالي تارانسي لا فارق اطلاقا بينه وبينهم الى ان وافته المنية في أواخر القرن، ووري الثرى في باحة كنيسة القرية.

ويقول الراوون: ذات يوم من ايام الصيف جاء شاب عند الاصيل، هو ابن حفيد ناكوسياك وانحنى فوق التربة ليقرأ الكتابة التي حفرها احد اصدقاء الاسكيمو على شاهدة قبر مالكولم بجوار زوجته. وعلا الاعتزاز جبين الشاب وهـو يقـرأ الكلمـات الآتيـة بصوت عال:

لقد اطل هذا الغريب من البحر، قادما من
ارض لا يدري باسمها احد
ليقيم في تارانسي
وقد احبه الاهالي حبا جما
لانه عرف جيدا
كيف يجازي الشر بالخير العميم.

■ **فارلي موات**



قال رجل لزوجته انه لا يوافق اطلاقا على شراء فراش من المطاط يملأ ماء.
وأضاف معللا ذلك: "عندما اذهب الى سريري في الليل، اود ان اجد فيه راحتي، ولست ابحث عن ظفر في معركة بحرية".

مقايضة كهربائية

قال ابن البلد الكهل للتاجر: "اود ان اقايض زوجتي التي عمرها ٤٠ سنة بزوجتين عمر كل منهما ٢٠ سنة".

وعلى رغم غرابة هذا الطلب، قبل التاجر ان يلبيه، فانصرف ابن البلد الكهل سعيدا مغتبطا. ثم عاد في الاسبوع اللاحق، فقال له التاجر: "خير انشاء الله! وما هو طلبك الآن؟".

فأجاب الكهل: "اود ان اقايض زوجتي اللتين عمرهما ٢٠ سنة، بواحدة عمرها ٤٠".

ورد التاجر: "لكنك طلبت عكس هذا في الاسبوع الماضي".

فاجاب الكهل: "نعم، هذا صحيح، ولكنني وجدت ان مقسمي الكهربائي موصول على ٢٢٠ فولطا".

("كورييه" - انكلترا)



دوروثي اليسون مع بعض الميداليات التي منحتها أياها مختلف دوائر البوليس.

موهوبة ترى الغيب بعينين خارقتين

... والنساء ايضاً خارقات. فقد استطاعت احدى ربات البيوت، بفضل "الصور" التي تتمثلها من المساعدة في الاهتداء الى عدد كبير من المفقودين.

لم يدر السيد تشارلز ليتل ايغل ماذا كان ينتظره عندما تخطت قدماه الدرجات المؤدية الى بيت دوروثي اليسون، في شمال نيو جيرسي مساء ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥. وكانت ابنته البالغة الثامنة عشرة من عمرها قد اختفت قبل يومين، فابلغ دوائر الشرطة من دون رجاء، ولم يلبث ان استولى عليه اليأس وحمله على محاولة المستحيل والاستعانة بالسيدة اليسون التي نقل اليه احد اصدقائه مجموعة من المعلومات عن قدرتها الخارقة.

وبدأ ليتل ايغل اطلاع المرأة على سبب

مجيئه، فاستمعت اليه وبقيت بضع ثوان صامتة تصغي اليه وهي تترصد سلسلة "الصور" الوامضة في مخيلتها كأنما هي تدير مفتاح الجهاز التلفزيوني ثم تقفله تباعا٠ ثم اخذت الكلمات تتدفق على لسانها لتنقل اليه على عجل كل ما "ابصرته" عيناها، وطمأنته: "ان ابنتك في أمان٠ وانها تسكن بيتا قذراً له باب احمر وان رقم الدار هو: ١٠٦ او ١٨٦ او ١٦٨٠ وان الرجل الذي هربت ابنتك معه يحمل اسما يشتمل على حرفي "راء" او "راء" مشددة وانه سيتم اكتشاف موقع البيت قبل ٣١ يناير (كانون الثاني)٠ وهناك شيء آخر٠ انك ستصبح جدا"٠

ولدت دوروثي في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٤ وهي ربة بيت قصيرة القامة ونشطة، تحب الطبخ ولا تأنف القيام باعمال التنظيف، ويمتعها التسوق في المتاجر الكبرى٠ وهي، الى ذلك، امرأة مستقيمة ونزيهة وحنونة ومفعمة بالحماسة، عدا انها بصيرة شديدة الحساسية بالقوى الروحية، تستطيع الرؤيا ما وراء نطاق معرفتها وتجاربها٠ وقد تعاونت منذ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ مع عشرات الدوائر البوليسية لمساعدة هذه في الاهتداء الى اماكن الاشخاص المفقودين٠ كذلك هي لبت طلبات اسر عدة لاكتشاف مفقود عزيز من ابنائها، وهي تأبى ان تتقاضى المال اجرا لجهودها وتقول: "لقد انعم الله علي بهذه الموهبة، فمن الحرام ان استخدمها لغير الاغراض الانسانية"٠

اقتفاء الاثر في بروكلين – استبعد البوليس في قضية اختفاء الآنسة ليتل ايغل عنصر العنف او الاكراه، كما استبعد ان يكون له صلاحية قانونية لارغامها على العودة الى ذويها في حال العثور عليها ما دامت الفتاة قد بلغت الثامنة عشرة من العمر٠ وطلب الوالد الى دوروثي ان تتكرم بالخروج معه محاولة للعثور على ابنته لكنها لم تستطع اذ كانت تعاني زكاماً حاد وسرعان ما تحول الى ذات الرئة٠

فاكتفى ليتل ايغل بتكليف رجل المباحث الخاصة تشارلز دلاهنتي الا ان هذا عاد بعد اسابيع من تحرياته بخفي حنين٠ فاضطر الوالد في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦ الى زيارة دوروثي مجددا وكانت بدأت تتماثل الى الشفاء٠ فقالت له: "ارجع يوم الثلثاء المقبل وسنخرج معا للبحث عن الفتاة"٠

وعندما ركبت السيارة مع دلاهنتي وزميل له قالت: "فلنذهب الى نيويورك"٠ وحين سألها دلاهنتي: "لم؟" اجابته: "لان الفتاة هناك"٠ على ان دلاهنتي اعتبر في تلك اللحظة ان يومه سيضيع سدى٠

وما ان وصلت السيارة بهم الى مانهاتن حتى اشارت دوروثي باصبعها وقالت: "اتجه في ذلك الطريق" (والمدهش ان دوروثي لا تملك حاسة الاتجاه ولا تستطيع حتى ارشاد شخص غريب الى بيتها) واستمرت قرابة ثلاث ساعات تنتقل برجلي التحري في اتجاهات مختلفة متعرجة عبر الجزء الجنوبي من مانهاتن ثم في عمق بروكلين٠ وفجأة قالت: "علينا الآن ان نبحث عن شيء له علاقة بسيارات التكسي٠ كذلك عن

شيء آخر له علاقة باسم رئيس امريكي"·

واخيرا وصلوا الى شارع مونرو، فقالت: "در الآن حول زاوية الشارع· فان الفتاة موجودة في بيت في الشارع التالي"· واسر" دلاهنتي في اذن زميله: "هذه المرأة مجنونة!"·

وصاحت دوروثي: "هوذا البيت" مشيرة الى بناية خربة للسكن تحمل الرقم ١٨٦، ولها بوابة امامية حمراء· وكانت في الطابق الاول من البناية غرفة امامية صغيرة تطل على الشارع وتستخدم كمكتب لاستقبال طلبات الخدمة لسيارات التكسي· اذ ذاك استولت الدهشة على دلاهنتي·

ثم دخلوا المبنى وتحدثوا الى المرأة التي تدير اعمال المكتب فابلغتهم ان الفتاة التي يطلبونها لم تأت اطلاقا الى ذلك المكان· وعندما خرجوا، قالت دوروثي مؤكدة للرجلين: "ان الفتاة هنا في هذا المكان"· وبالفعل فقد تبين في ما بعد انها كانت مختبئة تحت السرير·

وفي ٢١ يناير (كانون الثاني) اتصل والد الفتاة هاتفيا بدوروثي وقال لها مذكرا: "اما قلت لي اني سأرى ابنتي اليوم او غدا؟ فهيا بنا نذهب الى ذلك البيت ونحضرها معنا"· فأجابت: "ليس اليوم· لا اريد ان اتورط في حادث اصطدام· سارافقك غدا"·

غير ان الوالد لم يستطع التريث، فركب السيارة مع رجلي التحري الخاصين واتجه الثلاثة الى نيويورك، وبينما هم في الطريق انزلقت احدى السيارات فوق الجليد، وفقد السائق سيطرته على مقودها فارتطمت بسيارتهم وتحطمت سيارة دلاهنتي· ولحسن الحظ لم يسفر الاصطدام الا عن اصابة الركاب ببعض الرضوض·

وفي اليوم التالي، رافقتهم دوروثي ووجدوا الفتاة داخل البيت حيث كانت تعيش مع رجل يدعى هاريس بتشديد "الراء" (اي انه يتكرر فيه حرف "الراء"، كما تنبأت دوروثي) وكانت الفتاة حاملا، وقد حبلت بعدما كانت دوروثي ابلغت الوالد انه سيصبح جدا·

وكانت الفتاة مضطربة من العودة الى دار ابيها، لذلك اقترحت دوروثي فترة لتهدئة الخواطر تقيم فيها الفتاة مع دوروثي وزوجها بوب الذي يعمل مهندسا مشرفا على اعمال البناء· والحت دوروثي على الفتاة قائلة: "عندنا بيت واسع وكم سيسعدنا ان تقيمي معنا" فوافقت الفتاة· وبعد قضاء بضعة اشهر في كنف عائلة اليسون عادت الى بيت والديها قبل ان تقرر اخيرا الانضمام الى ابي طفلها والشروع في بناء حياتها العائلية الخاصة·

اكتشاف رهيب – ان الكرم والحنو شيمتان انطبعت عليهما دوروثي· فقد ربى والدها ١٣ طفلا من دون ان يمنعهما ذلك من العناية ايضا بصبي تيتم من امه في اثناء الولادة· وتستعيد دوروثي الذكريات فتقول: "لقد تعلمنا ان نهتم بعضنا بالبعض وان نتقاسم ما نملك، لذلك فانني اجد ان هذا العمل الخاص بالبحث عن المفقودين ترتاح اليه النفس ولو انه مزعج وشاق للغاية· انني عندما التقي ابوين فقدا طفلهما اشاطرهما الشعور بالاسى وعندما ابحث عن الطفل

المفقود احس وكأنني ابحث عن طفل لي".

ولقد ادركت دوروثي منذ طفولتها ان لها بصيرة نافذة خارقة - كما كانت امها - غير انها لا تستطيع تعليل قدرتها على رؤية ما وراء نطاق البصر ولا تجد فائدة من التحرز والتخمين في هذا الصدد. وقد بدأ تورطها مع البوليس على غير توقع الساعة السادسة صباح ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٧ حين استيقظت من حلم رأت فيه صبيا صغيرا ميتا داخل انبوب متصل بنهر. وظلت الرؤية تنغص عيشها يوما بعد يوم. واخيرا ابلغت دائرة البوليس في نتلي، نيو جيرسي، ما "رأت". فقال لها رئيس البوليس ان طفلا في الخامسة من عمره يدعى مايكل كوركسيس قد غرق قرابة الثامنة صباحا (لقد حلمت دوروثي بالحادث قبل ساعتين من حدوثه) من يوم ٣ ديسمبر (كانون الاول) غير انه لم يكن عثر على جثته بعد. وذكرت دوروثي، بتردد، لرئيس الشرطة انها تملك قدرة على رؤية الغيب، لكنه لم يعبأ بكلامها لان الصحف المحلية كانت تناقلت نبأ المأساة في حينه.

وصدف ان كان دونالد فيكارو، احد افراد شرطة الخفر، واقفا على مقربة منها، وكان على اتصال شخصي بعائلة كوركسيس وشديد الاهتمام بالعثور على جثمان الصبي، فسألها قائلا: "هل تستطيعين تزويدي بمزيد من التفاصيل لان الصحف التي نشرت نبأ الحادث لم تنشر صورته ولم تورد اي وصف للطفل؟".

- بلى. اني ارى المزيد. انه يرتدي فوق قميصه الوبري الذي شبكت به ميدالية دينية، بدلة ثلجية خضراء. امه خارج البلدة. شيء آخر عن مايكل: انه ينتعل حذاءيه على نحو معكوس.

وتحقق فيكارو من ان وصف ملابس الطفل الخارجية صحيح. فاتصل هاتفيا بالسيد كوركسيس للاستعلام منه عما اذا كان يعرف دوروثي اليسون؟ فأجاب: "كلا. ولم اسمع بها مطلقاً".

ودار بينهما الحديث الآتي:

- هل كان حذاءا مايكل معكوسين على قدميه؟

"لا ادري لان الطفل ارتدى ملابسه بمفرده ذلك الصباح".

- هل السيدة كوركسيس موجودة في المنزل؟

"كلا".

وفكر فيكارو بان دوروثي قد تكون فعلا امرأة لها قدرة على رؤية ما وراء نطاق البصر. فطلب اليها ان تحاول مساعدته في العثور على جثة الصبي، فوافقت بحماسة. وحين وصلا الى ضفة النهر حيث سقط مايكل ظلت دوروثي تردد المرة تلو المرة انها رأت جسمه داخل انبوب. لكن الانابيب الوحيدة المتصلة بالنهر التي كان فيكارو يعلم بوجودها، هي مصارف امطار العواصف التي تصب في النهر، فكيف يمكن الجسم ان ينتقل من النهر الى داخل المجاري التي تصب فيه اصلا؟

وطلب فيكارو الى دوروثي ان تضع نفسها ذهنيا في مكان الطفل وان تعلمه بما هو ماثل امامها وخلفها ايضا فأجابت:

"الماء من أمامي ومن خلفي الماء أيضاً".

وهل انت واقفة في الماء؟

"كلا".

وحينذاك استنتج فيكارو: "اما ان تكون هي معتوهة واما ان اكون انا هو المعتوه". ثم فكر في ان خبيرا في التنويم المغناطيسي قد يتمكن من استخلاص تفصيلات اكثر دقة من معلومات دوروثي. وقاده البحث الى الطبيب الدكتور ريتشارد ريبنر المتخصص في علم النفس في مدينة نيويورك الذي وضع دوروثي في حالة شبه نوم مغناطيسي. وفي تلك الحالة من الاسترخاء الكامل رأت دوروثي شكلا شبيها برقم ٨ بالافرنجية (8) وباحة لوقوف السيارات.

وفي الايام التالية قالت لفيكارو انها رأت مدرسة حولها سياج وبيتا رمادي اللون ومجموعة من المكاتب وبابا عليه كتابة بحروف ذهبية ومصنعا قائما وراءه. وفي ٧ فبراير (شباط) علم فيكارو لدى دخوله دائرة البوليس انه عثر على جثة مايكل كوركسيس في بركة بليتشري التي يصب فيها النهر الثالث على بعد خمسة كيلومترات من مكان سقوط الصبي.

وتوجه فيكارو بالسيارة الى البركة. ووصف المكان في ما بعد بقوله: "كان الوضع برمته رهيبا. البركة في الحقيقة بركتان يفصل بينهما حيز ضيق من الأرض. وعندما وقفت فوق تلك القطعة من اليابسة ابصرت الماء من امامي ومن خلفي. ورأيت من مكاني مدرسة عمومية رقمها ٨ وحولها سياج، كذلك بيتا رماديا ومكتبا على بابه حروف ذهبية ورأيت خلف المكتب مصنعا له باحة لوقوف السيارات. اما مايكل فقد كان يرتدي قميصا وبريا شبكت به ميدالية دينية وحذاءين لبسهما في شكل معكوس".

وعلم فيكارو في ما بعد ايضا انه حين غرق مايكل كانت احدى شركات البناء مدت انابيب كبيرة في النهر الذي يصب في البركة، واستخدمت تلك الانابيب كاساس لجسر موقت. ومن المحتمل كثيرا ان يكون جثمان مايكل قد حشر مع كتل الحجار وغيرها من الحطام داخل احد تلك الانابيب فترة من الزمن.

رؤية "خاطئة" — ويقول الدكتور ريبنر: "ليس كل ما تقوله دوروثي مصيبا دائما. فقد ترتسم في ذهنها صورة سيارة وترى ان رقم لوحتها هو ٢٦٩. واذا لم تثبت صحة تسلسل هذه الاعداد فيجب التحقق من الرقمين الآخرين اللذين يشتملان على الاعداد نفسها اي ٦٩٢ او ٢٩٦. او ربما كان الرقم ينطبق على عنوان منزلي او رقم هاتفي".

على ان الدكتور ريبنر فوجىء الى حد بعيد بقدرات دوروثي في حادث وقع داخل مكتبه: "طلبت دوروثي مع اثنين من رجال التحري تحديد موعد لمقابلة الدكتور ريبنر وعندما وصلوا الى عيادته كان احد المرضى جالسا في غرفة الانتظار وبعدما ادخل الطبيب النفسي ثلاثتهم مكتبه واغلق الباب وراءهم قالت دوروثي له: "يا ريتشارد، ذلك الشاب في غرفة الانتظار يحمل مسدسا ويعتزم الانتحار. فهو شاب لديه امكانات

عظيمة وفي مقدوره ان يكون رجلا ناجحا جدا متى تماثل للشفاء"٠

ويستعيد الدكتور ريبنر هذه الذكرى فيقول: "كنت اعلم ان المريض مصاب بكآبة حادة توهن عزيمته وانه معرض للانتحار٠ وعندما سألته عن المسدس في اثناء جلستي الطبية معه،اقر بانه فيحوزته وينوي استخدامه٠ فاقنعته بالتخلي عنه وبالاقلاع عن فكرة الانتحار وبمواصلة الاهتمام بحل مشكلاته٠ وهو يعمل اليوم في التصميم الصناعي حيث يحظى بقسط وافر من التوفيق"٠

احساس بالفرج - لقد كانت دوروثي مصدر فرج وارتياح لبعض العائلات التي فجعت بفقد شخص عزيز في اثناء تلك التجارب المريرة٠ ففي ١٥ مايو (آيار) ١٩٧٦ لم تعد الفتاة سوزان جيكوبسون (١٤ سنة) الى منزل والديها في جزيرة ستاتن في نيويورك لتناول وجبة العشاء٠ وفي صباح اليوم التالي احس ابواها في اعماقهما بانها ماتت، بالنظر الى عدم وجود اي سبب يبرر اختفاءها بمطلق ارادتها٠ غير ان رجال الشرطة ابلغوا عائلة جيكوبسون ان سوزان فتاة من "الهاربات" ولا شك، مما يستدعي احالة قضيتها على فرقة البوليس الخاصة بالمفقودين٠

وبعد ثلاثة اسابيع من البحث سدى سمع ابو الفتاة وامها ايلين بدوروثي اليسون، فاتصلت الام بها تلفونيا٠ وكانت اجريت لدوروثي جراحة في لثتها، وكان فمها ووجهها لا يزالان ملتهبين لكنها تأثرت بصوت ايلين المستغيث الملح فقالت لها: "اعط عنوانك لزوجي مع الارشادات المناسبة وسنترك بيتنا في غضون عشر دقائق"٠ ولم تكن دوروثي قد زارت جزيرة ستاتن من قبل٠

وفور وصولهما وجهت دوروثي السؤال الآتي الى ايلين وهي تدون بعض الارقام على قطعة من الورق: "ماذا تعني الارقام ٥،٢،٦٤ بالنسبة اليك؟"٠

فأجابت ايلين:

"انه يوم عيد ميلاد سوزان (٥ فبراير (شباط) ١٩٦٢)"٠

- وماذا عن ٤،٠٨ او ٤،٠٥؟

"هذا هو الوقت التقريبي لساعة ولادة سوزان"٠

- اني ارى جثمانها في هذه الجزيرة٠ اخبريني هل الحروف الثلاثة م٠ أ٠ ر٠ تعني شيئا لك؟

ولما هزت ايلين رأسها بالنفي، تابعت دوروثي كلامها قائلة: "ان سوزان بالقرب من هذه الحروف٠ ومن ذلك المكان تستطيعين ان ترى مجموعتين من الابراج المزدوجة لاحدى الكنائس وجسرين وسيارة محروقة"٠

وانطلق ويليم جيكوبسون وعدد من انسبائه واصدقائه في شوارع جزيرة ستاتن بحثا عن مكان ينطبق على وصف دوروثي٠

وفي اليوم السادس صادف وليم صخرة كبيرة نقشت فوقها باللون الاحمر الحروف الثلاثة "م٠ا٠ر٠" ثم تملكته الدهشة عندما شاهد سيارة محروقة وجسرين ومجموعتين من ابراج كنيسة ثنائية ترتفعان عبر الخليج في نيوجيرسي، وقد تناثر في ارجاء المنطقة حوالى خمسين خندقا صغيرا شبيهة بالآبار كانت تستخدم في بناء السفن ابان الحرب العالمية

الاولى وقد امتلأ معظمها الآن بالماء.

وبعد ذلك عاد ويليم بصحبة دوروثي الى المكان فاحست بان جثة سوزان موجودة فيه، لكنها اقترحت عليه ان يطلب الى البوليس احضار الكلاب الخاصة التي تستخدم في كشف الجرائم نظرا الى اتساع رقعة المنطقة التي تقارب مساحتها اربعة كيلومترات. ورفض البوليس تلبية هذا الطلب، معللا ذلك بقوله: "اننا نتعامل بالحقائق لا بالرؤى!".

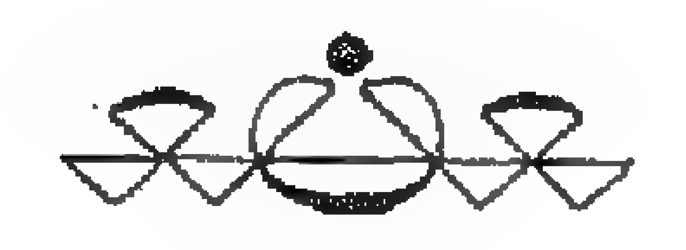
وفي الاشهر المروعة التالية ركزت اسرة سوزان كل اعتمادها على عائلة اليسون، وتبادلت الاسرتان الزيارات وظلت ايلين تتصل بدوروثي هاتفيا عدة مرات في الاسبوع. وتقول ايلين: "لولا دوروثي لاصبت وزوجي وليم بانهيار عصبي".

وفي ٢٣ مارس (آذار) ١٩٧٨ - اي بعد مرور ٢٢ شهرا على اختفاء سوزان، كان ثلاثة صبيان يصيدون فئران "الموسك"، وهي حيوانات مائية شبيهة بالفئران، داخل خنادق بناء السفن التي صرفت مياهها، فعثروا في احدها - وهو الحوض الذي حاول وليم البحث فيه لكن الماء حال عندئذ دون جهوده - على برميل باتساع ٢٠٠ ليتر يحتوي على رفات سوزان. وبعد مضي ستة اسابيع على ذلك وجهت تهمة القتل الى شاب في الثامنة عشرة من عمره كان يعرف سوزان. وتقول ام سوزان:

"واخيرا انتهى كل شيء بعدما عثروا على جثة سوزان وشعرت باحساس من الفرج لانني حصلت على الشيء الوحيد الذي بقي في امكاني ان اتمنى تحقيقه، وهو اجراء مأتم لائق بسوزان".

وكثيرا ما يغمر الحزن والأسى حياة دوروثي بسبب هذه الاكتشافات. وقد توقفت مرة عن مساعدة البوليس لكنها سرعان ما وجدت ان ذلك اسوأ وقعا عليها من مواصلة جهودها، وهي تقول: "لقد منحت هبة ولا بد لي من ان اردها عن طريق العطاء".

■ جوزف ب. بلانك



حسان الفضاء الخارجي

روى رائد الفضاء توم ستافورد قائلا: "انفصلت سفينتا الفضاء الروسية "سويوز" والامريكية "ابولو" بعد لقائهما في الفضاء عام ١٩٧٥. ولكن الاتصال اللاسلكي بينهما ظل مفتوحا وارتفعت منه اصوات عدة: حسان، مجموعات من الحسان، يمرحن في الماء ويصرخن ضاحكات. وران الصمت من الجانب الروسي فترة حتى تبين للرواد الروس ان هذه الاصوات لا يمكن ان تكون صادرة الا عن السفينة "ابولو".

وجاء صوت رائد الفضاء السوفياتي الكسي ليدنوف متسائلا: "توم، توم، ماذا يحدث عندك؟ فأجابه ستافورد بسرعة: "ما رأيك انت يا الكسي؟" وفهم الروس ان المسألة دعابة، فضحك واجاب: "تبا لك يا توم، انه شريط مسجل، أليس كذلك؟".



قلادات البندق

المعاقون الذين يعوضون
ما فقدوا بالشجاعة والأمل،
كم هم مدهشون. هنا خمسة
منهم في مخيم صيفي
بزّوا الاصحاء في ادائهم.

بدأوا ينزلون الاطفال – وكان عددهم يقارب المئة والعشرين – من السيارات والحافلات، وكان المشهد غريبا يقف المرء امامه مشدوها. لقد ألفت الغابة وممراتها المؤدية الى هذا المخيم الصيفي وطء اقدام الجموع، واصداء اصوات الاطفال الاصحاء وهم يلعبون.

واما هؤلاء الاطفال القادمون فلا يحيط بهم الا الصمت الذي يغمر موكب الاباء فيدفعون بعربات اولادهم في اتجاه المرشدين المنتظرين،وانا واحد منهم، وهم الهدف المقصود من هذه الرحلة.

وامتلكني الذعر، كسائر زملائي المحيطين بي، واستولى علينا السكوت.

مع ان ممرضة المخيم كانت قد شرحت لنا بعض الشيء عن الاطفال المعاقين، لكن مشهدا مثل هذا المجموع منهم صدمة تفقد الصواب. فما عساك ان تقول لاطفال حرموا البصر او الذراعين او الساقين؟ اطفال خلت وجوههم من سمة التعبير، تعتريهم بين الحين او الحين تشنجات عضوية وكأنهم دمى مشدودة الى خيوط خفية. كائنات خالية من مظاهر الحياة، وكأنهم امتعة حشرت

CONDENSED FROM «THE ACORN PEOPLE» COPYRIGHT 1976 BY RON JONES. PUBLISHED BY BANTAM BOOKS INC 666 FIFTH AVE. NEW YORK N Y 10019



في مقاعدها المتحركة؟!

وقد عين مرشدان لكل وحدة سكنية تضم خمسة من هؤلاء الاطفال· وكان شريكي في المسؤولية شاب نحيل الجسم وطويل القامة يدعى دومينيك كافيللي له عينان عسليتان عميقتان تنمان عن حبه للاطفال واهتمامه بهم، وتعلو شفتيه ابتسامة رقيقة ترتسم على محياه كلما هم بالحديث، وكان يحاول التخصص في العناية بالاطفال المعوقين، بينما اقبلت انا على هذه المهمة في المخيم لبضعة اسابيع فقط، وسرعان ما تقلصت اوهامي عندما تبينت استحالة المزاح واللعب مع هؤلاء الاطفال، واستبعاد الحظ بان نسير معا ولو بضع خطوات·

كان بني اول من وصل من الاطفال الى وحدتنا وهو اسود البشرة ضئيل الجسم في حجم الفول السوداني، وفي الثامنة من عمره، وقد اودى شلل الاطفال بساقيه ولكنه لم يأت على جرأته او قلبه· كان قابعا في مقعده المتحرك وخوذته على رأسه، ينحني الى الامام كأنه يشترك في سباق للسيارات· وما ان اطمأن الى وضعه في المقعد، حتى رفع ذراعيه ودفع العجلات فانطلق المقعد· ولم يكن في المخيم كله طفل اكثر حركة من بني·

وجاء بعده سبايدر (العنكبوت) ويبلغ العاشرة. اسم غريب لا ينطبق على سبايدر الذي ولد بلا اطراف، فنبتت له بدلا منها بعض النتوءات المتدلية من قامته القصيرة وكأنها فروع مكسرة عالقة بشجرتها. وكان سبايدر يقظا، حاد الملاحظة وطلق الحديث.

اما توماس نزيلنا الثالث، فلم يكن لديه عفوية بني ولا بداهة سبايدر، وكان يعاني سوء تغذية عضلي وهو من اقسى العلل الجسدية المزمنة، وكان عمره يراوح بين ١٥ و١٦ سنة بينما لا يتجاوز وزنه ثلاثين كيلوغراما. وكنت تخاله اذا ما حاولت ان تلمسه، ككتلة مطوية من القماش، كأن عظامه منفصلة بعضها عن بعض، لا رابط بينها بعد ان تسلل المرض مع الزمن في جسد توماس وجرده من عضلاته وانسجتها. كان يجلس في مقعده مقطب الجبين يأبي التحرك.

وكان مارتن اكثر نزلائنا لياقة من الناحية البدنية، تقارب سنه الرابعة عشرة، وكان دائم الابتسام ودائب الحركة على غرار اقرانه الاطفال المكفوفين في المخيم. وكان طويل القامة نحيل البنية، وله شعر احمر زاه متنافر في كل الاتجاهات.

كان اريد الطفل الخامس في وحدتنا، وقد استحق هذه الكنية (الكريه) بسبب رائحة فمه البشعة. ولم يكن للطفل المسكين مثانة تتجمع فيها فضلات جسمه السائلة، فزودوه بكيس من المطاط مربوط بمعيه ومعلق حول ساقه ويحتاج الى افراغه كل ساعة. ولا شك في ان وضعا مثل هذا يعيي اي انسان، فكيف به لدى فتى لم يبلغ العشرين من عمره؟

العقد يكتمل - هاكم عقد الاطفال الخمسة قد اكتمل الان. فربما انهم لا تعوزهم الشجاعة، الا ان مجرد فكرة العناية بهذه الحطام البشرية قد اجفلتني، فتمنيت لحظة لو عدت الى منزلي، ولكنني خشيت مواجهة نفسي اذا ما تخاذلت، فقررت البقاء والتحمل.

في اليوم الاول الذي كرسناه للحرف اليدوية، شغلت نفسي بصنع قلادة من حبات البندق. وسألني سبايدر عما افعل،فقلت له: "صنعت لنفسي قلادة من البندق لا تغلب على شعوري بالوحشة والحدة". ضحك سبايدر وقال: "نحن ايضا نحس بمثل هذا الشعور، فهل يمكننا ان نصنع قلادات مثل قلادتك؟".

وفي نهاية الصباح كان كل من اعضاء وحدتنا (المسكن الرقم ٤) يضع قلادة من البندق حول عنقه. وعندما ذهبنا الى حوض السباحة عصرا اثارت قلاداتنا فضول الاطفال واعجابهم. ولم يبلغ الاسبوع نهايته حتى كنا انتهينا من صناعة قلادات تكفي كل افراد المخيم، بما في ذلك المرشدون والاطفال والطاهي وحتى الممرضة السيدة نلسون. واقترح سبايدر ان نطلق على انفسنا اسم "جماعة البندق"، فتوطدت بذلك روابط الاخوة في ما بيننا واصبحنا مجموعة متراصة في مواجهة الصعاب.

ولكم شعرت بالبهجة اذ ذاك لانني لم اغادر المخيم كما كدت ان افعل. وغدا حوض السباحة عالما جديدا بالنسبة الى كل فرد من افراد المجموعة. وغمر الماء اجسامنا

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

NAME .... الأسم
ADDRESS .... العنوان
....
....
PROFESSION .... المهنة
SIGNATURE .... التوقيع

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بإسم
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا ٢٢ دولاراً أمريكيا
☐ البلدان العربية ٢٥ دولاراً أمريكيا
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية ٢٧ دولاراً أمريكيا
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى ٣٠ دولاراً أمريكيا

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
7, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE



غسالات فيليبس تجمع بين الامتياز التكنولوجي وسهولة التشغيل

تأمل أية غسالة من غسالات فيليبس تجد أنك ستعجب حتماً بمظهرها الأنيق وحجمها الذي يجعلها لا تشغل الا مساحة صغيرة. الا ان اعجابك بها سيزداد اذا ادركت سهولة وضع الثياب فيها، والبساطة في مفاتيح التشغيل وترتيبها الموضوع بعناية، وأداءها الذي يجمع بين اليسر والاتقان. ان تصميم آلات من هذا المستوى لا يتم في ليلة واحدة، بل لقد بذل قدر كبير من الدراسة والتفكير في تصميم كل غسالة من غسالات فيليبس، وذلك الى جانب الأبحاث العلمية والمهارة الفنية، والخبرة العملية الواسعة العالمية النطاق. وكل غسالة من غسالات فيليبس على اختلافها، سواء منها ما كانت ذات باب جانبي او فتحة علوية، إنما صنعت لتوفر لك خدمة تستطيع الاطمئنان الى مستواها الممتاز سنوات طويلة. ذلك أمر مضمون.

فيليبس الأفضل لكم دوماً

PHILIPS

بالنشاط والبشر والمرح وافلتها من عقالاتها. وزودنا الاطفال باحزمة الامان البرتقالية واطلقناهم في الحوض وانتهى عهد القيود التي تعوق الحركة، وبدأ الاطفال يمرحون ويتسابقون ويتراشقون بالماء. وبعد ان كان هؤلاء سجناء مقاعدهم على اليابسة، تحول المرشدون والاطفال الى حياةجديدة على سطح العالم السائل.

كان سبايدر مدهشا في الماء يؤدي حركاته السريعة كالدرفيل من دون ذراعين ولا ساقين. وقد قرر يوما ان يسبح من اول الحوضحتى آخره. وتجمع الاطفال من الوحدات السكنية الاخرى ليشاهدوا سبايدر يغوص ويطفو على طول الحوض. ونجح في ذلك بعد عناء، فانتشلته من الماء ورأيت ابتسامة الابتهاج ترتسم على وجهه بينما تعلو تهاليل الجميع وهتافاتهم وانا معهم.

مغامرة لا تنسى - كانت حياة المخيم شاقة بالنسبة الى الجميع، لكن التجارب المشتركة، كقلادات البندق وسباحة سبايدر، كانت تشجعنا على الاستمرار. وثمة مغامرة لن انساها طالما حييت. كان ذلك ذات امسية ونحن نستمع الى الاشرطة المسجلة ينقلها الينا مكبر الصوت، واذ به يذيع اعلانا موجها الى الاطفال الاصحاء جسديا الذين يأتون الى هذا المخيم كل عام، وقد جاء فيه ان عددا من الجوائز ستمنح للذين يتسلقون جبل "لوك اوت".

وما ان سمع بني الاعلان حتى راح يتساءل: "لماذا لا نتسلق الجبل نحن ايضا ما دام غيرنا من الاطفال يستطيعون ذلك؟" وتبادلنا انا ودومينيك نظرات الدهشة والارتياب. واذا بمارتن، الفتى الضرير، يهب واقفا ويحرك ساقيه كمن يتسلق الجبل، معلنا بذلك انه ينوي الصعود فعلا. ولم يسعنا الا ان نحذو حذوه.

غادرنا المعسكر مع بزوغ الفجر. وكانت المسافة صعودا ونزولا لا تقل عن ستة اميال (قرابة ٩،٦ كيلومترات) من دون ان تكون لدينا فكرة عن وعورة الطريق. سار دومينيك في المقدم يدفع امامه عجلة سبايدر، وجاء وراءه بني وهو يدفع مقعده بيديه، وتبعه مارت وهو يدفع اريد، وسرت انا في مؤخر الموكب ادفع امامي مقعد توماس.

وكان موكبنا اشبه بعربة قطار من حيث الشكل والضوضاء. ولم يلبث ان قل بنا الحديث وغاب الزهو بعد ان استولت علينا رهبة المغامرة. فقد كان همنا في البداية مقصورا على الاحتكاك باغصان الآجام والفروع المتدلية من الاشجار والتي كانت تلتف حول عجلات المقاعد كأذرع الاخطبوط. ثم راحت الطريق تتقلص تدريجا عن سبيل يمكن اجتيازه على القدمين الى معبر ضيق فالى ممر هزيل كالخيط.

وعندما اتجه الطريق صعودا، اضطررنا الى الالتفاف حول المقاعد المتحركة لكي نسحبها من الامام بدلا من دفعها من الوراء حتى ان بني نفسه كان يسحب عجلاته سحبا ثم يوقفها بعد كل دورة. وعند منتصف النهار تمكنا من بلوغ الهضبة الموصلة الى قمة الجبل، وبلغت المسافة التي قطعناها حوالي اربعة كيلومترات.

لكن الجزء الباقي البالغ ثلاثة ارباع الكيلومتر، كان منحنى من الصخر والحصى يتعذر معه دفع المقاعد او جرها. واقترح دومينيك ان نحمل الاطفال واحدا بعد الآخر الى القمة. لكن توماس رفض قائلا: "لن اصعد الجبل محمولا على ظهر احد".

وبينما نحن نبحث في الموضوع سمعنا مارتن ينادي: "انظروا يا اخوان... ان المسألة بسيطة!". كان مارتن جالسا القرفصاء يدير ظهره الى القمة، وراح يدفع الارض بقدميه في اتجاه القمة وهو رابض على قاعدته، فيتقدم شيئا فشيئا من حافتها، كأنه ينتقل في زورق ذي مجاذيف.

وعلى اثر مداولات طويلة، بعد ان قام مارتن بعدة تجارب عملية قررنا الصعود. جلس دومينيك في وضع معاكس للقمة ووضعت سبايدر في حجره وربطته اليه بحزام العجلات. وشاء بني ان يقوم بالمحاولةوحده لكنه مزق سرواله في التجربة الاولى، فقررنا ان نشد وسادة من وسائد المقاعد الى اسفل ظهره، ثم وضعت اريد في حجر مارتن وربطتهما معا. وربطت توماس الي وبدأنا الزحف.

كنا نتحرك كما يزحف اليسروع، ووصلنا قمة الجبل في الساعة الثانية، حسب توقيت سبايدرالذي خلع على الجبل واحدة من قلاداته، في لفتة نقية من التفاخر بالظفر والانتصار. وكان نجاحنا بمثابة كنز لنا من معانيالقوة المتضامنة والزمالة المشتركة في هذا الجهد.

مهرجان للآباء - وبعد العودة الى المخيم، بدأت الايام الباقية تتلاشى كالامواج المنحسرة عن الرمال، واصبح كل يوم اقصر من سابقيه. وسيجيء الآباء يوم السبت اللاحق ويذهب الاطفال، وتتوقف الانشطة، ويدب السكون بعد الاصيل.

شعرت الممرضة نلسون بوطأة الكآبة في النفوس فجمعت الاطفال وقالت: "لماذا لا ننظم مهرجانا مائيا يشترك فيه الجميع احتفاء بالآباء عندما يحضرون؟" ووافق الاطفال على الفور.

لقد ظلهؤلاء الاطفال جماعة من المتفرجين طوال حياتهم، اما الان وقد اتيحت لهم فرصة الاشتراك في اداء العرض، تساءل احدهم اعجابا: "هل نستطيع فعلا ان نقوم بمثل هذا العرض؟". ولم يلبث ان جاء الرد جماعيا عاليا: "نعم، نستطيع!"

وما ان اطل يوم السبت، حتى تحول حوض السباحة بحيرة مستكملة الاوصاف بما في ذلك سفينة للقرصنة ومن حولها اشجار النخيلوغيرها من الغرسات الاستوائية، وجزر من الزهر عائمة على الاطارات الداخلية للعجلات ومكسوة بالورود، كما حولت احزمة النجاة الى تنانير للرقص الايقاعي واحزمة للقراصنة وازياء قبلية.

وجاء الآباء. وكانوا يتوقعون من اطفالهم مجرد التحيات المتكلفة المعتادة. ولكم كان سرورهم عظيما لدى وصولهم الى حوض السباحة حيث اشرقت وجوه ابنائهم بالغبطة والابتسام، وهم يهللون في بزاتهم المرتجلة لقدوم ذويهم.

وامسكت السيدة نلسون بالميكروفون وبدأت تقص حكاية "قرصان البندق": "ذات يوم وصلت

سفينـة القراصنـة الامريكيـة"، "البندق" "الى بحيرة تسكنها قبيلة من الاهالي الاشداء الجميلين. وتحدى القراصنة الاشرار اهل البحيرة في شكل مباراة في القوة والحكمة، وكانت بداية المبارة الغوص بحثاعن الكنز الدفين فيجوف الماء".

وبعد هذه المقدمة، القت السيدة نلسون في حوض السباحة بكل ما في المخيم من اوان فضية... من ملاعق وشوكات وسكاكين. وبدأ الغوص. وكلما ظهر طفل وفي يده حفنة من الكنز هلل له الجميع.

واستأنفت السيدة نلسون قصتها فقالـت: "حملـوا الكنـز الـى معبـد الجزيرة لكي يباركه الاله "اوه لا". لكن الاله اصر على الاحتفـاظ بالكنـز ريثما يـؤدي اصحابـه رقصـة المـاء الاسطورية".

واشارت السيدة نلسون الى الاطفال بالرقص، فانطلق اعضاء الفريق، كل في حزامـه وراحـوا يسبحـون نحـو منتصف الحوض حيث شكلوا دائرة كبيرة، ثم نجمة متحركة.

وما ان انتهى الباليه المائي، حتى اعلنت السيدة نلسون ان هناك مباراة ختامية فحواها ان الاله "اوه لا" قد اوعز باعطاء الكنز للفائز في سباق يقوم بين قبطان القراصنة القبيح، وهو انت يا سيد جونز، وامهر سباحي البحيرة الذي لا يقهر، وهو انت يا سبايدر. ووفقـا للتقاليـد المتبعـة، يسمح لسبايدر بالانطلاق اولا بحيث ان قبطان القراصنة معروف بالغش والخداع ويمكنه الغطس من فوق المنصة.

وانطلق سبايدر بكل قوته وسط تشجيع الجميع وتهليلهـم واخـذت اراقبه لكي احدد اللحظة التي يجب ان اغطس فيها بدوري. كنت اعرف ان سبايدر يعتبر هذا السباق حقيقيا، وكان علي الا افسد عليه معتقده، الى ان اطلقت اخيرا صرخة قرصانية مدوية وغطسـت فـي المـاء محـاولا اللحاق به. واخذت المسافة بيننا تتقلص، ويصيـح الجمهـور مشجعـا: "هيا يا سبايدر أسرع... اسرع".

وعند منتصف الحوض كنت قد سبقت سبايدر بما يقارب المتر. فلمحته بطرف عيني يتقدم فجأة بسرعة مذهلةوكأنه حجر قذفته يد قوية على سطح الماء فراح يقفز فوقه قفـزا. وبلغـت حمـاسـة الجمـهـور ذروتها، واذا بالقبيلة تسحب سبايدر في الماء بحبل مشدود الى خصره. ولم يكن في استطاعتي اللحاق به. وعندما اقتـرب سبايـدر مـن حافـة الحوض، غار الحبل في الماء بعد ان افلتـه المناصـرون. وقطـع سبايـدر الجزء الاخير سباحة وانتصر.

وبانتهاء السباق، انتهت الاقامة الصيفية في المخيم وانتهت فترة الرفقة والعشرة، حتى انني لم اتمكن مـن مشاهـدة جماعـة البنـدق وهـم يغادرون المخيم. لكنني اعتقد انهم فهموا وقدروا موقفي هذا من لحظة الوداع. ولعلهم كانوا يفهمون اشياء عدة يفوتني فهمها مهما حاولت. فكثير منهم كانوا يعلمون ان الموت يتربص بهم، ومع ذلك فكانوا لا يحجمون عن الاشتراك في مباريات السبـاق، وتسلـق الجبـال، وكانـوا يفوزون.

■ مقتبس من كتاب رون جونز

أبسط طريقة لتخفيف الوزن

هذا احدث اسلوب للتنحيف من دون تغيير النظام الغذائي.

المزعج في معظم نظم الحمية لتخفيف الوزن هو: انها معقدة ، عسيرة التطبيق، بحيث ان المحمي كثيرا ما يضيق ذرعاً بالنظام الغذائي الصارم ويتخلى عنه. فهل هناك طريقة بسيطة وفعالة لتنحيف الجسم؟ الجواب: نعم. فقد ابتكر الطبيب ريتشارد ج. بلاك طريقة لتخفيف الوزن عندما كان مساعدا لمدير عيادة الآلام المزمنة في المستشفى الجامعي في بسياتك، واشنطن وقد طبقت الطريقة لمدة سبع سنوات على قرابة ٢٠٠ مريض في المستشفى وادت الى نتائج طيبة، اي انها ساعدت على انقاص الوزن بمعدل كيلو غرام او كيلو غرام ونصف كيلو في فترة اسبوع واحد. وهناك عدد كبير ممن علموا بهذه الطريقة وطبقوها بانفسهم من دون اشراف طبي. فما هو السر في ابتكار هذه الطريقة في عيادة للآلام المزمنة؟

الواقع ان المرضى المصابين بآلام مزمنة عسيرة المعالجة كثيرا ما يعانون مشكلات انفعالية. فالالم الذي يصيب اسفل الظهر، مثلا، يحمل المرضى، على انفاق معظم اوقاتهم جلوسا، وكثيراً ما

يجدون في تناول الطعام مصدرا للتعزية والسلوى، فيؤدي ذلك الى البدانة في غالب الاحيان. وقد حاول الدكتور بلاك ان يجد لمثل هؤلاء الاشخاص طريقة مضمونة قليلة التعقيد، تساعده على تخفيف وزنهم من دون ان تؤدي الى تفاقم آلامهم.

ولم يكن مثل هذا الحل في تحديد عدد السعرات الحرارية (الكالوري) او في الحد من كمية الطعام، وانما كان طريقة بسيطة لا تنطوي على كثير من المشقة وتمكن المريض من انقاص مقدار ما يتناوله من الطعام مع تعيين اهداف له تمتد على فترات قصيرة لكي يتبين منها بوضوح مدى التقدم الذي احرزه، فتساعده على المثابرة وتكون له بمثابة الحفز والتشجيع.

الطريقة — وقد اهتدى الدكتور بلاك الى طريقة بسيطة سهلة التطبيق تقتضي عد القضمات بدلا من عد السعرات، وهي تقوم على استخدام عداد يمسك باليد يراوح ثمنه في امريكا بين خمسة وسبعة دولارات). ويسجل كل لقمة او قضمة من الطعام. وعلى الشخص الذي يتبع هذا النظام ان يسجل وزنه وعدد القضمات التي يتناولها كل يوم، الى ان يتمكن بذلك من تعيين حد قاعدي للقضمات الكفيلة بانقاص وزنه بمعدل مناسب ودونما مشقة.

وقد اتاحت هذه الطريقة للدكتور بلاك ان يشهد نجاحها لدى عدد من المرضى لم يقووا على تقبل اي طريقة اخرى. ذلك ان هذه الطريقة تحدد كمية الطعام الذي يتناوله الشخص ولا تحدد نوعه. ومعنى هذا ان تطبيق النظام لا يستلزم التخلي عن اي من الاطعمة المحببة. يضاف الى ذلك ان هذا النظام يعتبر من الوجهة العلمية اصح من كثير من الطرق التي تعتمد على تغيير انواع الطعام.

صعوبة تغيير العادات — يقول الدكتور بلاك: "يصعب على الناس تغيير العادات التي الفوها طوال حياتهم. ولذا، فقد كان لا بد من ايجاد طريقة لتحديد الوزن يمكن تطويعها وفقا للاسلوب المألوف لدى الشخص المعني في ما يتعلق بالطعام. وكان لا بد لهذه الطريقة في الوقت نفسه ان ترتكز على التسليم بعدم تقبل الناس فترة طويلة لنظام غذائي يقتضي تناول طعام غير سائغ.

فهل يصعب الاستمرار في تطبيق الطريقة التي نحن في صددها؟

لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بالنفي، انقاص عدد القضمات لا يستدعي انكاد الذات بمقدار ما يبدو ذلك للوهلة الاول، ويعود الفضل في هذا الامر الى العداد اليدوي الصغير الذي تستدرك منه ان ارتفاع مجموع القضمات في اليوم الواحد الى حده القاعدي له اهميته الحاسمة، وان من مصلحتك الا تتجاوزه، وبالتالي فانك تنعم في هذه الحال بمستوى ملحوظ من الحماية والطمأنينة، نتيجة قيامك بحساب ما تأكل، لانك من دون هذا الحساب يتعذر عليك ان تعرف على وجه الدقة مقدار ما اكلت، بينما يساعدك العداد على جلاء هذه النقطة على الدوام. ولا داعي الى ان تقلق في ما يتعلق بانواع الطعام التي تأكل ما دام طعامك متوازن العناصر.

تعريف القضمة — ولكن ما المقصود

بالقضمة" على وجه التحديد؟

القضمة هي كمية الطعام التي يتناولها الآكل بفمه دفعة واحدة ويبلعها، سواء استخدم ملعقة او شوكة او يده (كما هي الحال في الجوز او البندق مثلا)؛ وسواء وضع الآكل الطعام في فمه او لعقه بلسانه (كما هي الحال في البوظة او قضمه باسنانه (كما هي الحال في الخبز والحلويات، والكعك)، او احتساه او ارتشفه. كالسوائل، باستثناء الماء والمشروبات الخالية من السعرات الحرارية). ولقد يحدث في البداية ان تتفاوت القضمات في احجامها، لكنك لن تلبث ولا شك ان تهتدي الى الحجم العادي بعد قليل من الوقت.

فهل انت على استعداد للشروع في ذلك؟

يتوجب عليك قبل ان تبدأ تطبيق هذه الطريقة او اي طريقة اخرى لانقاص الوزن ان تستشير طبيبك).

١ - جهز سجلا للتدوين.

خذ قلما وورقة وارسم ثلاثة اعمدة، وتوجها باحد العناوين الآتية: التاريخ، الوزن، عدد القضمات، وعليك ان تزن نفسك عندما تستيقظ في الصباح وقبل ان تتناول طعام الافطار. ثم دون على السجل تاريخ اليوم ووزنك، فاذا جلست الى المائدة لتناول افطارك اضغط مكبس العداد كلما تناولت قضمة.

ولا تحاول في هذه المرحلة ان تقلل من كمية الاكل او ان تدخل اي تغيير على الاطلاق، بل كل كعادتك في هذه الفترة الاولى. ثم اضف عدد القضمات من وجبة الغذاء الى مجموعها في وجبة الفطور، وافعل الشيء نفسه بالنسبة الى وجبة العشاء. واذا تناولت اي طعام او شراب في ما بين الوجبات الرئيسية او بعد العشاء فعليك ان تضيف عدد القضمات في هذه الحال ايضا. وفي نهاية اليوم دون العدد الاجمالي للقضمات في العمود المخصص لها. واستمر على هذا المنوال لمدة اسبوع او اسبوعين مقتصرا على عد القضمات التي تتناولها في المعتاد.

٢ - حدد الخط القاعدي الخاص بك.

راقب وزنك في بداية الاسبوع الاول وفي نهايته. فهل زاد وزنك ام قل ام ظل ثابتا؟ وما هو متوسط عدد القضمات التي تتناولها في اليوم الواحد؟ فاذا وجدت انك تتناول ١٥٠ قضمة في اليوم وان وزنك يتزايد ببطء، قد يتبين لك ان وزنك لن يتغير اذا اقتصرت على مئة قضمة وانه ينخفض اذا راوح عدد القضمات بين ٨٠ و٩٠ قضمة. ومثال ذلك، اذا ظل وزنك ثابتا في حال تناولك ١٥٠ قضمة في اليوم الواحد، فقد يكون في استطاعتك ان تنقص وزنك بمقدار كيلو في الاسبوع اذا تناولت ٨٠ قضمة. وفياستطاعتك كذلك سواء ان تبطىء عملية تخفيف الوزن بحيث لا تفقد الا نصف كيلو في الاسبوع اذا انت رفعت عدد القضمات الى ٩٠ او تستسرع هذه العملية بمقدار كيلو ونصف كليو في الاسبوع اذا انت خفضت العدد الى ٧٠ او ٧٥ قضمة في اليوم. ويمكنك ان تعتبر ان خطك القاعدي هو عدد القضمات الذي تلتزم به يوميا لكي يخف وزنك بالمقدار الذي يريحك ولا يسبب لك اي مشقة.

٣ – ابدأ في تخفيف وزنك٠

استمر في تسجيل الوزن والتاريخ وعدد القضمات يوميا٠ وقلل عدد القضمات او عدله بما يمكنك من تحديد العدد المناسب لانقاص الوزن بالمعدل الذي تبتغيه٠ وحاول ان يجيء تخفيف الوزن تدريجيا، بحيث ان الاسراع في تخفيف الوزن لا يتيح لك الوقت الكافي، للتكيف مع النظام الغذائي الجديد، فضلا عن انه اذا كنت مفرطا في البدانة٠ يزيد من تعرضك لمشكلات الدورةالدموية٠ ويكفي ان ينقص الوزن٠ بمعدل يراوح بين نصف كيلوغرام وكيلو غرام ونصف كيلو في الاسبوع الواحد٠

وبعد ان تبدأ خفض عدد القضمات سوف تشعر بتسحن تحكمك في تحديد الكمية المعينة لكل وجبة بدلا من تحديد مجموع القضمات في اليوم بأكمله٠ ولقد تجد من الافضل ان تحدد الافطار بعشر قضمات او خمس عشرة قضمة ووجبة الغذاء بخمس وثلاثين او اربعين قضمة وان تتساهل الى حد ما في وجبة العشاء٠

٤ – ثبت وزنك٠

فاذا وصلت الى الوزن المطلوب، عليك ان تزيد مقدار ما تأكل حتى تضع حدا لعملية تخفيف هذا الوزن٠ وانت في هذه الحال تعرف على وجه الدقة مقدار الزيادة الواجبة بفضل نظام حساب القضمات٠ فاذا وجدت، مثلا، ان وزنك يظل ثابتا عندما تتناول ١٠٠ قضمة في اليوم وانه ينقص عندما تتناول ٨٠ ، فما عليك لتثبيت وزنك الا ان تعود الى تناول ١٠٠ قضمة٠ واذا لم يحقق هذا ما تريد على وجه الدقة، ففي امكانك بسهولة ان تعدل عدد القضمات٠

وربما تساءلت عما اذا كان يمكنك ان تتخلى عن عدادك؟

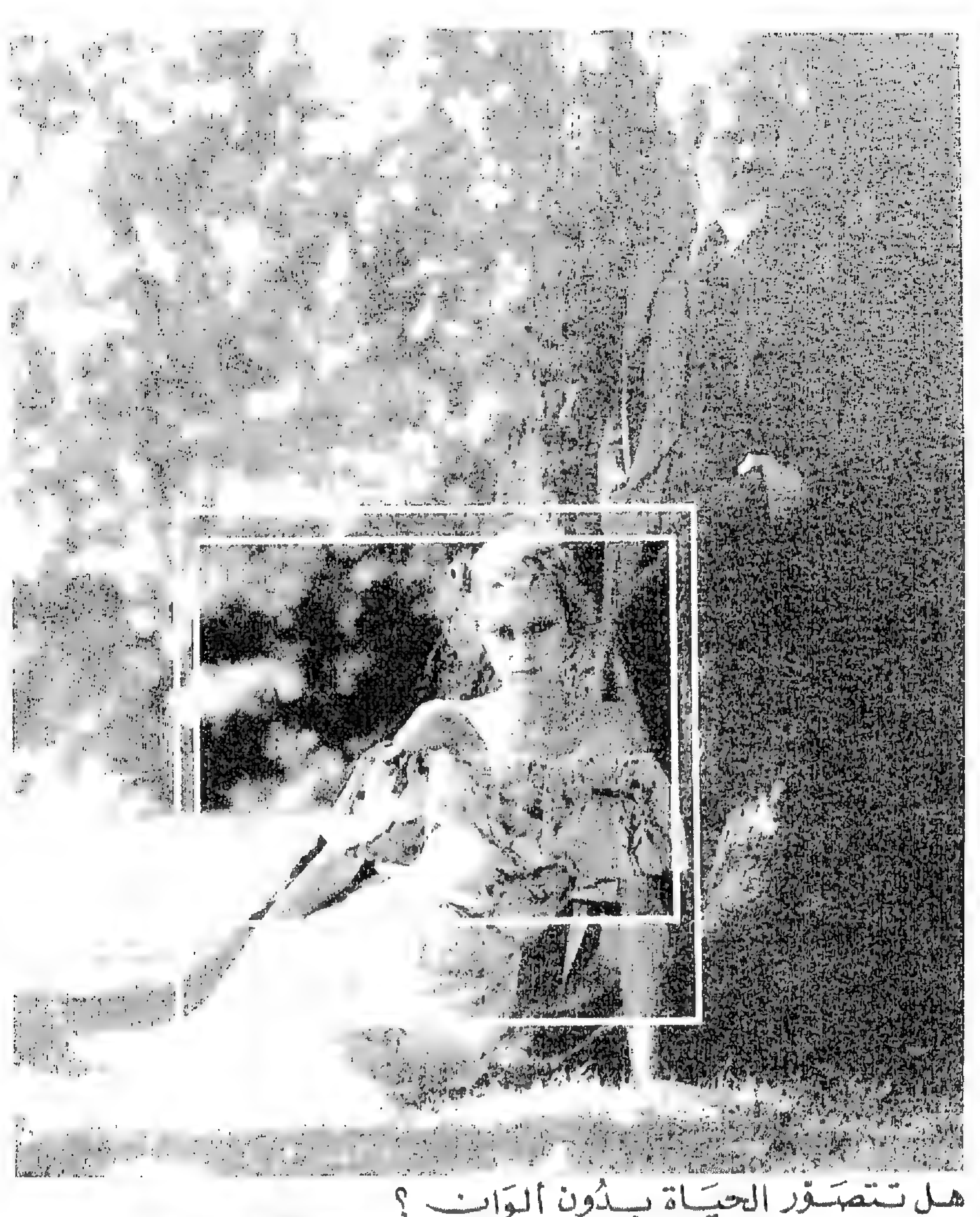
نعم، في طبيعة الحال، وذلك بعد ان توفق الى تغيير عاداتك الغذائية والى التحكم بمقدار الوجبات التي تتناولها وانما يجب ان تستمر في مراقبة وزنك٠ وكلما وجدت انه آخذ في الزيادة، وجب عليك ان تعود الى عد القضمات٠

■ ص٠ ماينز

يقول سووست موم: "اذا شئت ان تأكل جيدا في انكلترا، فكل ثلاثة فطورات صباحية كل يوم٠

اعتاد احد اساتذة اكسفورد اللامعين ان يذهب الى الجامعة على دراجته الهوائية لالقاء محاضراته، فوجد يوما ان اطار الدراجة المطاطي الامامي مفرغ من الهواء، فسارع في فكه واخذ ينفخ الاطار الخلفي، فشاهده احد طلابه ونبهه الى انه ينفخ خطأ الاطار السليم٠ فقال الاستاذ شبه مستغرب: "اليس الاطاران مترابطين احدهما بالآخر؟"٠

ج٠ر٠





اصداء من عالم الطب

دواء للنقرس ينقذ المصابين بالازمات القلبية

درست مجموعة مشتركة من الباحثين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا ١٤٧٥ حالة من حالات مرضى القلب، واسفرت هذه الدراسات عن فعالية دواء "انتورين" في انقاذ اكثر من نصف الذين يصابون بأزمة قلبية متكررة. والغريب ان هذا الدواء يباع في الاسواق منذ عام ١٩٥٩ كعلاج لداء النقرس.

وقبل نشر هذه النتائج في مجلة "نيوانغلاند الطبية"، لم يكن في جعبة الاطباء ما يحمون به ضحايا الازمات الاولى من السقوط صرعى الازمات الثانية.

وطبقا للتقدير المتحفظ للاطباء الستة والتسعين الذين اشتركوا في هذه الدراسات، فان تناول دواء الـ"انتورين" يوميا بالنسبة الى من عانوا ازمة قلبية، قد ينقذ ١٥٠٠٠ حالة سنويا على الاقل في الولايات المتحدة الامريكية وحدها.

وقد مولت شركتا "سيبا" و"جايجي" لصناعة الادوية هذه الدراسات التي كان الغرض منها مراقبة ٧٣٣ حالة لاشخاص يتناولون "الانتورين" و٧٤٢ حالة لاشخاص يتناولون دواء "بلاسيبو" وذلك على مدى عامين. ولما حلل الباحثون النتائج الاولية بعد فترة ٨،٤ اشهر وجدوا الآتي: ٦٨ حالة وفاة في المجموعتين منها ٤٢ حالة موت مفاجىء، ٢٩ منها في المجموعة التي كانت تتناول "بلاسيبو" و١٣ في مجموعة الـ"انتورين". اما المعدل السنوي لعدد الوفيات الناجمة عن ازمة قلبية فقد بلغ ٦،٣٪ في مجموعة "بلاسيبو" و٢،٧ في مجموعة "انتورين"، اي بفارق ٧٥،٤٪ بين المجموعتين.

ازاء هذه النتائج، قرر باحثو المشروع، برئاسة الدكتور صول شيري من كلية الطب في جامعة تيمبل في فيلادلفيا، ان يعرضوا في الحال تقريرهم على الاطباء المختصين حتى لا يحرم مرضى القلب دواء فيه انقاذ لحياتهم.

(لورانس ك. التمان في "نيويورك تايمس")

اللمسة الشافية

يجري الآن في كثير من المستشفيات ومدارس التمريض في انحاء الولايات المتحدة الامريكية تعليم فن غير تقليدي للشفاء، تحاول فيه الممرضات حمل المرضى على الشعور بالراحة والتحسن بمجرد "وضع ايديهن عليهم". وتتولى تدريس هذه "اللمسة السحرية" على مستوى الدراسات العليا الاستاذة دولوريس

كريفر، وهي ممرضة تحمل دكتوراه في الفلسفة وتعمل أستاذة في مدرسة مهن التربية والصحة والتمريض والمهن الفنية التابعة لجامعة نيويورك.

وليس الغرض من "اللمسة الشافية" اجراء "علاج سحري" بأي حال، كما في علاج "الشفاء بالايمان"، وانما الهدف، كما توضح الدكتورة كريفر، هو احداث الشعور لدى المريض بأنه موضع اهتمام وحنان، وهو شعور ينتقل أيضاً بالاقتراب المادي، كما يحدث عندما تمسح ممرضة بيدها جبهة محمومة او تمسك بيد مريض. والذي يحدث في الواقع هو ان كريفر نادرا ما تلمس المريض، وانما هي تبقي يديها على مسافة قليلة منه "لأننا نتعامل هنا مع مجالات الطاقة التي تحيط بالجسم ومن ثم تجعل اللمس غير ضروري". وهي تقول إن "اللمسة الشافية" يمكنها في أحيان كثيرة ان تنقل مقدارا من الطاقة الجسدية من ممرضة تتمتع بصحة جيدة الى مريض يعاني "نقصا في الطاقة".

وتوافق المراجع الطبية على ان المشاركة الوجدانية والاهتمام والعطف التي تندرج كلها في علاج كريفر يمكنها ان تحدث أثراً حميدا، ولكنهم يشككون في احتمال افضاء ذلك الى احداث اي تغييرات بيولوجية او كيميائية، وعلى رغم هذا فقد حصلت كريفر على مساندة الدوائر الطبية، وعلى مدى السنوات الخمس التي قضتها حتى الآن في تدريس "اللمسة الشافية"، تمكنت - حسب تقديراتها - من تعليمها لأكثر من ٣٠٠٠ ممرضة وطبيب ومعالج، بل ولبعض البيطريين أيضاً.

(رونالد سوليفان في "النيويورك تايمس")

الفصل في اثبات البنوة

كثيرا ما يحدث ان يفاجأ رجل باشعار قضائي يعلمه بانه متهم في قضية اثبات بنوة وان ثمة امرأة تدعي انه اب لطفلها، بينما يدعي هو انه لم يرها في حياته.

ولمدة سنوات طويلة ظلت الطريقة الوحيدة المعتمدة في قضايا اثبات البنوة هي مطابقة فصائل الكريات الحمراء في الدم و٩٠٪ من الحالات تظل معلقة لان الوسيلة غير فاصلة. لكن الوضع بدأ يتغير بسبب تحليل طورته جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس وبدأت تعتمده المحاكم الاوروبية منذ عام ١٩٧٠.

وجاءت هذه الوسيلة كنتيجة فرعية لبحوث تتعلق بزرع الكلي والقلب ورفض جسم الانسان لاي مادة عضوية غريبة عنه. وهو تحليل يعتمد على المقارنة بين "بصمات" الكريات البيضاء، يتولاه الاطباء للتأكد من صلاحية نقل عضو من اعضاء الجسم لزرعه في جسم مريض آخر.

ويقول الدكتور ترازاكي من قسم الجراحة في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس، وهو الطبيب الذي طور هذا البحث، ان التحليل عندما استخدم في ١٠٠٠ حالة استبعد ٣٥٪ منها بصفة قاطعة، واثبت براءة الرجال المتهمين بالابوة. اما بالنسبة الى بقية الحالات فقد اثبت التحليل البنوة في ٦٤٪ منها، بنسبة ٩٠٪ من التأكيد.

الاختناق بالطعام

صدر قانون جديد في ولاية الينوي الامريكية يفرض على كل مطعم أن يعلق في مكان ظاهر ارشادات الى طريقة انقاذ حياة شخص يعاني اختناقا بالطعام. وقد تلقى واضعو مشروع القانون، قبل إقراره، "مساعدة" بائسة اذ توفي خلال أسبوعين اثنان من الشخصيات البارزة في شيكاغو، عاصمة الولاية، في حادثتي اختناق بالطعام.

وهذا القانون، المعمول بمثله في ٢٠ ولاية اخرى، يترك للمطعم حرية اختيار وسيلة الاسعاف التي يعلن عنها. غير ان معظم المطاعم قد تفضل الاعلان عن الارشادات الخاصة باجراء "مناورة هايمليشن"، وهي تتلخص ببساطة في الضغط المفاجيء فوق سرة الضحية مباشرة وتحت قفصه الصدري مباشرة، حتى يندفع الهواء في قصبته الهوائية خارجا فيطرد الطعام المحشور فيها.



المدينة المفقودة

مدينة كالاهاري الافريقية، هل بناها الفينيقيون في القرن الثالث ثم دمرتها القبائل التي ثارت عليهم·
هنا حديث عن رحلة عبر الصحراء بحثا عن هذه المدينة·

لا أزال غير متأكد من السبب في ذهابنا الى ذلك المكان· لربما كان شعور بالملكية، خصوصا لأنه سبق لي ان كتبت قصة طويلة عن مدينة كالاهاري الاسطورية المفقودة· وكنت منذ ايام طفولتي مفتتناً بالانقاض الأثرية المنتشرة في مناطق الذهب في بوتسوانا وروديسيا وموزامبيق·

وربما كان السبب ايضا الانفعال والحماسة للانطلاق الى المجهول، او الاغراء الذي يوحيه اكتشاف شيء جديد· ولكن أظن ان السبب الحقيقي لذهابنا هو انني وزوجتي دانييل نشعر باننا جزء من الكيان الافريقي

كما هي حال تلك الجدران الحجرية القديمة.

بدأت مغامرتنا عندما أبلغنا احد الاصدقاء انه تمت رؤية الانقاض عندما انحرف احد الطيارين عن طريقه الجوي وسط صحراء كالاهاري. ثم استطعنا ان نتبين من الطائرة التي استأجرناها الموقع المقصود بالضبط، وهو عند هضبتين صخريتين تطلان على بحيرة ملح جافة وتكلل كل واحدة منهما اشجار الحميرة العملاقة، تلك الاشجار الاستوائية العريضة الجذوع. واستطعت ان اتبين بوضوح، في ظلال جذوع الاشجار المنتفخة، معالم الجدران السميكة التي تطوق قمة كل هضبة وتحصنها.

لقد اقنعتنا هذه الرحلة الجوية لمسح الموقع بأن محاولة الوصول الى الانقاض عن طريق البر سيكون عملا يستحق اصدار شهادة على جنوننا المطبق. اننا لا نرغب في ان نترك عظامنا المبيضة بفعل الشمس لتزيين البراري. لكننا، مع ذلك، عقدنا العزم على ان نكون اول شخصين يزوران المدينة المفقودة.

"القضية، في الحقيقة، ليست على ذلك المقدار من الحماقة". تفوهت بهذه الكلمات في ذلك اليوم من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٦ ونحن نغادر بلدة مون، وقد وجهت مقدم اللاندروفر نحو الصحراء. لكننا كلينا ادركنا ان الاخطار تنتظرنا في رحلتنا التي تمتد ٣٠٠ كيلومتر عبر الاراضي القاحلة في قلب بوتسوانا.

وبعد يوم كامل من السفر بلغنا منطقة الاحراج الكثيفة حيث انعدمت منذ ذلك الوقت جميع الدروب المطروقة، وضاع معها كل احتمال في وصول العربات الخاصة برحلات القنص للنجدة في حال اي عطب قد يصيب السيارة. واخترت شجرة بارزة بين الاشجار في افقنا المحدود لتسديد خط الهدف اليها بالبوصلة. ثم انطلقنا عبر تلك الاراضي الجافة الموحشة التي يختلط فيها القيظ بالجمال الأخاذ.

قافلة من حمار الوحش – كاد النهار ان ينتصف قبل ان نخرج فجأة من الغابة الى سهل واسع ومنبسط ترصعه اجمات من اشجار النخيل العاجية الفخمة وتكسوه، على مدى النظر، اعشاب ناعمة في لون الفضة الشاحبة. وبعدما اجتزنا قرابة ثمانية كيلومترات، انتابني احساس غريب بالدوار، بدا السهل معه مائجا كصفحة البحر. ثم ادركت ان بيننا وبين الافق قطيعا لا ينتهي من حمار الوحش الذي راح يهرب منذ وصولنا.

واذ مخرت حوافر الآلاف من هذه الحيوانات سطح الأرض الجاف كالمسحوق، أخذت تطوقنا سدود من الغبار الخانق حجبت عين الشمس. وسرعان ما غدونا وسط تلك الكتلة الضخمة من الاجسام المتراكضة. وكانت رؤوسها الملونة الجميلة تدق الهواء كالمطارق بينما انتصبت آذانها واعناقها المتصلبة.

وبعد حين تجاوزنا القطيع. وانحاز رعيل القطيع جانبا وثبت قوائمه الامامية بتصلب في الارض فتوقفت الحمير عن الحركة كليا وراحت تحدق الينا بذهول واضح ونحن نجتاز الارض امامها. ومع بعد المسافة اندمجت تلك الاجسام المخططة في خليط فضي

رمادي كسا السهل كله وراءنا.
وأدركنا عصر ذلك اليوم الحوض الطبيعي الأول، وهو بحيرة ملح جافة. وكان سطح البحيرة الابيض يومض بنعومة واغواء. وبدا ان في امكاننا ان نسرع فوقها بالدوس على مسرع السيارة حتى يستوي على ارضيتها. غير ان الآثار التي خلفها قطيع من المهى انذرتنا بان الحوض ما هو الا شرك لنا. فقد احدث ثقل الحيوانات التي داست قشرتها الناعمة كسورا انكشفت تحتها مادة كالثريد صفراء اللون. وحين مشيت على سطحها البلوري المتكسر التصق ذلك الطين الثريدي بحذائي وكأنه قطعة حلوى ممضوغة دبقة.

ولهذا توجب علينا استخدام الاضلاع العشبية التي تتشابك وتتقاطع بين بحيرات الملح الجافة جسورا للعبور. لكننا شعرنا بخيبة امل بعد اجتياز عشرة كيلومترات، اذ انتهى بنا المطاف عند أكمة عشب بحرية. ولم يكن أمامنا من طريق او بديل سوى الرجوع من حيث أتينا لنحاول استخدام جسر آخر. وتنفست الصعداء عندما تبينت من خلال الضباب الحار امامنا جزءا من ارض مرتفعة وبعض اشجار. وضربنا خيمتنا عند جذع شجرة من اشجار الحميرة بالقرب من حفرة ماء.

أسد فوق رأسي - استيقظت تلك الليلة فوجدت زوجتي دانييل تنتشل كيس نومها من قربي في محاذاة النار. وسألتها: "الى اين انت ذاهبة؟" فأجابت: "الى اللاندروفر من أجل النوم فيها هربا من شخيرك".
واستغربت الأمر لأني لم أشخر قط في حياتي. لكنني سمحت لها بالذهاب. وما كدت أتهيأ للنوم من جديد حتى سمعت زئيرا. وكانت الاسود في السهل خلفنا على بعد كيلومترات قليلة من مكاننا. وكان زئيرها كهدير طبول خفيت في ظلمة الليل وسكونه.

وعندما استيقظت من النوم مرة أخرى، وجدتني واقفا في مكاني كالسهم استقامة وقد تشبثت بكيس نومي الملتف حول خاصرتي. لقد كان الأسد على بعد عشر خطوات من رأسي عندما زأر، فخلت ان عفاريت جهنم كلها رعدت معا في جوقة مرعبة. وقفزت من مكاني وكيس النوم عالق بين رجلي الى سيارة اللاندروفر، محطما الرقم القياسي الأولمبي لسباق العدو بالأكياس!
واستأنفنا رحلتنا بعيد الفجر. وكانت قد مضت قرابة ١٢ ساعة وانا غير متأكد من موقعنا بالضبط حين رمقتني دانييل بنظرة مشككة وسألت: "الا ينبغي ان نكون بلغنا المكان الآن؟" ورحت اقلب الخرائط وامسح الافق بالمنظار المكبر. ووقفت على سطح اللاندروفر فرأيت بضع تلال منخفضة موزعة فوق مساحة ٨٠ كيلومترا. على ان التحقق من كل واحدة منها يقتضي اسبوعا كاملا. وما لدينا من ماء ووقود كان قد انخفض كثيرا بعد ثلاثة أيام من السفر.

وأجلت نظري مرة أخيرة عبر المنظار المكبر، وفجأة تجلى على عدسته خيط قرنفلي لامع وطويل، يتلوى كالأفعى فوق خط الأفق. ومرت بضع ثوان قبل ان ادرك انه سرب من

اذا تزايدت شهيـَّة سيارتك فجرب مجموعة جديدة من شمعات الاشعال "شامبيون"

هل ينبغي لشمعات الاشعال (البوجيات) وحدها ان تحسِّن فعلاً استهلاك الوقود؟

بكل تأكيد، فقد اثبتت التجارب على مئات السيارات ذات المحركات ان ابدال الشمعات المرهقة بشمعات "شامبيون" الجديدة يفضي الى تحسين استهلاك الوقود وفعالية المحرك، فيجب تغيير الشمعات المرهقة مرة على الاقل كلما قطعت السيارة مسافة تراوح بين ١٢،٠٠٠ و ١٦،٠٠٠ كيلومتر،

ما هو الدافع الى تغيير الشمعات المرهقة والاستعاضة عنها بشمعات "شامبيون"؟

هناك أكثر من دافع واحد:

- ان "شامبيون" هو الاختصاصي في صنع شمعات الاشعال،
- انه يصنع شمعات ملائمة تماماً لسيارتك،
- ان شمعات "شامبيون" يستخدمها معظم ابطال سباق السيارات في العالم،

وبناء على ذلك، فاذا بدا لك ان سيارتك تسرف في استهلاك الوقود، وانها اصبحت تتباطأ،

فجرب مجموعة "شامبيون" الجديدة، لان من شأنها ان تكبح شهية سيارتك،
وان تنشط محركها،
وان تقوّي سرعتها،



النحام، وهي طيور مائية ذات أعناق وقوائم طويلة. وتذكرت اننا شاهدنا من الطائرة سربا كبيرا من هذه الطيور بالقرب من الانقاض. والتفت الى زوجتي واشرت بخفة الى كتلتين دكناوين في الأفق الشمالي، وقلت: "تلك هي المدينة المفقودة".

أشجار وآثار وأفعى – وفي الخمسة الكيلومترات الأخيرة شقت اللاندروفر طريقها عبر مجموعات من اشجار شوكية كثيرة العقد ومشوهة الشكل. وقد نمت الاشجار بعضها على مقربة من بعض حتى بدا ايجاد مخرج بينها شبيها بمحاولة حل لغز من الممرات المعقدة المحيرة. ونفذنا أخيرا الى حافة حوض طبيعي، ثم عبرنا الطريق بحذر على طول ضفة بحيرة الملح الجافة في اتجاه الهضبتين التوأمين.

وتوقفنا عند سفح الهضبة الأقرب الينا وقد سدت طريقنا صخور ضخمة. وحدقنا في اشجار الحميرة القديمة العهد التي غرست كما يبدو في دوائر ذات مركز واحد على قمة الهضبة. وكانت ظلال الشمس الغاربة قد حجبت الأسوار الحجرية التي رأيناها من الجو، فقررنا ان ننتظر حتى الصباح قبل الشروع في أكتشاف المكان.

ووقفنا ساعة الفجر بالقرب من نار مخيمنا وراقبنا باحساس من الورع ظهور الاسوار الحجرية لمدينتنا المفقودة من بين حجب الظلام. وتسلقنا الهضبة الى الاسوار وكلنا شعور بالعجب. لقد كانت أسوارا هائلة، لكن جزءاً كبيرا منها انهدم ودمر إما بفعل بالزمن وإما على يد عدو قديم. وكانت للأجزاء السليمة منها كوى ومنافذ صغيرة لاغراض الدفاع وبوابات ذات عتبات علوية صممت بعناية وعضادات حجرية خالصة.

وعثرنا داخل الاسوار على فخار ورؤوس فؤوس من حديد اضافة الى خرز وزجاج. وكانت هناك بقايا مصاهر معدنية وكسر مهشمة من البوتقات الفخارية السميكة التي استخدمت في استخلاص المعدن، وربما كان الذهب.

ووجدنا على القمة داخل الأسوار الدفاعية بقايا برج حجري منهار وتساءلنا: أهو معبد للشمس، ام خزانة المدينة؟ وكنت على استعداد لأقلب بضعة حجار أملا في الكشف عن قطعة ذهب براقة.

وانكشف لنا فعلا شيء لامع بين الظلال عندما اقتربنا من كومة الصخور الرمادية، وما لبث ذلك الشيء ان تموج وانساب كمعدن اسود مصهور وراح يفك من حلقات استدارته على نفسه واخرج رأسا في حجم قبضة يدي مكسوا بالقشور، واخذ يحدق الينا بعناد بعينين سوداوين لامعتين لا جفون لهما، بينما انطلق لسانه الأسود المترجرج يتذوق رائحتنا. انه افعى "المامبا" السوداء، أسرع الأفاعي الافريقية وأشدها سما. ويعرف عن أفعى المامبا انها تهاجم ضحيتها من دون استفزاز. وقد بلغ طول الافعى التي رأيناها اكثر من ثلاثة امتار. اما في عالم القصص فربما رمز بهذا الحيوان الزحاف الى ملك المدينة القديم. وتراجعنا ببطء تاركين المامبا تؤدي مهمات حراستها.

اجلال وتقديس ـ لقد أمضينا ليلتين قرب نار مخيمنا خارج الاسوار ونحن نتجاذب اطراف الحديث حتى ساعة متقدمة ونتصور الرجال الذين جاؤوا الى هنا من مكان قصي جدا كما فعل اجدادنا، ونفكر في اولئك الوافدين الاجانب - ويقول بعضهم انهم فينيقيون - الذين بنوا هذه المدن وأخضعوا القبائل المحلية وحفروا مناجم الذهب ثم اختفوا على نحو غامض في القرن الثالث. وتقول احدى الاساطير المعروفة عند الزولو ان القبائل هي التي ثارت ضدهم وقضت عليهم.

وتوجهت في الصباح الأخير، بعدما قوضنا الخيمة، نحو الانقاض الحجرية، وفي داخلي شعور كاد ان يبلغ حد الاجلال والتقدس، فيما تسمرت عيناي في الاشكال التي تحدد معالم مدينتي المفقودة. وكنت اعلم اننا حين نعود سيقول عدد كبير من الناس ان هذا كله اضغاث اوهام. غير اني لن اجادلهم. فمن اين لهم ان يدركوا هذا الاحساس السحري بحضور الماضي الذي استحوذ على مشاعري وانا اطأ بقدمي تلك الديار القديمة؟

وبدا لي ان تلك الانقاض الاثرية الصامتة تخط بمعالمها درسا عظيما، وهو ان افريقيا لن تطيق اولئك الذين يقصدونها من اجل الاستيلاء على ذهبها واستعباد شعبها. ان مثل هؤلاء انما يؤكدون على ان المشكلات التي تواجهها هذه الارض الآن هي المشكلات عينها التي واجهتها قبل ١٠٠٠ عام.

وتساءلت انا وزوجتي: ترى هل سيحدث في المستقبل البعيد ان يضرب رحالة آخر خيمته على مشارف انقاض جوهانسبورغ مهدمة، فيطلق العنان لفكره كي يتأمل في نوعية الناس الذين بنوا تلك الديار والمصير الذي آلوا اليه؟ ان التاريخ كثيرا ما يعيد نفسه لسبب بسيط هو ان الانسان لا يسمع من المرة الاولى.

وأخيرا، عندما حان وقت الرحيل، صليت انا ودانييل على رجاء ان يكون ممكناً هذه المرة كسر طوق الدائرة المفرغة بالتسامح والانسانية.

■ ويلبور سميث

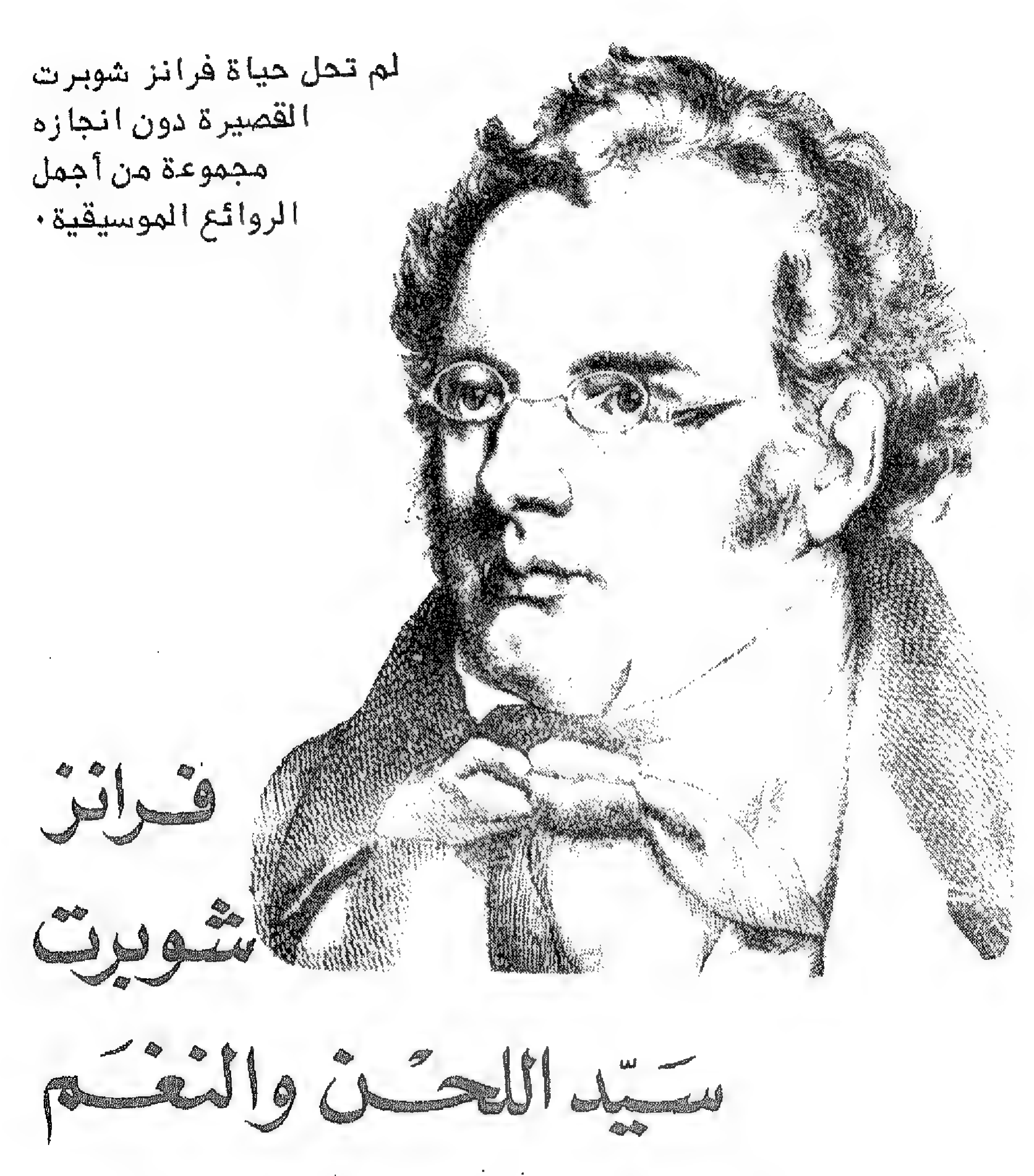
كاتب روائي، روديسي المولد، يعيش في جنوب افريقيا. وقد الف، منذ ١٩٦٤، عشرة من اكثر الكتب رواجا، كان احدها بعنوان "طائر التمَـيـّز" (١٩٧٤) وهو قصة حضارة ضائعة.

الاسكوتلندي على حق

عندما سئل السفير الامريكي السابق لدى الامم المتحدة ادلاي ستيفنسون اذا لم يخب امله لعدم تمكن الأمم المتحدة من تحقيق السلام، فاجاب: يقتضي على الذين ينشدون السلام التام في العالم ان يتذكروا ما قاله الاسكوتلندي المقتصد ردا على ابنه الذي طلب منه كرة ارضية: "ساشتري لك كرة أرضية عندما يستقر العالم قليلا". وبعد مضي خمسين عاما على ذلك، رد ابنه على احفاده بالعبارة نفسها.

جون ج. ماك الير

لم تحل حياة فرانز شوبرت القصيرة دون انجازه مجموعة من أجمل الروائع الموسيقية ٠



فرانز شوبرت

سيّد اللحن والنغم

دخل احد اصدقاء فرانز شوبرت عليه في شقته صبيحة ذات يوم من دون موعد، فوجده منكبا على التأليف٠ وقال هذا الصديق لاحقاً: "كدت اظن اني في حضرة انسان آخر٠ فوجهه متوهج وفي مقلتيه بريق قوي خاطف، وهو يتحرك كالسائر في نومه٠ وحتى حديثه كان مختلفاً"٠

وما برح اللغز والغموض المحيطان بطريقة تأليفه لموسيقاه المألوفة، كما كانا عندما توفي في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٨، عسيري السبر٠ وكل ما يمكننا اعتماده في هذا المجال هو الافادات التي ادلى

بها خلان له رووا قصة التبدل الظاهر الذي طرأ على حياته وحوله من شاب نمسوي خجول ومتحفظ الى انسان متحمس كثير الرؤى. وكان شوبرت كالآخرين تماما تحت وطأة الحيرة ازاء هذا الانفصام المدهش في حياته. وكان يحلو له تكرار هذه العبارة: "يخيل الي بين الفينة والأخرى انني انتمي بكليتي الى عالم آخر". وقال ذات مرة: "لقد وضعت على هذه الارض من اجل تأليف الموسيقى فقط".

والحقيقة ان شوبرت كان غزير الانتاج الى حد مدهش، اذ وضع ما ينيف على الف مقطوعة موسيقية بين اغان وسمفونيات واوبرات ورباعيات وسوناتا للبيانو. ومرة طلبت منه امرأة شابة تلحين قصيدة لمناسبة ذكرى ميلاد صديق مشترك، ففكر شوبرت لبضع دقائق ثم صاح: "لقد وجدتها!" وجلس ليضع نوطة معزوفة جوقية ابسط من السوبرانو يؤديها رجال أربعة.

وتطلب وضع سمفونية شوبرت التاسعة والأخيرة في"الدو ماجور"، المعروفة بـ"العظيمة" والتي تعتبر اهم معزوفة الفها، فترة لم تتجاوز شهراً واحداً، على خلاف بيتهوفن الذي صرف سبعة اعوام حفلت بالكد الدؤوب لوضع آخر سمفونياته. وألف شوبرت في سحابة عام مدهش، ولما يتجاوز الثامنة عشرة، سمفونيتين واربع اوبرات ومعزوفات جوقية وحجرية (تقدم امام جمهور قليل العدد) وقرابة ١٥٠ اغنية، جاعلا ذلك العام اكثر الاعوام انتاجا في حياته وحياة اي موسيقي.

انتاج غزير ورفيع – وكانت الافكار والخواطر تتوارد على ذهنه في الليل على نحو متكرر جعله يحفظ قلما وورقة قرب سريره وينام بنظارتيه، ومعروف عنه تأليفه ثماني معزوفات موسيقية بين السادسة صباحا وموعد الغداء، في أحد الأيام. ومن المألوف لديه وضع رائعتين او اكثر في سحابة يوم واحد، اذ كان يشرع في تأليف اوبرا او مقطوعة دينية، على سبيل المثال، فور انتهائه من وضع احدى الرباعيات.

وتوحي هذه الانتاجية الغزيرة الهائلة بعمل غير متقن، لكن العكس هو الصحيح في حال شوبرت، اذ يعتبر القسم الاكبر من مؤلفاته في عداد اكثر الروائع الموسيقية خلودا في العالم. ويذكرنا تدفق الجماهير وتزاحمها لحضور حفلاته بأن جاذبه العاطفي لا يزال قويا في يومنا هذا، شأنه منذ قرن ونصف قرن. وتشهد ثلاثيات البيانو المحلقة وخماسية الـ"تراوت" المتألقة والسمفونية الثامنة الهادئة الحزن، التي لم يضع لها اللمسات الأخيرة، والسمفونية التاسعة، بالهام غنائي ابدي. وقد اصبحت معزوفاته الساحرة "لاسيريناد" و"آفي ماريا" والـ"ايرل كينغ" على كل شفة ولسان في كل صقع من الارض.

وكان شوبرت جسرا رئيسيا بين المدرستين الكلاسيكية والرومنطيقية. وهو يعد أبا القصيدة الالمانية المعاصرة، او ما يعرف بالأغنية الفنية، وقد نجح في جعل السمفونية ناعمة ونضرة عاطفيا وفي الوقت نفسه جدية ورفيعة المستوى. وعلق

المؤلف الموسيقي انتونان دفوراك على ذلك فقال: "لقد ادخل الأغنية الى السمفونية"٠ واضاف: "في امكان العباقرة الغنائيين من طراز شوبرت فقط تخطي حواجز التقليد الكلاسيكي"٠

وكاد شوبرت الا يرى ابان حياته ايا من معزوفاته منشورة٠ ولم تعد عليه موسيقاه، التي اثرت ناشريها وشركات الاسطوانات، الا بالقليل القليل، الى حد ان ثروته الشخصية قدرت عند وفاته بأقل من مئة دولار٠ ويعزى هذا، جزئيا على الاقل، الى طبعه الانطوائي الخجول٠ ويذكر احد معارف الناشر الموسيقي توبياس هاسلينغر انه رأى ذات مرة باب مكتب الناشر ينفرج قليلا ليظهر من خلاله رجل قصير نحيل يضع نظارتين سميكتين٠ وقال هاسلينغر بعد صرفه الزائر، بحركة من يده: "لو سمحت للمدعو شوبرت هذا بالدخول لجاءني كل يوم"٠ وباع شوبرت - وهذا امر لا يصدق - جميع الحقوق التي تعود اليه من ١٤ اغنية من افضل اغانيه بمبلغ ٤٠٠ دولار فقط٠ وقد عادت احدى تلك الاغنيات، وهي المعروفة بال"ايرل كينغ"، بهذا المبلغ في غضون اشهر قليلة من نشرها للمرة الأولى٠

ومما لا ريب فيه ان جزءا من خجل شوبرت وحيائه عائد الى مظهره المنفر٠ فهو كان معروفا بين اصدقائه في فيينا ب"الفطر الصغير" في اشارة ساخرة الى رأسه الكبير الجاثم فوق جسده الصغير، اذ كان طوله ١٥٤ سنتيمتراً فقط٠

الابن الثاني عشر - ولد فرانز شوبرت، الابن الثاني عشر لمعلم مدرسة وضيع الحال، عام ١٧٩٧٠ وتلقى دروسا في البيانو والكمان وهو بعد في الخامسة من عمره٠ وبعد عامين ارسل لدراسة الموسيقى على يد قائد خورس من فيينا ذائع الصيت، دهش لنبوغه وقال عنه: "كان يعرف مسبقا كل جديد كنت اود تلقينه اياه"٠ والتحق شوبرت بعدئذ بمعهد داخلي يعرف ب"الدير الامبراطوري"، اشتهر بمستواه الرفيع في تعليم الموسيقى٠ وانتهى من وضع اولى سمفونياته وبعض ثلاثيات البيانو والثلاثيات الصوتية وثمانية واحدة وقرابة ثلاثين ثلاثية راقصة، ولما يتجاوز السادسة عشرة٠ وبناء على رغبة من والده، قضى سنتين تاعستين على اثر تركه المدرسة معلما في المدرسة الابتدائية المحلية٠ وتمكن من احتمال ذلك الوقت، كما يقول، عن طريق ملء فراغه بتأليف قطع موسيقية، مجهدا نفسه الى حد كبير كما لو كان في سباق مع ساعة غير مرئية٠ ولدى اختتام الحركة الاولى من الرباعية الثالثة الهادئة النغمات، قال: "لقد الفتها في اربع ساعات ونصف ساعة"٠

وكان يتابع دراسته الموسيقية مع استاذه انطونيو سالييري الذي تتلمذ عليه في الدير الملكي، حين بدأ ان شيئا ما تبدل في تصرفه٠ فقد رفض شوبرت رفضا قاطعا محاولة استاذه ثنيه عن تلحين قصائد المانية، وحثه عوضا عن هذا على تقليد الاسلوب الغنائي الايطالي المزوق الذي كان سائدا في تلك الآونة٠

وظل منذ تلك اللحظة، على رغم استمرار خجله في علاقاته الشخصية، متصلبا في الامور الموسيقية. ويروى ان نجمة اوبرا سبق ان الف لها بعض الاغنيات بناء على طلب مسرح "كارنتزتور" الذائع الصيت، طلبت منه تعديل بعض المقاطع الصعبة الاداء. فصاح في وجهها: "لن اعدل شيئا!". وغادر المسرح على عجل. وعاد عليه تصرفه هذا باسناد منصب مساعد قائد اوركسترا اليه، وهو منصب يحسد عليه كان قد تقدم سابقا بطلب لملئه. ويعود فضل الاكتشاف الباكر لمواهب شوبرت الخارقة الى مجموعة من اصدقائه الشباب الذين نصبوا انفسهم قيمين عليه ورقباء. وكان بعضهم زملاء دراسة سابقين او شعراء ورسامين، والبعض الآخر محامين او موظفين حكوميين. وقال الرسام موريتز فون شفينت: "لقد كانوا يعدونه اكثر ممتلكاتهم جمالا وتلألؤا".

ويروى ان صديقين قدما ذات يوم لزيارته في القاعة التي يدرس فيها، تمكنا من اقناعه بمحاولة كسب عيشه عن طريق تأليف الموسيقى وذلك بعدما شاهداه منكبا على تصحيح بعض الاوراق وسط التلاميذ الذين كانوا يتشاجرون. وعاش شوبرت بقية ايام حياته عيشة مقلقلة جدا الى حد لم يستطع استئجار غرفة له الا لثلاث فترات قصيرة. وتعتبر معظم السنوات الممتدة بين عقديه الثاني والثالث سنوات سعيدة بالنسبة اليه، على رغم هذا كله.

هو والاصدقاء وبيتهوفن - كان شوبرت يخصص فترة الصباح، بعد استيقاظه في السادسة، للتأليف الموسيقي، ثم يلتقي اصدقاءه في احد المقاهي المحلية بعد تناوله الغداء. وكانوا احيانا يتنزهون عبر غابات فيينا ليعودوا الى الاجتماع في احدى حانات الجعة في موعد العشاء. ثم كانوا يقصدون منزل اهل احدهم حيث يرتجل شوبرت معزوفة عى البيانو تتبعها قراءة من الشاعر يوهان مايرهوفر لآخر ابياته، يعقبها عرض يقدمه موريتز فون شفينت لآخر اكشتشاته.

واعتبر شوبرت تلك الاجتماعات أجمل لحظات حياته القصيرة. وكتب لاحقا الى احد اصدقائه: "أتذكر تلك الايام السعيدة حين كان كل منا يعرض على الآخرين آخر مؤلفاته الفنية وعلى محياه تورد الأم الحنون؟".

ويبدو ان وفاة بيتهوفن في شهر مارس (آذار) ١٨٢٧ أثرت تأثيرا نفسيا عميقا في شوبرت. بيد انه من المحتمل، نظرا الى خجله وعلى رغم اقامته في جوار بيتهوفن، انه لم يتبادل الحديث واياه. لكن المؤكد ان صديقا لبيتهوفن اعطاه خلال مرضه الأخير ٦٠ اغنية من اغاني شوبرت. وعندما سمع بيتهوفن بأن هناك ٥٠٠ اغنية اخرى مثلها، قال: "حقا ان شوبرت هذا يملك نفسا الهيا"! وحمل شوبرت في موكب بيتهوفن مشعلا أطفأه في الأرض عندما ووري الجثمان الثرى.

وفي الذكرى الاولى لوفاة بيتهوفن، وافق شوبرت على الظهور للمرة الأولى امام الجمهور لأداء مؤلفاته الموسيقية. وعادت هذه

الحفلة التي قدمت في قاعة الموسيقى الشهيرة المعروفة باسم "ميوزيك فيراين سال" بقرابة ٣٠٠٠ دولار واقرار بعبقرية فاق كل اقرار سابق.

بيد ان انتصاره كان، ويا للأسف، عابرا، اذ أن صحته كانت متقلقلة منذ اواسط عقده الثاني. وأصابته في خريف ذلك العام حمى تيفوئيد اضطرته الى ملازمة الفراش في منزل شقيقه فرديناند. لكنه تابع كفاحه بشجاعة لتصحيح مسودات اغنيته الرائعة "رحلة الشتاء". وفي مطلع بعد ظهر ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٢٨، قال شوبرت لاهثا: "ها هي نهايتي حانت!" وأسلم الروح بعد دقائق معدودة ووري جثمانه الثرى في مقبرة فارينغ في فيينا على مقربة من رفات معبوده بيتهوفن.

وعلى شاهدة ضريحه ابيات صادقة كتبها صديقه الشاعر فرانز غريل بارزر: "لم تفقد الموسيقى به كنزا نفيسا فحسب، لكنها فقدت أملا اجمل منه بكثير".

ويعود الفضل الرئيسي في نشر قسم كبير من مؤلفات شوبرت قبل وفاته الى جهود اصدقائه، على رغم ان مجمل ما ألفه لم يظهر بكامله الا بعد عقود.

وقد زار عالم الموسيقى الانكليزي جورج غروف والمؤلف آرثر ساليفان فيينا بعد وفاة شوبرت بقرابة ٤٠ عاما، ومحصا الملفات العتيقة لناشر موسيقي خامرهما شك حول امتلاكه مخطوطات لشوبرت لم يدر الناشر بها، وهي مؤلفات لم تحظ باذن النشر فطواها النسيان منذ تلك الآونة.

ووقعا فعلا على النوطات المخطوطة لسمفونيات شوبرت الاولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة، مع احدى الاوبرات ومجموعة مؤلفات لموسيقى تعزف على الآلات وقرابة ٦٠ اغنية. ودفعهما جذلهما الفائق بهذا الاكتشاف، على رغم انتهاء مهمتهما في الثانية صباحا، الى الخروج الى الشارع ولعب "القفزية"، اي قفز الواحد منهما على ظهر الآخر.

تجسد الشعر والاغنية – ولعل أكثر الاكتشافات اثارة ما تم على يد المؤلف روبرت شومان خلال زيارته لمنزل فرديناند شوبرت عام ١٨٣٨. وقال شومان لاحقا: "عثرت هناك بين الغبار المتراكم وفي الظلام الحالك على مجموعة كبيرة من المخطوطات كانت في عدادها سمفونية الـ"دو ماجور"". وتولى شومان، بتكليف من فيلكس مندلسون، الاهتمام بها وكتب عن اكتشافه: "في اعماق هذه السمفونية يكمن اكثر من مجرد اغنية واكثر من مسحة حزن وفرح. انها تنقلنا الى عالم لا نذكر اننا زرناه في ما مضى".

ولخص اخيرا المغني الالماني الكبير ديتريتش فيشر ديسكاو حياة شوبرت بقوله: "عندما قام الشعر والأغنية بزيارة خاطفة الى عالم الارض، تأنسا في شخص فرانز شوبرت".

■ ليلي فولدس

سئل مارك توين عن سبب نجاحه. أجاب: "لقد ولدت تواقاً الى الحياة".





PHOTO: GRIFFITH INSTITUTE, ASHMOLEAN MUSEUM, OXFORD UNIVERSITY



كتاب الشهر
ملخص من كتاب
بقلم
توماس هوفينغ

مدفن توت عنخ أمون



قصة أروع اكتشاف أثري تروى للمرة الأولى

بقلم توماس هوفنغ

توماس هوفنغ، مؤلف هذا الكتاب، كان مدير متحف المتروبوليتان في نيويورك ورئيس الفريق الذي نظم معرض "كنوز توت عنخ أمون" في جولتها الأخيرة عبر الولايات المتحدة الامريكية. وقد توافد ملايين الزوار على متاحف واشنطن وشيكاغو ونيويورك لمشاهدة القطع الخمس والخمسين من كنوز توت عنخ أمون التي لم تنته جولتها الامريكية بعد.

والذي حدا توماس هوفنغ على تأليف كتابه هو البحوث التي تولاها استعدادا للمعرض والتي كشفت عن تناقضات في الروايات الرسمية التي وصفت التنقيب عن مقبرة توت عنخ آمون. وفي اثناء مواظبته على الدراسة في متحف المتروبوليتان، عثر هوفنغ على مئات الوثائق الاصلية التي غبرها عدم الاستعمال، وهي رسائل ورسوم ومذكرات كتبت بخط المنقبين انفسهم. وقد اعتمد تلك الوثائق القيمة من أجل قص الرواية الكاملة للمرة الأولى.

ان اكتشاف ضريح توت عنخ أمون ليلة ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ وما تبعه من عثور على قرابة ٥٠٠٠ تحفة فنية رائعة خلال عشر سنين، اثار اهتماما واسعا في العالم كله. فهو كان ولا يزال اغنى الاكتشافات طرا في تاريخ الآثار.

واصبح توت عنخ أمون، الفرعون الذي حكم تسع سنوات ومات في ظروف غامضة وهو في الثامنة عشرة من عمره عام ١٣٥٠ قبل الميلاد، شغل الناس. كذلك اصبح مكتشفا الضريح، وهما عالم الآثار المصرية البريطاني هوارد كارتر وممولة الثري اللورد كارنارفون، شغل الناس من دون ان يسعيا الى ذلك ففي اعقاب سنوات الحرب العالمية الاولى المرهقة، بدت الاحداث التي شهدتها منطقة وادي الملوك في مصر القديمة مثيرة للاهتمام على نحو غير عادي. وتولدت عن هذا الاهتمام آلاف القصص الجديدةحتى ليخال المرء انه لم يبق مجال اليوم لاضافة جديد نافع حول توت عنخ أمون والاكتشاف المذهل. غير ان الامر في الواقع ليس هكذا.

فجميع الروايات التي نشرت حتى الان تقصر عن كشف بعض الحقائق البالغة الاهمية، ذلك ان الرواية الكاملة لا تتوافق في جميع اجزائها مع تلك القصة البطولية السامية التي اعتدنا سماعها. بل انها تضج بالكيد والخداع والاكاذيب والآمال الخائبة والغم، وبهذا تغدو قصة مذهلة على نحو لا يقل عن الاكتشاف العظيم عينه.

في العام ١٩٠٧، العام الذي جمع اللورد كارنارفون وهوارد كاتر، كان جورج ادوارد ستانهوب مولينكوس هيربرت لورد بورشستر ايرل كارنارفون الخامس (وهو اسم اللورد) غير معروف الا على نطاق ضيق خارج دائرته الخاصة. ولو تحرى الناس عنه لوجدوا ان اللورد كارنارفون، الذي عرف باسم "بورشي" كان اريستوقراطيا انكليزيا ثريا في الحادية والاربعين من عمره، ولم يكن حقق اي شيء يذكر حتى ذلك الوقت.

وكان اللورد كارنارفون في حداثته قوي الشخصية وانيقا وعلى شيء من الاندفاع. ولكن بحلول العام ١٩٠٧، اصبح وجهه مضنى وهزل جسمه. وهو يظهر، في الصور التي اخذت له آنذاك، حاملا عصا في احدى يديه وواضعا يده الاخرى في جيب سترته وواقفا كمن اصابه جرح.

لقد انسحب بورشي من كلية "ترينيتي" (الثالوث) في جامعة كيمبريدج عام ١٨٨٧ لان انجازه الدراسي كان عديم الجدوى، وبدأ سلسلة من الاسفار دامت سبع سنوات.وكان برنامج رحلاته لافتا، حتى وان قيس بعصر الفضاء الحالي. فهو افتتح رحلاته بالابحار ثلاثة ارباع الطريق حول العالم، ثم سافر الى افريقيا الجنوبية واوستراليا واليابان وفرنسا وتركيا واسوج وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية التي جال فيها من المحيط الى المحيط. وفي يوم مولده التاسع والعشرين تزوج آلمينا وومبويل، وهي امرأة جميلة وذكية. وفي السنوات الاربع التي تلت زواجهما، رزقا صبيا وبنتا. والصبي هنري، اللورد بورشستر، وهو اليوم في العقد

فافرلوبا

ساعة فافر لوبا قلب سويسرا النابض.



التاسع من العمر، لكنه لا يزال رشيق الحركة، اما البنت ايفلين، فقد كانت رفيقة والدها الحميمة.

وبعد سنوات قليلة من ولادة هنري وايفلين، وقع للورد كارنارفون حادث اصطدام سيارة غير مجرى حياته. وكان من حسن حظه ان بقي على قيد الحياة، وان كان لازمه ارتجاج في الدماغ وكسور في عظام الصدر. ومنذ ذلك الحادث لم يتعاف كليا، لكنه خرج منه مصقول الشخصية ماضي العزيمة ونازعا الى التحليل.

وبناء على نصيحة طبيبه، قصد اللورد كارنارفون الى مصر عام ١٩٠٣، فغدا على الفور اسير ذلك المكان. وكان مهتما بعلم الآثار في السنوات القليلة السابقة، فتحول اهتمامه هناك الى هواية. وفي العام ١٩٠٦ حصل على ترخيص من وزارة الاشغال العامة المصرية ومديرية الآثار التابعة لها للعمل في وادي الملوك المسكون بالاساطير.

واذا نحن تأملنا اليوم في ذهاب لورد انكليزي - او "لوردي" كما كان المصريون يسمون كارنارفون - الى مصر والحصول فورا على اذن رسمي يخوله التنقيب في التخوم الفرعونية المقدسة من دون تدريب سابق او اشراف، لوجدناه امرا مروعا حقا. اما في تلك الآونة فكان في امكان اي مواطن عادي ان يحصل على موافقة احد المسؤولين الفرنسيين في مديرية الآثار المصرية على الشروع في الحفر، بشرط ان يكون ذلك المواطن ثريا، وعالما بالوسيلة المناسبة للوقوف امام المسؤول. وكان للفرنسيين سيطرة شبه تامة على كل ما يمت الى الآثار المصرية بصلة، وهو امتياز حافظوا عليه منذ حملة نابوليون المصرية.

في ذلك الوقت كان امتياز التنقيب قائما على اتفاق بسيط. يقضي، باديء الامر، بان يتم العمل في رعاية مديرية الآثار، وهو شرط لميتحقق الا نادرا. واذا وقع المنقب على مقبرة، كان عليه اعلام المديرية فورا. وكان في وسعه ان يكون اول الداخلين اليها، بشرط ان يرافقه احد مفتشي الآثار.

اما المسألة الحساسة، وهي توزيع العمل، فقدعولجت بطريقة مرتجلة. وكان هناك عرف غير مكتوب يقولبان المومياءات والاكفان والنواويس يجب ان تبقى ملكا للدولة، في حين توزع محتويات المقابر التي سبق ولوجها في الازمنة الغابرة على المنقب ومديرية الآثار بالتساوي. واذا تم العثور على مقبرة نجت من النهب على ايدي اللصوص في القدم - وهو امر لم يكن قد تحقق حتى ذلك الوقت - فان كنوزها تذهب كلها الى الدولة.

وباشر اللورد كارنارفون اعمال الحفر بحماسة فور حصوله على الترخيص ولكن على نحو يعوزه الانضباط والنظام. ولزم عمله يوما بعد يوم طوال ستة اسابيع، وسط سحب كثيفة من الغبار. وجعله ازدياد الغبار يدرك انه يحتاج الى خبير يساعده وحين قدم ذاك الخبير اخيرا، كان شخصا غريب الاطوار يدعى هوارد كارتر.

مسحة من العناد

كان كارتر سليل بيت متواضع. وقد ولد في كنسنغتون، (انكلترا) عام

١٨٧٤، وكان ابوه رساما بالالوان المائية، اختص في وضع رسوم للحيوانات التي كان يملكها اريستوقراطيون. وكان الاب فقيرا فعلم ابنه في البيت ولم يرسله الى



هوارد كارتر بريشة شقيقه وليم (١٩٢٤).

المدرسة. واكتسب الولد حرفة ابيه، وبدا انه كان مقيضا له الاستمرار في تلك المهنة التي لا فائدة ترجى منها، وهي رسم الحيوانات والمناظر الريفية المبتذلة.

الا ان تغيرا كليا طرأ على حياة كارتر صيف ١٨٩١. فقد عرض الاستاذ بيرسي نيوبيري من متحف القاهرة على احدى معارفه القديمات في انكلترا، الليدي امهرست اوف هاكين، رسوما لكتابات هيروغليفية منسوخة عن تماثيل قديمة، طالبا ان تدله على شخص لديه القدرة على اكمال الرسوم. فما كان من الليدي امهرست الا ان اقترحت اسم هوارد كارتر الذي يعيش في جيرتها، وكان آنذاك في السابعة عشرة من عمره.

وهكذا تم توظيف كارتر الذي عمل ثلاثة اشهر في المتحف البريطاني قبل ان ينضم الى مؤسسة خاصة مرتبطة بالمتحف، تتولى اعمال التنقيب في ارض النيل. وبعد حين اصبح كارتر مساعدا لاحد اهم علماء الآثار المصرية، وهو السير وليم فلندرز بيتري. وبين عامي ١٨٩١ و١٧٩٨، راح كارتر ينسخ بتؤدة، بواسطة الالوان المائية، الرسوم والنقوش التي كانت تزين جدران معبد "دير البحري" الخاص بدفن الموتى.

كان كارتر رجلا قصيرا، ممتلىء الجسم. وعلى مقدار كبير من القوة البدنية، وقد لزم عمله طوال فترة تدربه. وكان شخصا صارما وذا اندفاع بالغ، ولكن يعوزه المرح.

وعلى رغم افتقاره الى الدراسة التقليدية، فقد اكتسب اصول الآثار بسرعة. ويبدو انه كان يتصف بمسحة من العناد وحدة في الطبع. غير ان انصرافه التام الى عمله وحماسته اكسباه تقدير رؤسائه.

وفي العام ١٨٩٩، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، عينه السير غاستون ماسبيرو، وهو فرنسي متفوق كان يشغل منصب مدير الآثار المصرية، مراقبا للتماثيل في مصر العليا والصحراء النوبية.

وسارت مهمة كارتر في مديرية الآثار على أتم وجه حتى العام ١٩٠٣، حين انقطعت نهائيا. وقصة تلك النهاية ان السير وليم بيتري، الذي كانت ترافقه زوجته وثلاث شابات متدربات، كان يعمل على نسخ الكتابة الهيروغليفية على مقبرة في سقّارة. وحسب رواية بيتري، دخل بعض الرجال الفرنسيين السكارى المخيم في احدى الامسيات طالبين ادلاء يرافقونهم في جولة سياحية، ثم حاولوا اقتحام ركن النساء. فطلب بيتري نجدة كارتر الذي وصل الى المكان ومعه زمرة من المصريين العاملين لحساب مديرية الآثار. وحصل عراك رمي فيه احد الرجال الفرنسيين ارضا.

ورفع الفرنسيون شكوى شديدة اللهجة الى ماسبيرو، حملت القنصل الفرنسي العام على طلب اعتذار رسمي. لكن كارتر رفض الانصياع.



اللورد كارنارفون.

فبذل ماسبيرو، الذي كان يكن مقدارا كبيرا من الود لكارتر المتصلب، قصارى جهده لاقناعه باصدار اعتذار شكلي اكراما للصداقة الانكليزية - الفرنسية. الا ان كارتر، الذي لم تكن التوافه السياسية تعني له شيئا، رفض الاعتذار. فاضطر ماسبيرو آسفا

الى تسريحه من الوظيفة.

وخلال السنوات الاربع اللاحقة، واجه كارتر ظروف عيش قاسية. فعمل دليلا سياحيا، وباع رسومه المائية للسياح، وتعاطى من وقت الى آخر تجارة "الانتيكا" (كما يسمي المصريون السلع القديمة). وعندما قدمه ماسبيرو وبجزع الى اللورد كارنارفون ليعمل لديه خبيرا في الآثار، كان سريعا جدا الى القبول. وكان ذلك تدبيرا رائعا للاثنين، لان هوارد كارتر كان محترفا فضلا عن كونه رهن الاشارة وبخس الثمن.

مقاعد الصمت الابدي


ان المسرح الذي كانت ستجري عليه الاحداث التي اشترك في تمثيلها توت عنخ امون واللورد كارنارفون وهوارد كارتر كان مكانا مهيبا هو وادي الملوك. والاسم نفسه مليء بالخيال والشعر. غير انه يعسر على المرء ان يتصور مكانا اشد بعدا وكراهة وسخونة ووحشة.

وكان الناس في الازمنة الغابرة، كما هي الحال اليوم، يذهبون الى الوادي من طيبة، وهي اليوم مدينة الاقصر، الواقعة على نهر النيل على بعد ٧٠٠ كيلومتر جنوب القاهرة. وكانت وراء النهر ارض منبسطة يبلغ طولها خمسة كيلومترات او اكثر، حولتها الفيضانات الموسمية الى ارض وافرة الخضرة. اما الحد الفاصل بين الارض الصالحة للزراعة والصحراء فلم يطرأ عليه سوى تغير طفيف لم يتجاوز امتارا معدودة خلال آلاف السنين. وعند ذلك الحد ترتفع الصحراء تدريجيًا الى ان يتعاظم ارتفاعها ليبلغ ذروته في شكل منحدر صخري شاهق يعرف باسم دير البحري. وفي اسفل هذا المنحدر يقوم وادي الملوك.

لقد كان المصريون القدماء يعتنقون عقائد، من اهمها ان يكون المرء مجهزا بعد الموت لملاقاة كل ما يواجهه في الحياة الثانية، وان يبقى جسده سليما في المكان المعد له. وسعى الملوك الاوائل الى تحقيق هذا الغرض عن طريق تشييد اهرام فوق اجسادهم المائتة، وهي جبال مرتفعة من الحجار. ولم يألوا جهدا في ابتكار كل ما توحيه العبقرية وشراء كل ما يوفره المال من اجل ذلك الغرض. وكانت مداخل ضرائحهم مسدودة بحجار صوان يزن الواحد منها اطنانا. وقد اقيمت ممرات وابواب خفية داخل المقابر، لكن ذلك كله لم يكن مجديا. ففي الصراع المستديم بين الذين حاولوا اخفاء كنوزهم الى الابد واولئك الذين طفقوا يبحثون عن تلك الكنوز لسلبهم اياها، لم تكتب الغلبة للساعين الى التخفي.

ومع بداية حكم السلالة الثامنة عشرة في حدود العام ١٥٨٠ قبل الميلاد، قل ان يوجد بين مقابر الملوك في مصر واحدة لم تنهب. غير ان الملك تحوتمس الاول كسر التقليد بعنف حين قرر اقامة غرفة دفن مستورة كليا. تحت الارض. ووقع اختياره على واد عند سفح المنحدر الصخري العظيم، يشرف على النيل من عاصمته طيبة.

واقتفى ملوك السلالة الثامنة عشرة جميعا خطى تحوتمس. وكانت النتيجة ان سرقات المقابر في



البحر الأبيض المتوسط
القدس
الاردن
فلسطين
الشمال
القاهرة
ممفيس
السويس
سيناء
وادي الملوك
مدخل مقبرة
توت عنخ امون
النيل
وادي الملوك
الكرنك
الاقصر
٥٠ ٢٥ ٠
بالاميال
البحر الأحمر

عهدهم الذي استمر ٥٠٠ سنة، كانت قليلة جدا٠ لكن هذا النوع من السرقة ما لبث ان تفشى كالوباء في ايام السلالتين التاسعة عشرة والعشرين (بين العامين ١٣٢٠ و١٢٠٠ قبل المسيح)٠ ومع الوقت، انتهكت حرمات جميع الملوك العظام٠

لقد شغف كارتر بالطابع الموحش لوادي الملوك، كذلك بتاريخه وبما سماه "شعورا دينيا ينبثق منه بعمق حتى ليبدو مصبوغا بحياة خاصة به"٠ وغالبا ما احب كارتر ان يكون هناك بمفرده، راكبا ظهر حمار ومدفوعا بالمهابة التي تثيرها "الصخور الوحشية" التي لا تنتهي٠ كل شيء هناك كان ميتا وابكم٠ واحيانا كان مرعبا ان يمر المرء عبر الشعب الصحراوية الصخرية، الملتفة وغير المطروقة، الى المقابر نفسها التي سميت في الازمنة الغابرة "مقاعد الصمت الابدي العظيمة٠"

واحتفظ كارتر على مر السنين بسجل دقيق لكل اكتشاف اثري، مهما يكن تافها، مدونا ما يعرفه حول كل ضريح ملكي او مومياء٠ ومنذ اول عهده بالمهنة بدأت تتكون لديه قناعة بان وادي الملوك لم يكن كشف عن جميع اسراره بعد، على رغم ان كل عالم او باحث عن الكنوز كان يؤمن انه استنفد المنطقة برمتها٠

ولكن في العام ١٨٧٥ حصل اغرب اكتشاف وكان ذلك في دير البحري٠ فقد عثرت جماعة من لصوص المقابر المحترفين، وهي من عائلة عبد الرسول، على غرفة محفورة في الصخر تحتوي على مومياءات ٤٠ ملكا من السلالات الثامنة عشرة حتى الحادية والعشرين، كانت موضوعة كلها في غرفة واحدة في محاولة سريعة لاحباط خطط اللصوص٠

ولدى مشاهدته الكنز الذي لم يسبق العثور على مثيل له، اقسم رئيس عائلة عبد الرسول على كتمان الامر٠ غير ان الطمع استولى عليه، فما لبثت السلع الملكية الغنية ان نزلت الى سوق "الانتيكا"٠ وتناهت القضية الى مسمع حاكم المنطقة داود باشا٠

وكانت لداود طريقة فذة وبسيطة في الاستجواب، وهي تحديق النظر الى المشبوه بعينين ليس في مصر نظير لهما من حيث القسوة والحقد٠ وقد سبق لاحد عمال كارتر، وكان لصا في حداثته، ان اقتيد الى داود الذي كان قابعا في برميل ماء، مغمورا حتى العنق٠ وكان يكفي المرء ان يرى رأسا ضخما مدورا يفصله الماء عن جسمه وعينين سوداوين وحشيتين ليضطرب لتوه٠ ويصف كارتر المشهد كما يأتي:

من كرسي حكمه غير التقليدي، نظر داود الى العامل ولم يفعل شيئا آخر، "فنفذت عيناه"، كما يقول المسكين، "الى داخلي، وأحسست بأن عظامي استحالت ماء٠ ثم قال بهدوء شديد: هذه هي المرة الاولى التي تظهر امامي٠ واني اطلقك بشرط ان تكون حذرا، فلا تظهر هنا مرة اخرى٠ واعتراني خوف شديد حفزني على تغيير مهنتي"٠

ولجأ داود الى الطريقة نفسها مع احد افراد عائلة عبد الرسول٠ فأقر هذا بما حصل وقاد السلطات الى داخل الغرفة٠ وهناك، في ضريح قليل العمق، كانت بقايا اعظم الملوك سلطانا في مصر القديمة قابعة في

أسمال بالية ولكن من غير ان تمس. وعلى التوابيت الخشبية الخالية من الزخارف الثمينة (التي سرقها اللصوص منذ زمن طويل)، وعلى اقمطة الكتان التي كفنت بها المومياءات كان الكهنة قد دونوا روايات مصورة عن رحلات الملوك. وبهذه الطريقة امكن التعرف بدقة على كل ملك، وهو امر خطير بالنسبة الى كارتر الذي لم ينس بعد سنوات طويلة اسماء الملوك الذين كانوا لا يزالون مفقودين.

وكان ذلك الاكتشاف الضخم كافيا لاقناع المؤرخين هذه المرة بان وادي الملوك استنفد حقا. غير انه حدث، في العام ١٩٠٢، ان المليونير الامريكي تيودور ديفيس حصل على ترخيص بالعمل هناك. وعثر عام ١٩٠٧ على عدد من الاشياء التي حملت معها دلالة مباشرة على الملك توت عنخ أمون.

وفي السنة التالية وجد حفرة بسيطة على تلة بالقرب من مقبرتين اخريين معروفتين. ولم تحمل الحفرة اي اشارات تدل على وجود شيء في الداخل. غير ان ديفيس عثر فيها على قرابة ٤٠ جرة مملوءة بالكتان وعدد من الكؤوس الخزفية وما شابهها، مما ثبط عزيمته. لكنه لم يشك في ان تلك البقايا غير الخلابة كانت ذات علاقة بتوت عنخ أمون. ووجد ان "غطاء احدى تلك الجرار كان مكسورا وقد لفت حوله قطعة قماش كتب عليها اسم توت عنخ أمون". الا ان البقايا نفسها كانت تافهة بحيث لم يكترث لها احد.

وما لبث ديفيس ان اعلن خلو وادي الملوك من كل شيء جديد، وتخلى عن حقوقه. وكان ذلك قبيل حصول اللورد كارنارفون وهوارد كارتر على الترخيص بالعمل هناك. وبعد موافقته على الترخيص، اسر لهما ماسبيرو بأنه يظن ان الاشياء التي قد يعثران عليها لن تكفي بدل تعبهما. لكن كارتر كان مقتنعا بان مقبرة فرعون واحد آخر كانت لا تزال في وادي الملوك، وان ذلك الفرعون هو توت عنخ أمون.

المواسم العجاف

ان النظرة التقليدية الى اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون تذهب الى القول بان كارتر عثر عليها مصادفة، اي بضربة حظ قوية. غير ان الواقع كان على نقيض هذا الاعتقاد، وهو ان كارتر أجرى حسابات دقيقة على مدى سنوات كان فيها توت عنخ امون شغله الذهني الشاغل. وفيما كان يحاول مع كارنارفون اكمال خطة لحملة مفصلة تبدأ في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤، اندلعت الحرب العالمية الاولى، فأدى هذا الى تعليق الامور موقتا.

واستأنف الاثنان حملتهما في خريف ١٩١٧. وكان قرار كارتر ان يتجاهل الحفريات التي جرت سابقا ويبادر الى الحفر مجددا بغية الوصول الى الطبقة الصخرية السفلى. وارتأى ان يعمل على ارض مثلثة الشكل تقوم عليها مقابر الملوك رعمسيس الثاني ومرنفتاح ورعمسيس السادس. كما ارتأى، بناء على الدراسات السابقة، ان تلك البقعة مرشحة اكثر من سواها لان تضم مقبرة توت عنخ أمون.

ولكي يضمن لعمله المنهجية التامة،

ابتكر كارتر طريقة الشبكة المتسامتة، اي ذات الخطوط الافقية والعمودية المتساوية، على غرار الحواجز المدفعية التدريجية ذات الفعل المدمر في الحرب. وكان مزمعا على تنفيذ مخططه كاملا من دون تغيير.

وعلى رغم ان مساحة قطعة الارض المثلثة لم تتجاوز الهكتار، الا ان العمل كان هائلا. فهناك عشرات آلاف الامتار المكعبة من الرمل ورقاقات الحجار والجلاميد التي تجب ازالتها. وبما ان التجهيزات الآلية لم تكن متوافرة في تلك الايام، فقد وقع العمل على عاتق الصبية والرجال الذين استخدموا المعاول والمعازق والسلال الصغيرة التي كانوا يملأونها ويفرغونها من دون توقف.

في موسم العمل الاول، وصل كارتر عمقا حتى اسفل بوابة قبر رعمسيس السادس.وعلى بعد عشرة امتار او ١٥ مترا امكنته مشاهدة الاساسات القديمة لاكواخ العمال التي اقيمت فوق كتلة من حجار الصوان الضخمة. وكانت الصخور المدورة تلك علامة اكيدة على وجود مقبرة قريبة. غير ان كارتر توقف عن الحفر فجأة وطلب من عماله التوجه الى طرف المثلث المقابل.

وانه لامر غريب جدا ان يكون كارتر فعل ذلك. وربما قدر ان الاكواخ ترجع الى زمن رعمسيس السادس الذي جاء بعد توت عنخ امون بمئتي سنة. وعلى كل حال فقد بدأ الحفر في الطرف الآخر من المثلث. ولم يظهر في الشهرين التاليين اكثر من الغبار والحجار.

وكان الموسم الثاني، الذي بدأ في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨، افضل قليلا من السابق. وكان في نية كارتر تنظيف كل ما تبقى من المثلث. واستغرقت ازالة الانقاض السطحية ستة اشهر قبل ان يبدأ الانحدار الى الصخور العذراء. وبعيد وصول كارنارفون وزوجته في زيارتها الاولى، عثر الفريق على ١٣ جرة مرمرا تحمل اسمي رعمسيس السادس ومرنفتاح، وهو الامر الوحيد الذي يمكن ان يسمى اكتشافا خلال سنتين تقريبا.

اما الموسم الثالث والرابع والخامس، التي استمرت من ١٩١٩ حتى ١٩٢٢، فلم تخلف شيئا سوى اشهر من العمل الذي يقصم الظهور فضلا عن الاجور الباهظة التي صرفت على فريق العمل الكبير. وبدأ اللورد كارنارفون يفقد اهتمامه في الامر، واخذت صحته تخبو على رغم انه لم يتجاوز السابعة والاربعين. ولاحظ اصدقاؤه وافراد عائلته استغراقه في فترات طويلة من الصمت على نحو مطرد. واستمر المه الجسدي وارهاقه الروحي والنفسي حتى كاد ان ينهي رعايته لعلم الآثار المصرية.

وزاد مزاجه فسادا الموقف الجديد لمديرية الآثار. وعند هذه النقطة من الرواية ينبغي تقديم شخصية لعبت دورا رئيسيا في المسائل المتعلقة بتوت عنخ أمون. والشخصية التي نعني هي مدير الآثار المصرية بيار لاكاو الذي خلف السير غاستون ماسبيرو عام ١٩١٧. وقد كان لاكاو عالم آثار بارعا وقديرا جدا وفخورا بمواهبه الادارية. وكان في امكانه

ان يتكلم بلا انقطاع وبمهارة في عشرات المواضيع. وكان عمله من الدقة بحيث قيل انه "يحفظ فهارس للفهارس".

وكان اختيار ماسبيرو قد وقع شخصيا على لاكاو كخلف له. ولكن في حين كان ماسبيرو على قناعة راسخة بانه ينبغي تشجيع المنقبين الاجانب عن طريق وعدهم بالحصول على نصف الموجودات على الاقل، اصر لاكاو على ان لمدير الآثار الحق، بالنسبة الى كل الاكتشافات، في ان يأخذ ايا من الموجودات او كلها لمصر. واثار هذا الموقف اشمئزاز هوارد كارتر الذي كان من دعاة سياسة عدم التدخل الحكومي في شؤون المنقبين.

وفي العام ١٩٢١ ظهر اكتشاف مهم في احدى غرف الخزن التابعة لمتحف المتروبوليتان في نيويورك. وكان هيربرت وينلوك، مدير المتحف السابق، حصل للمتحف على بعض الاشياء الثانوية التي عثر عليها تيودور ديفيس. وعندما سنحت له الفرصة لتفحص تلك الاغراض، وقع نظره على اشياء لم يشاهدها احد من قبل. ومكنته تلك الملاحظة من ان يبرهن على ان بعضا من المواد يعود الى مراسم تحنيط توت عنخ أمون. وكانت بين المواد المذكورة ادوات استعملت خلال مأدبة الدفن التي اقيمت داخل المقبرة قبل قفلها للمرة الاخيرة. وكان ذلك دليلا قاطعا على ان توت عنخ أمون دفن في وادي الملوك.

وما كان من وينلوك الا ان اعلم كارتر فورا بالامر. فابتهج هذا، فيما قرر اللورد كارنارفون ان يستمر في تقديم العون المالي خلال الموسم اللاحق.

مقبرة العصفور المذهب

وصل كارتر الى وادي الملوك في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ استعدادا للموسم "الاخير". وقضى بضعة ايام في نقل المعدات واستقدام العمال، ومراجعة مخططات العمل بمساعدة المقدمين الثلاثة من رجاله. ولم تكن المعدات كلها ذات علاقة خالصة بالآثار، اذ كان بينها عدد كبير من علب اللحم وصناديق كعك خاصة ووفرة من اجود الخمور التي اختارها كارنارفون بعناية من محلات "فورتنام آند ماسون"، متعهدة تموين الاريستوقراطيين ذات الشهرة العالمية. وكانت صناديق الخشب الوافرة المميزة مشدودة بأحزمة فولاذية، وقد كتبت على كل منها اسماء محتوياتها كتابة دقيقة، حتى بات ممكنا ان يخال الزائر الطارىء نفسه في محلات "فورتنام آند ماسون على النيل"!

وحمل كارتر معه كنارا ليحيي وحشة بيته. وسرعان ما اصبح الكنار محبوبا من العمال والمقدمين. واطلقوا عليه اسم "العصفور المذهب"، ناظرين اليه كرمز للنجاح.

وفي اليوم الاول من نوفمبر (تشرين الثاني)، بدأ كارتر العمل على البقعة التي سبرها قليلا وتوقف قبل خمس سنوات، وهي البقعة التي تقوم عليها اساسات اكواخ العمال. ولدى حلول مساء اليوم الثالث، كان في امكان كارتر ان يرى تحت الاكواخ قرابة متر من التراب القديم الذي يفصل الاكواخ عن طبقة الصخور

السفلية. وهناك كان مزمعا ان يعمل في اليوم التالي.

وعندما وصل كارتر في الصباح فوجىء بصمت غير عادي بين العمال الذين كانوا في العادة يثرثرون طوال النهار. والفكرة الاولى التي راودته كانت ان حادثا حصل. لكن احد المقدمين اعلن الخبر، وهو الوقوع على درجة محفورة في الصخر. وبعد اجراء قليل من التنظيف، وجد كارتر نفسه في مدخل حفرة صخرية عميقة، دل شكلها على انها درج مغمور يؤدي الى مقبرة ملكية.

واستمر العمل على نحو محموم طوال ذلك النهار والنهار التالي. واشار شكل الدرجات الى ان المقبرة ترجع الى السلالة الثامنة عشرة التي ينتسب اليها توت عنخ امون. وبدأ كل شخص هناك مشدوها، واخذ بعض العمال يتكلم عن المقبرة على انها "مقبرة العصفور المذهب"، عازيا الحظ السعيد الى كنار كارتر.

وكان الدرج المحفور كله في الصخر ينحدر بزاوية تبلغ ٤٥ درجة ليصل الى هضبة صغيرة. ومع بروز درجات اضافية، ظهر سقف فوق الطرف الغربي واتخذت الدرجات شكل نفق سحيق. وقبيل الغروب، وقع كارتر عند الدرجة الثانية عشرة على الجزء الاعلى من باب شيد بحجار كبيرة جصص بعضها فوق بعض ووضعت عليها اختام وكتابات هيروغليفية. وفي حمى الترقب راح يفتش الاختام، التي يبلغ كل منها حجم اليد، بحثا عن اسم صاحب المقبرة. وكان ينبغي ان يكون هناك اسم، اذ كانت تلك القاعدة مطردة ومقدسة في وادي الملوك. وحين لم يعثر على اسم، استنتج كارتر ان المقبرة لم تكن تؤوي ملكا.

ولو ذهب كارتر اعمق قليلا لوجد اختاما عليها اطار بيضوي مزخرف يحمل اسم "نبخفرورا"، وهو الاسم الملكي لتوت عنخ امون، ولكان، كما قال هو، وفر على نفسه عناء ثلاثة اسابيع واكثر من القلق. غير انه لم يفعل لسبب عملي هو ان الوقت كان متقدما ولم تكن الانوار الكهربائية مؤمنة في ذلك الجزء من الوادي. وكان عليه ان يكرس الساعات الباقية من النهار لتغطية الجزء المنظف من الدرج حماية له قدر المستطاع. وكان ثمة سبب آخر متعلق بكرم الخلق، وهو التوقف عن العمل ريثما يصل راعيه، كارنارفون، من لندن. وكان ذلك عذرا لائقا.

وهكذا اعاد كارتر ملء الحفرة على مضض. وبعدما اختار من العمال ادعاهم الى الثقة لحراسة المكان نهارا وليلا، غادر الوادي مؤقتا.

وفي اليوم التالي ارسل برقية الى كارنارفون وطلب مساعدة عالم الآثار البريطاني ا.ر. "بيكي" كالندر. وكان في امكان كالندر ان يتولى اي عمل يعهد اليه في مواقع التنقيب عن الآثار، وكان، كما لاحظ وينلوك، "احد الزملاء القلائل الذين تمكنهم ملازمة كارتر وقتا طويلا من دون فقد عقولهم". وخلال انتظاره وصول كارنارفون، اشترى كارتر المعدات اللازمة لتأمين الكهرباء للحفريات المرتقبة. وسار العمل من غير عائق.

ثم وقع حادث هز العمال بعنف: لقد قضى "العصفور المذهب"، بشير الحظ

السعيد، في ظروف غريبة. ووصف وينلوك الحادث لاحقا في رسالة الى زميل بقوله: "ذهب كارتر الى القاهرة لملاقاة كارنارفون. وكان كالندر يقيم وحده في منزل كارتر ويعتني بالعصفور. وبعد ظهر احد الايام سمع رفرفة صاحبها صوت قصير حاد، واذ به يبصر في القفص صلا كان يزدرد العصفور.


"وكما يعرف جميع الاهالي المحليين، كانت الافاعي من نوع الصل تنمو على رؤوس الملوك الاقدمين. لذلك بدت النتيجة واضحة، وهي ان افعى الملك انقضت على جالب الحظ الذي باح بسر المقبرة. وكانت النتيجة واضحة كذلك، بالنسبة الى العمال المحليين على الاقل، وهي انه سيموت شخص ما قبل انقضاء الشتاء".

"اشياء رائعة"

في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) وصل اللورد كارنارفون وابنته المفعمة، حيوية ايفلين هيربرت الى الاقصر ومعهما كارتر.

وفي صباح اليوم التالي ازال العمال الركام عن الدرجات الباقية. وعندئذ تمكن المنقبون من فحص الدرج المختوم بكامله. وكانت الاختام في الجزء الاسفل تحمل اشارات واضحة نسبيا. واستطاعوا قراءة اسم توت عنخ امون على عدد منها.

واعقب ذلك لحظة من الابتهاج فها هو حلمهم الاروع يتحقق اخيرا. ولدى استئناف التدقيق يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، اكتشفوا دليلا على وجود فتحتين وقفلين على الاقل لجزء



كفن توت عنخ امون الأخير الذي وصفه كارتر بانه "سبيكة ذهب صرف، على مقدار كبير من الضخامة".

من الباب. وهذا يعني ان المقبرة لم تسلم من عبث اللصوص. لكن السرقة لا يمكن ان تكون حدثت بعد تشييد مقبرة رعمسيس السادس، اي بعد ٢٠٠ سنة من زمن توت عنخ امون. وتمسك كارتر وكارنارفون بالرجاء الذي استمداه من كون المقبرة اعيد ختمها مرتين باحكام. فالختم علامة على ان اللصوص لم ينهبوا كل شيء.

وحضر كبير مفتشي مديرية الآثار، ركس انغلباك، الى المكان ذلك اليوم بناء على الحاح لاكاو. وبذل كارتر جهدا لكي يوضح لانغلباك ان الثغرات التي اعيد سدها في القدم دليل على ان المقبرة لم تسلم من الزيارات غير المشروعة.

واستمر الحفر طوال صباح ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني)، وكان العمال يملأون السلال واحدة بعد الاخرى. وعلى بعد عشرة امتار من الباب الاول، عثر الفريق على باب آخر عليه اختام تحمل اسم توت عنخ امون الملكي.

لقد كانت اللحظة التي لا تصدق. وارتعشت يدا كارتر وهو يتناول قضيب حديد من كالندر ليحفر ثقبا صغيرا في زاوية الباب العليا الى اليسار. واضاء شمعة وقرب لهبها الى فتحة الباب تحريا للغازات الفاسدة. ثم وسع الفتحة ونظر الى الداخل.

وما حدث بعد ذلك يصفه كارتر في قطعة من اكثر قطع ادب الآثار حيوية وشهرة:

حملت الشمعة ودخلت، وكان اللورد كارنارفون والليدي ايفلين وكالندر يقفون قلقين الى جانبي. ولم استطع، في البداية ان اتبين شيئا اذ كان الهواء الساخن المتسرب من الغرفة يحدث ذبذبة في لهب الشمعة، ولكن عندما اعتادت عينياي الضوء، اخذت تفاصيل الغرفة ترتفع رويدا رويدا من خلال الضباب. وكانت هناك حيوانات غريبة وتماثيل وذهب، وكان بريق الذهب يملأ المكان. وفي تلك اللحظة التي بدت دهورا للواقفين هناك، اخرستني الدهشة. وعندما سألني اللورد كارنارفون، الذي لم يطق مزيدا من الارجاء، بترقب قلق: "هل يمكنك ان ترى شيئا"؟ كان كل ما امكنني قوله الكلمات الآتية: "اجل، اشياء رائعة".

وتجدر الاشارة الى ان رواية كارتر المنشورة، بالاضافة الى عشرات بل مئات الروايات التي تصف تلك الدقائق الساحرة، تذهب الى ان المكتشفين الاربعة اكتفوا بالنظر الى غرفة المقبرة الاولى التي سميت بعد ذلك "حجرة الانتظار"، ثم سدوا الفتحة وغادروا. والواقع ان رواية كارتر غير صادقة، وان الاحداث الصحيحة مدونة في قسم الآثار المصرية في متحف المتروبوليتان للفن، كذلك في ثلاث ملاحظات مجهولة نشرها في مجلة علمية بين ١٩٤٥ و١٩٤٧ الفرد لوكاس، وهو انكليزي شارك في اعمال التنقيب.

وتبين مقالات لوكاس ان كارتر كتب سطورا سريعة الى انغلباك يعلمه فيها بازالة الركام عن الباب الداخلي ويسأل الحكومة ان ترسل مفتشين الى المكان. لكن الرسالة وصلت الى دائرة الآثار في الاقصر متأخرة عند المساء بحيث لم يتمكن انغلباك من الرد عليها وعندئذ توجه كارتر الى الباب.

وكان ان اثار هذا الاكتشاف

الهائل، بعد سنوات مضنية من العمل غير المثمر، شعورا بالنشاط والخفة. وقد يكون اول من طرح فكرة التسلق الى المقبرة اللورد كارنارفون او الليدي ايفلين، ولكن لا سبيل الى التأكد من اي منهما فعل. غير ان كارنارفون كتب مسودة مقال لم تنشر اطلاقا، يصف فيها الانطباعات الاولى لدى افراد الفريق، ويقول ان كارتر جعل في الباب فتحة كبيرة تكفي للقفز الى غرفة الانتظار. وبما ان ايفلين كانت اقصر شخص بينهم، فقد كانت الاولى في الدخول، ثم تبعها الآخرون.

لم تكن حجرة الانتظار واسعة، بل كانت بطول ثمانية امتار وعرض ٣،٧٠ امتار وارتفاع مترين ونصف متر. وقد "كدّس الى جانب كل جدار منها، "بفوضى ولكن فوضى منظمة" على حد تعبير كارتر، كنز من الاشياء. وبدا كل شيء جديدا على نحو لا يصدق. ومن تلك الاشياء هاون استعملت لاعداد الجص الذي كسا الباب، ومصباح بدا كأنه اطفيء قبل برهة، وعلامة اصبع فوق الدهان، وازهار محفوظة على نحو رائع تركت على العتبة. وكانت الخصوصية الملازمة لتلك الاشياء ونسمة الحياة العميقة التي لم تفارق الغرفة القديمة عاملين جعلا اعضاء الفريق ينظرون الى انفسهم كمعتدين.

وبدت بعض محتويات الغرفة، لدى تسليط النور البراق، عليها، مبعثا على الرهبة في نفوس الحاضرين. فقد تأرجحت على الجدار الغربي طيوف ثلاث ارائك مطلية بالذهب، وكانت جوانبها المحفورة على هيئة حيوانات جبارة تلقي على الحائط ظلالا ضخمة. وكانت على يمين المدخل مباشرة منحوتتان سوداوان تمثلان الملك في حجمه الطبيعي وتواجه احداهما الاخرى في شكل حارسين يرتدي كل منهما لباسا نصفيا من ذهب ويحمل عصا وصولجانا مذهبين ايضا. وكان شكل المنحوتتين مهيبا، وقد بقيتا في وضع ممتاز.

تلك كانت الاشياء الاولى التي لفتت الباحثين. لكن ثمة مئات من الاشياء الاخرى كانت مكدسة بعضها فوق بعض حول الاشياء الرئيسية. ومن تلك الاشياء علب جواهر صغيرة، مصبوغة ومرصعة، تجل عن الوصف، وآنية زهر مصنوعة من المرمر، ومقامات سوداء غريبة الشكل، مقفلة ومختومة، ومجموعة عرضية من العلب البيضاء تبدو الواحدة منها مثل بيضة عملاقة، ومركبات مكسوة بالذهب، وصورة للفرعون تكاد لا تظهر بين تلك الاشياء.

وعلى رغم الدهشة التي اعترته، كان كارتر يبحث عن شيء يفوق تلك الاشياء اهمية بالنسبة اليه، الا وهو الدليل على وجود حجرات اخرى. وعثر على الدليل المنشود في الجدار على الناحية الجنوبية الغربية حيث وقع نظره على فتحة صغيرة. وحدق من خلال تلك الفتحة فرأى غرفة اخرى مكتظة بالاشياء. وتولدت لديه قناعة بان اللصوص استعملوا تلك الغرفة، التي سماها "الحجرة الملحقة"، لتفحص الكنوز وتعريتها من الذهب.

ولكن اين كان الناووس والمومياء؟

اللحظة المثيرة

بالاضافة الى مدخل الحجرة الملحقة، كان هناك باب واحد آخر. وكان ذلك الباب حاجزا مكسوا

بالجص ومختوما، يقوم بين الحارسين الاسودين المذهبين. وصعق كارتر حين وجد ان اللصوص تسربوا من ذلك المكان ايضا. وكانت في وسط الباب من اسفل لطخة شبه دائرية شبيهة بتلك التي وجدت على البابين الخارجيين. ولكن ظهرت على الجزء الجديد مجموعة اختام مدينة الموتى، وهي علامة اكيدة على ان الكهنة سدوا الفتحة بعد مغادرة اللصوص. غير ان الطلاء وضع بسرعة اذ كانت هناك شقوق كبيرة في الجانب السفلي ظهرت من خلالها حجار غير منتظمة.

ولم يستغرق كارتر سوى دقائق معدودة في رفع بعض تلك الحجار. وحين وجه ضوءه الكشاف من خلال الفتحة، لم ير سوى ممر ضيق ينتهي عند جدار مسدود. وقفز كارتر من الفتحة. فيما كان الآخرون ينظرون. وكان الممر على عمق متر تقريبا من حجرة الانتظار. ولبضع ثوان، بدا ان كارتر اختفى.


وحين وقع على موطىء لقدميه، سلط الضوء الكشاف على الجدار الغربي للممر فوجد بابين كبيرين جدا لمقام خارجي. وكان البابان مقفلين من دون ختم ومزينين بذهب وخزف أزرق مزخرف على جمال يخطف الانفاس. ولم يكن ذاك ممرا على الاطلاق، وانما كان غرفة الدفن نفسها.

وتمكن اللورد كارنارفون وايفلين هيربرت من عبور الفتحة الى الداخل، لكن كالندر، وهو ممتلىء الجسم، لم يفلح في ذلك. ويبدو ان كارتر قرر الا يوسع الفتحة. فقد تراءى لهم جميعا انهم على وشك الاقدام على مغامرة لا يسمح بها الترخيص الرسمي. غير ان الخرق كان قد حصل، ولم يكن من تراجع عنه.

وفيما هم يتفحصون ابواب المقام الازرق الذهبي الهائل، تشاوروا حول الاقدام على فتحه اذ لم يكن ذلك يحق لهم. لكنهم كانوا اولا، علماء آثار، وكانوا بشرا.

واخيرا رفعوا المزلاجين المصنوعين من الابنوس. وسحب كارتر الباب الضخم المزدوج على مهل في البداية، لكنه لم يتزحزح، عندئذ شده بقوة اكبر، فكانت حركة مفاجئة حادة وانفتح الباب. وكشف الضوء عن ثوب كتان معلق، كان من الشفافية بحيث بدا مصنوعا من ذرات الهواء عينها. وقد تدلت منه ورود مشغولة بالبرونز والذهب، وكانت، كل وردة في حجم قطعة نقود. ولمس كارتر واحدة منها فسقطت في يده كأنما بقيت منتظرة ٣٢٠٠ سنة كي تنتزع. وبعدما وضعها في جيبه، ازاح الثوب بحذر ليجد وراءه بابا لمقام آخر. وكان هذا مطليا بالذهب على نحو رائع ومغطى بالكتابة الهيروغليفية. وفي الوسط، فوق رزتين كبيرتين من البرونز، كان حبل مجدول وملفوف باحكام وممهور بختم مدينة الموتى الملكية الذي لم يمس على الاطلاق. وفي صوت هادىء مكبوت، اعلن كارتر ان الملك كان يقبع هناك آمنا. وعلق لاحقا ان تلك اللحظة كانت اكثر لحظات حياته اثارة.

وكانت بين بابي المقامين مجموعة كنوز نفيسة. ولم تخل زاوية او شق في جدار من الاعمال الفنية. وبعد تفحص بضعة اشياء من بينها علبة عطر غريبة وضعها كارتر في جيبه،



وبعد لمس الحبل المجدول باحكام والختم السليم الذي يحمله، اعاد الفريق باب المقام ومزلاجيه الى الوضع الاساسي.

ثم اتجهوا شمالا من امام المقام الى الجدار الشرقي لحجرة الدفن. وكان في الزاوية الشمالية الشرقية من الغرفة باب مفتوح، فسلط كارتر النور عبره ليرى غرفة اخرى شبه مربعة، وضعت عند مدخلها منحوتة كبيرة من الخشب الاسود على قاعدة مرفوعة للاله انوبيس الذي كان على صورة ابن آوى. وكانت المنحوتة صاعقة في جمالها المهيب: "فالرأس من الرفعة بحيث ظهر شاخصا، والاذنان من الانتصاب بحيث بدتا مصيختين".

وسلط كارتر الضوء الكاشف على بقية اجزاء الغرفة المربعة التي اختار لها اسم "الخزنة". وكانت الصناديق وعلب المجوهرات الصغيرة والعلب المستطيلة الرفعية السوداء - وهي جميعا مقفلة ومختومة - تملأ الغرفة. وقد وضعت عليها عشرات المراكب الصغيرة حتى استحالت الغرفة اشبه بنهر النيل وعلى سطحه اسطول صغير متأهب للابحار.

وانقضت ساعات على وجودهم في الداخل. ولم يجرؤوا على تفحص عدد كبير من الاعمال الفنية لئلا تعلم مديرية الآثار بدخولهم غير المشروع. فعادوا ادراجهم. بحذر عبر حجرة الدفن واعادوا قطع الحجار الى موضعها. ورفع كاتر غطاء سلة قصب كبيرة بالقرب من احد الحارسين واسندها، مع حزمة قصب غير محكمة، الى الحائط لكي يستر آثار تلك المغامرة.

وخرج الفريق وسدوا الفتحة الداخلية، ثم ركبوا حميرهم وغادروا الوادي عائدين الى بيوتهم في وجوم مكبوت.

تفان وتعاون

في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) كان انغلباك منهمكا في واجبات رسمية. فحضر الى المكان عند الظهر المفتش المحلي لمديرية الآثار. وكانت جميع معالم الليلة السابقة قد طمست.

وانتشر خبر الاكتشاف على الفور في مصر كلها. واخذت الاشاعات في الظهور، ومنها ان ثلاث طائرات حطت في الوادي ثم اقلعت وعلى متنها حمولةكبيرةمنالكنوز. ومن اجل قمع تلك الروايات، نظم كارنارفون وكارتر افتتاحا رسميا للمقبرة يوم ٢٩ من ذلك الشهر، من دون ان يطلبا سماح مديرية الآثار بذلك.

وتماديا في خطأهم اكتفيا بدعوة صحافي واحد هوآرثر ميرتون، مدير مكتب صحيفة "التايمس" اللندنية في مصر وصديق كارتر. ولم يسمح لاي مندوبعن الصحافة المصرية او الاوروبية او الامريكية بحضور الافتتاح. وكان ذلك مثلا ساطعا على لامبالاة كارنارفون وكارتر، اذ عزلا اولئك الاشخاص الذين كانا سيحتاجان اليهم في المستقبل.

ومنذ اللحظة التي ظهرت اولى الروايات في الصحف، اخذت البرقيات والرسائل تنهال على المكتشفين. وقد وصلت التهاني اولا،

قناع ذهب بالحجم الطبيعي كان يغطي وجه توت عنخ امون.

وتبعتها عروض المساعدة وطلبات التواقيع وعقود الحقوق السينمائية. وكانت حشود هادرة من الزوار تصل في جميع الاوقات. ومع ازدياد تدفقها اخذ كارتر يرد كل زائر لم ينل رضاه الشخصي. ولكن كان سيأتي وقت يدفع كارتر ثمنا غالياً لتصرفاته تلك.

ولم يطل الوقت بكارتر حتى تحقق من ان سنوات من العمل البالغ الدقة كانت في انتظاره. ذلك ان اصلاح رداء ملكي واحد مزدان بمئات النقود الذهبية من شأنه ان يستغرق شهرين. وكانت ثمة امور لا تحصى برسم الانجاز قبل ان يتاح لكارتر رفع اصغر قطعة من حجرة الانتظار. وكان عليه ان يحصل على مواد للحفظ والصر وان يجند خبراء في الحفظ للعمل معه.

وتخلى عن فكرة الاعتماد على اعضاء مديرية الآثار لان جدارتهم كانت موضع شك ورأيهم غير منسجم مع رأيه. ولم تراوده قط فكرة طلب العون من المتحف البريطاني، بل وقع اختياره على متحف المتروبوليتان للفن في نيويورك. وكان ذاك الاختيار امرا بدهيا تبعا لازدهار دائرة الآثار المصرية في المتروبوليتان، ومن بين اعضائها وينلوك الذي امد كارتر بالدليل القيم على وجود المقبرة.

واذا تركنا هذا العامل جانبا، فمن الجدير الاشارة الى ان كارتر وكارنارفون بقيا طوال سنوات على علاقة مالية خاصة بالمتروبوليتان، وهو امر ابقته المؤسسة حتى اليوم طي الكتمان. والحق ان من اجود التحف المصرية الفنية في حوزة المتحف مجموعة جاءت عن طريق

السرقة وسهت عنها مديرية الآثار. واشتراها المتحف بطريقة سرية من كارتر مباشرة، وكان هو ابتاعها من تاجر مصري بمال امده به كارنارفون من اجل افادة كارتر من الصفقة. وقد بدأت تلك العلاقة مع المتحف عام ١٩١٧ واستمرت حتى ١٩٢٢. وكانت حصيلتها المادية ان دفع المتحف مبلغا خياليا هو ٢٥٦،٣٠٥ دولارات، اي ما يعادل اليوم مليونين ونصف مليون دولار. وكانت عمولة كارتر من ذلك المبلغ قرابة ٤٠،٠٠٠ دولار.

الى هذا، كان كارنارفون وكارتر على علم بان وينلوك والبرت ليثغو، امين الدائرة المصرية في المتروبوليتان، يبذلان كل ما في استطاعتهما لثني لاكاو عن ابطال العرف القائل بقسمة الكنوز المكتشفة مناصفة. وكان الاثنان مهتمين جدا بهذا الامر.

وارسل كارتر برقية الى ليثغو الذي كان آنذاك في لندن، فحصل على جواب يمنحه تفويضا مطلقا للاستعانة بكل عضو تابع للدائرة المصرية "بأي طريقة يجدها ملائمة".

وقد اجمع الذين وصفوا ذلك التدبير على الثناء عليه كتجسيد للتفاني والتعاون. والحق انه كان هكذا من ناحية، لكنه من ناحية اخرى كان ميثاقا لخدمة المصلحة الشخصية المتبادلة، تعهد بد الطرفان بعد تمحيصه في ضوء العقل من اجل جني اكبر فائدة مالية وفنية. وقد اسر كارنارفون الى ليثغو بالآتي: "ينبغي ان اعطي المتحف البريطاني شيئا ولكن يهمني ان ينال المتروبوليتان النصيب الصالح".

وحين كان الفريق مجتمعا، اغلق كارتر ابواب المقبرة. وكلفت مفرزة من الجنود المصريين حراسة المكان طوال ٢٤ ساعة في اليوم. غير ان كارتر وظف حراسا خصوصيين من اجل مراقبة الجنود. وغادر كارنارفون والليدي ايفلين مصر الى انكلترا لقضاء فرصة عيد الميلاد، فيما توجه كارتر الى القاهرة لشراء معدات من بينها بوابة ذات قضبان فولاذية لسد الباب الداخلي. وبقي كالندر في وادي الملوك، وكان يجلس معظم الوقت بالقرب من المدخل وعلى ركبتيه بندقية ملقمة.

اللعنة

في ١٠ يناير (كانون الثاني)، وقع كارنارفون عقدا شاملا مع صحيفة "التايمس" اللندنية منحها بموجبه حقوق نشر الاخبار عن المقبرة الملكية في العالم. واثار الاتفاق عاصفة احتجاج هبت من صحف العالم الكبرى جميعا. وفي القاهرة وجد لاكاو نفسه مطوقا من جميع الجهات. فقد رفع رجال الصحافة المصريون، بدافع من الاوساط الصحافية الاجنبية، شكوى عنيفة لانهم حرموا دخول مقبرة مصرية. كما تدفق الوف ممن كانوا يودون زيارة المقبرة على مكاتب مديرية الآثار، معربين عن غيظهم حيال عدم سماح كارتر لاي كان، بزيارة المكان، حتى اولئك الذين يحملون اذنا رسميا.

واجتمع لاكاو مرات عدة بكارتر على حدة والتمس منه ان يصدر بيانات صحافية ويوزعها على المراسلين المصريين. لكن كارتر رفض. كذلك توسل اليه لاكاو ان يسمح لمديرية الآثار بارسال زوار الى المقبرة لينضموا الى الجماعات التي

كان كارتر يعمل لها دليلا يوميا. فرفض هذا الطلب ايضا بحجة ان زواره الاخصاء هم جميعا علماء آثار ولهم ملء الحق في الدخول.

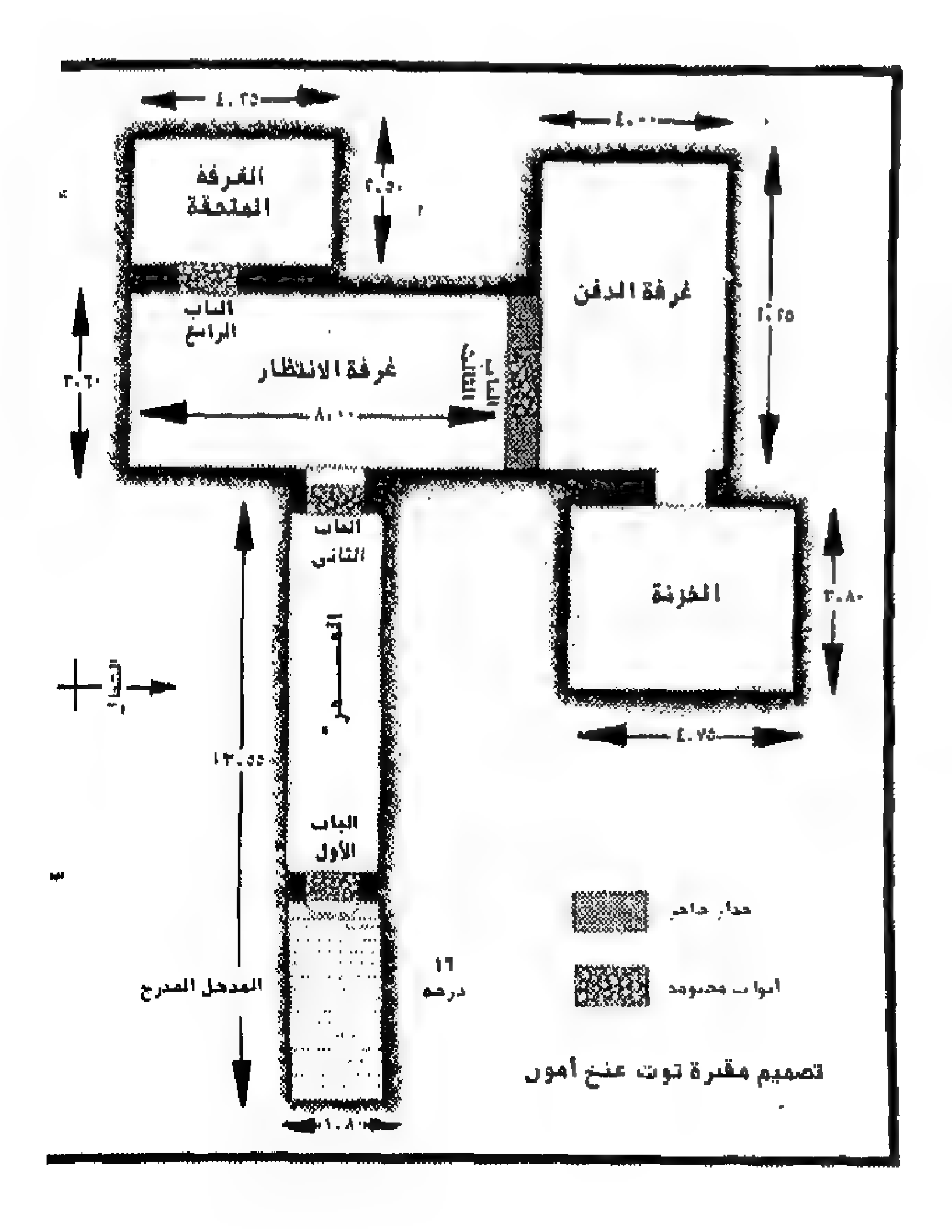
وفي الوقت نفسه، كان كارتر يحاول استئناف عمله العلمي الدقيق. فحصل على غرفة مظلمة لمصوره هاري بورتون الذي حضر من المتروبوليتان، كما حصل على اذن باستخدام مقبرة قريبة كمختبر وغرفة خزن.

وابتكر الفريق طريقة ثابتة لحفظ سجل بالكنوز. فكان بورتون يلتقط صورة اولى لكل كنز في مكانه. وبعد ذلك يرسم كارتر الكنز نفسه بالقلم على ورقة مساحتها ٢٠ × ١٣ سنتيمترا، مدونا قياساته كلها، مع اشارات حول الاجزاء المفقودة او التالفة منه. ثم يلتقط بورتون مجموعة اخرى من الصور، واضعا بطاقة مرقمة امام كل كنز. ويتبعه رسامان بوضع رسوم بارعة على ورقة تمثل، من فوق الى تحت، الكنوز في سياقها. وبعد الفراغ من ذلك كله كان الكنز ينقل الى المختبر حيث يلتقط بورتون صورا اضافية تظهر فيها مراحل اصلاحه. وهذا تدوين دقيق قل ان حصل مثله في المقابر التي اكتشفت سابقا.

وقد عبر كارتر في هذا العمل الدقيق المجهد عن براعة لا توصف. واشار الى الكنوز "كارث مباشر من الماضي"، وتكلم عن نفسه كما لو كان الوسيط المحظوظ، ولكن الموقت، الذي حدث ان مرت تلك الاشياء عبره. وهو قال ما يأتي: "اذا ادى الاهمال او الجهل بالمنقب الى انقاص المعرفة التي قد تكون جاءت عن طريق الكنوز، فلن يغيب عن باله انه مسؤول عن جريمة من الدرجة الاولى في علم الآثار".

وكان كارتر دائم الشكوى من المشاهدين، وان بدا عديم الاكتراث تجاههم. وعلى رغم ان وجودهم في المكان اغاظه، فقد امر عماله بلطف ان يحملوا المكتشفات المهمة عارية على مرأى من صفوف النظارة الى غرفة المختبر. اما الاشياء الاقل اهمية فكانت تلف وتنقل بعناية فائقة على حمالات فيما كانت تبدو اغراضا تافهة مرفوعة من الخنادق.

وحين عاد اللورد كارنارفون والليدي ايفلين في اواخر يناير (كانون الثاني)، كانت ٦٠ تحفة قد نقلت من حجرة الانتظار. وفي ١٧ فبراير (شباط)، رأس كارنارفون



تصميم مقبرة توت عنخ أمون

الاحتفال الرسمي بافتتاح غرفة دفن توت عنخ امون، وقبل يومين من موعد فض الباب المختوم، غدت الاقصر قبلة المعمورة، واخذت مئات الرسائل الصحافية تقعقع يوميا على اسلاك التغراف الحديثةالتركيب في القاهرة، ووصل المشاهير والوجهاء والسلاطين والباشوات في قطارات غصت بهم، واقيم منبر موقت لتلك المناسبة المثيرة، وكان كارتر مزمعا على فتح الحاجز لجمهور مختار يعد ٢٠ شخصا، ويلي ذلك يومان يسمح لكارتر فيهما بفحص المحتويات فحصا مفصلا، ثم في اليومين اللاحقين يتاح لممثلي الصحافة العالمية والزوار "الخواص" مشاهدة الكنوز،

وكان كارتر يرفع بنفسه حجار المدخل واحدا واحدا ويدفع بها الى احد معاونيه، وحين اصبحت الفتحة كافية للمرور، نفذ منها الى الغرفة، وتبعه اللورد كارنارفون، وظهر الاثنان مرة اخرى بعد ٢٠ دقيقة تقريبا، ولم يتفوها بكلمة واحدة، بل اكتفيا برفع ايديهما دلالة على الدهشة، وبعد ذلك دخل افراد الفئة المختارة، اثنين وراء اثنين،

واتصفت التقارير اللاحقة كلها بالابتهاج الغامر، واجمعت الشخصيات الملكية والاشراف والعلماء على تقريظ الاكتشاف والمثابرة التي تم بها حفظ الموجودات، وتكونت لدى كارنارفون وكارتر قناعة تامة بانهما تجاوزا النقد السلبي الذي جاء على السنة المصريين والصحافة العالمية،

وفي ٢٦ فبراير (شباط) اغلق الاثنان المقبرة بعد انهاء العمل لذلك

الموسم، واعادا طمر الممر والدرج، وعادا الى المختبر حيث كثف العمل وراء الكواليس. وكان للحر هناك اثر سلبي ظاهر في صحة كارنارفون. فقد كان معدل الحرارة داخل غرفة المختبر قرابة ٣٨ درجة مئوية. وكانت عواصف الغبار تثقل الهواء في الخارج فتعوق تسربه.

وقصد كارنارفون الى القاهرة في اوائل مارس (آذار) بغية الحصول على ضمانات من لاكاو في شأن قسمة "صحيحة" لمحتويات المقبرة. وكانت ايفلين تكتب الى كارتر رسالة كل يومين تطلعه فيها على سير الامور. وفي ١٦ مارس (آذار) بعثت برسالة تحمل نذيرا اذ كتبت عن والدها: "البارحة اخذت كل الغدد في عنقه تنتفخ فجأة، وفي الليل ارتفعت حرارته ولا تزال مرتفعة اليوم. وقد بلغ به الارهاق مبلغا لا يقوى معه على الكلام".

وفي الاسبوع اللاحق بلغ المرض بكارنارفون حدا حاسما، وكان مرضه الاخير. وتوفي في ٥ ابريل (نيسان). وقيل ان انوار القاهرة انطفأت كلها لحظة وفاته، وان التحقيق اللاحق لم يكشف سبب انقطاع التيار. وجاء تصريح ابن كارنارفون ووريثه، اللورد بورشستر، ليزيد ذلك اللغز تعقيدا، حين اعلن ان كلب والده المفضل عوى وسقط ميتا في لحظة وفاة سيده ايضا، وكان ذلك في بيت العائلة الريفي في هايكلير.

وعزت الصحف في العالم اجمع موت كارنارفون الى لعنة مصدرها القبر. وعلى رغم انه لم توجد لعنة حقيقية في ضريح توت عنخ أمون وانها لن توجد البتة، فان رواية "اللعنة" معروفة اليوم على نطاق واسع كما هي حال رواية توت عنخ أمون نفسه وكنوزه الفريدة. وعندما سئل اللورد كارنارفون الحالي عن تلك اللعنة خلال مقابلة تلفزيونية اجريت معه في نيويورك في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٧٧، اجاب بان موقفه منها "ليس موقف المصدق ولا موقف الرافض". غير انه اكد للمذيع الذي اجرى معه المقابلة انه "يرفض دخول مقبرة توت عنخ امون في وادي الملوك حتى وان اغري بمبلغ مليون جنيه استرليني".

الخروج

وانتهى الموسم الاول المثير وعندئذ قال كارتر لوينلوك: "كل ما علينا فعله الآن هو أن نقشر المقامات الملكية كما تقشر البصلة، وسنكون بعد ذلك مع الملك نفسه".

ويخرج المرء من قراءته وصف كارتر لموسم العمل الثاني بانطباع مؤداه ان اعمال الحفر استؤنفت بهدوء ومن دون ازعاج. لكن الحقيقة ان كارتر صرف ٨٠ يوما في كشف الضريح قبل ان يتمكن من فحص محتوياته. وغالبا ما ادى به هذا التأخير الى فقدان الصبر وحدة الطبع. ومرت بعد ذلك الوقت عشرة اشهر كاملة قبل ان تكشف المومياء، وهي اشهر عشرة انطوت على مفاوضات على جانب كبير من الدقة، وانفجارات غضب، ومماحكات، ودعاوى قضائية، وفضيحة ابقيت طي الكتمان، ونزاع سياسي.

وظهرت الصعوبة الاولى حين ابرم كارتر عقدا صحافيا حصريا مع "التايمس" اللندنية. فمن اجل تطويق محاولة دخول المراسلين المقبرة في

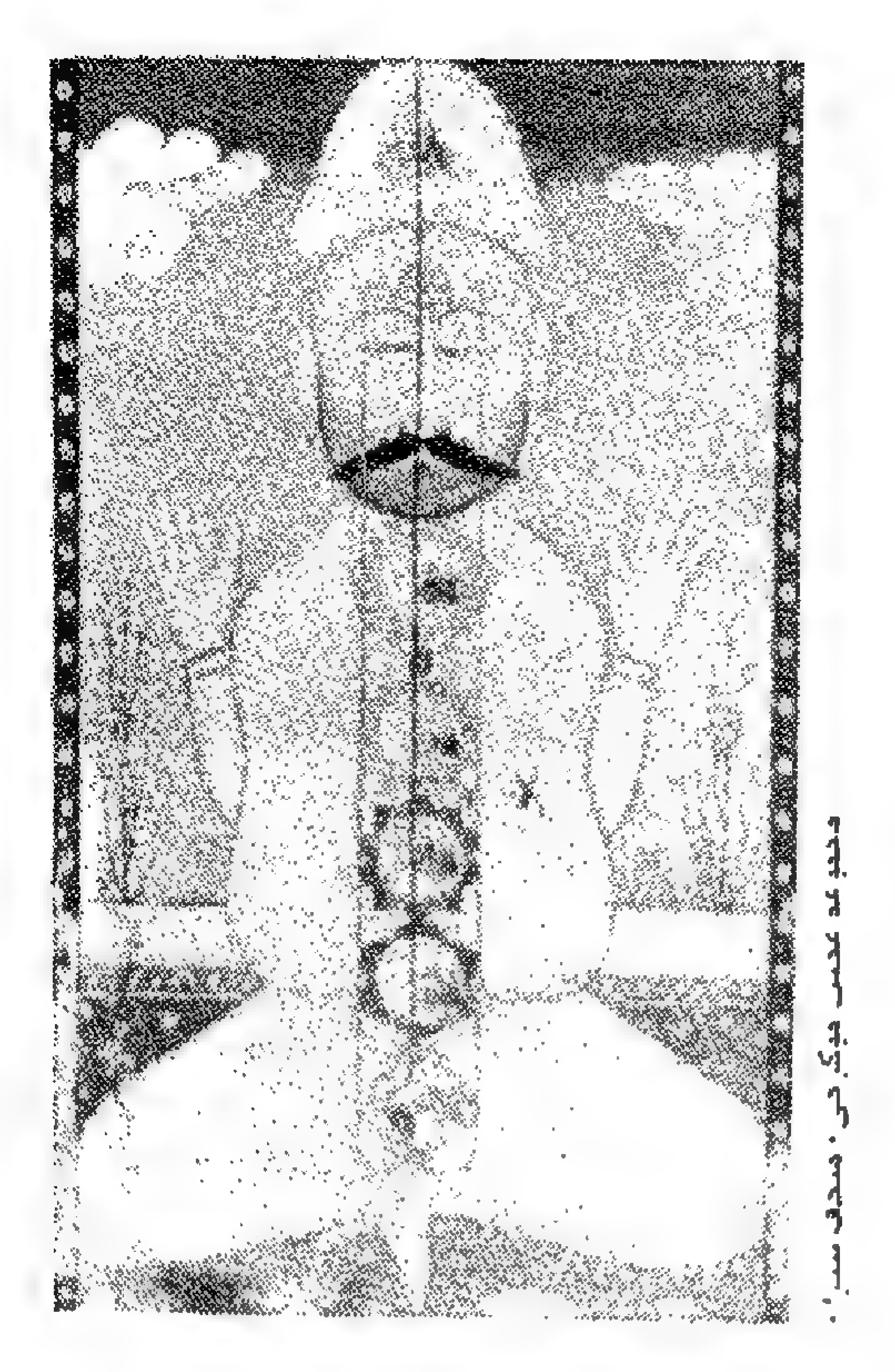
كل مرة يدخلها احد رجال الصحافة، ارتأى كارتر ان يعين مراسل "التايمس"، آرثر ميرتون، عضوا رسميا في بعثة التنقيب. وهذا التدبير يكفل لميرتون دخول المقبرة في أي وقت يشاء كارتر. اما بالنسبة الى الطلبات التي تسلمتها مديرية الآثار في شأن مشاهدة المقبرة، فقد قال كارتر ان الزوار ايا كانوا، من شأنهم اعاقة العمل العلمي.

وكان لاكاو يفخر بنفسه كاداري ممتاز. والحق انه كان لبقا وساعية وفاق. اما العلاقة المعقدة التي جمعته بهوارد كارتر فقد اصبحت فيها اللباقة نقطة ضعف. من هنا كان رفض لاكاو او عجزه عن التصرف بصراحة تامة - وهو امر راجع جزئيا الى عدم رغبته في ان يجرح مشاعر الآخرين - يفسر من قبل كارتر على انه تذبذب وعدم اخلاص واحيانا نفاق صريح. ورضخ لاكاو وزملاؤه في النهاية لاقتراحات كارتر حول ميرتون والزوار. غير ان احدا لم يخبر كارتر ان انقساما حادا في الرأي ظهر بين معاوني لاكاو المصريين. وعاد كارتر الى وادي الملوك في ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ مقتنعا بان كل الامور كانت تجري على خير وجه.

لكن ضغط الصحافة وضغط المصريين الذي لم يلن له جانب سرعان ما حتم اجراء محادثات لاحقة مع لاكاو. واشتكى كارتر من ان ثلث الايام الخمسين الاولى من الموسم الجديد "بدده التدخل الاداري". وخلال تلك المحادثات المطولة، وفي سياق تصريحات عامة متعددة، نجح كارتر في اهانة لاكاو. ومن عوامل ضغينته على لاكاو شعوره بانه هو (كارتر) وورثة كارنارفون "يملكون" المقبرة فعلا. ويضاف الى هذا العامل انه كان يكره لاكاو كرها شخصيا. غير ان العامل الاساسي كان الارهاق الذي عاناه كارتر ودوامته الذهنية التي لا تهدأ. وكانت ادنى نكسة واقل اثارة تحملانه اما على الغيظ واما على التأمل الصامت.

واشير على لاكاو مرارا وبالحاح ان يعطل الترخيص ويطرد كارتر من المقبرة. الا انه قرر اتباع خطة اخرى بعدما ارتأى ان التمسك بحرفية القوانين وفرضها على نحو غير منقوص من شأنهما دفع كارتر الى تصرف احمق. وهكذا راح لاكاو يلقن انغلباك كلاما لكي ينقله عفويا الى كارتر، ومؤداه ان مديرية الآثار تريد الحصول على لائحة باسماء معاونيه. وهو طلب وجده كارتر "شائنا" وتبعته في الاسابيع اللاحقة سلسلة متطلبات بدت الغاية منها، في نظر كارتر انتهاك الحقوق التي يمنحها الترخيص.

واعان لاكاو في حملته حدث سياسي ذو حجم هائل. ففي انتخابات ١٩٢٣، هزمت الحكومة التي كانت تؤيد الوصاية البريطانية على مصر لتحل محلها حكومة تقوم على نظام قومي متين. وكان وزير الاشغال العامة في الحكومة الجديدة - وهو المسؤول الاعلى الذي يخضع له لاكاو - مرقص بك حنا، وهو شخص اخرق متبلد الحس سبق ان حاكمه البريطانيون وادانوه وسجنوه بجرم الخيانة. وقد حفزه عدم ثقته بالاجانب، ولاسيما البريطانيين



"النرفانا" بمئتي دولار

اذا شئت الاستمتاع بالطمأنينة، بل وبالطمأنينة الكاملة. فلماذا لا تقصد "النرفانا"، حيث السعادة القصوى التي تتخطى الهم، تنتظرك في الهند·

والطمأنينة التي توفرها لك الهند تقصر عن شرحها الكلمات· فالهند تقدمها لك اينما اتجهت: في الابتسامات الدافئة التي تحييك، والوجوه البشوشة الودودة التي تستقبلك، والاسواق الغنية بالالوان والنابضة بالحياة، وفي تناغم الصنوج، وايقاع الاقدام الراقصة، والضيافة الطبيعية المنفتحة، والبساطة التي يتحلى بها كل فرد·

فكل هذا

يمكنك الحصول عليه، دون اسراف في التكاليف او تبذير، عن طريق شركة الخطوط الجوية الهندية

في أطار "برنامج اكتشاف الهند"
لمدة اسبوعين في مقابل ٤٠٠ دولار فقط
او ما يعادلها بعملة قابلة للتحويل·

فيمكنك السفر في انحاء الهند كلها لمدة ١٤ يوما، بمئتي دولار لا غير (او لمدة ٢١ يوما بكلفة لا تزيد على ٢٧٥ دولارا)·

ويمكنك الاختيار بين ٦٠ رحلة تراوح بين كشمير وخاجوراهو والسواحل الغربية التي تغسلها مياه المحيط الهندي·

وهناك تعرفة "خاصة للشبان" أيضاً

يستفيد منها جميع الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ و٣٠ سنة، فينالون حسما بـ٢٥٪ من التعرفة العادية بالدولار لرحلة تستغرق ٩٠ يوما·

ويمكن شراء البطاقات من اية مدينة كبرى من مدن العالم، عن طريق الـ١١١١ شركة خطوط جوية دولية التي تربطها اتفاقات مع شركة الخطوط الجوية الهندية·

ولا يكلفك ذلك الا الاتصال بممثل الشركة التي تتعامل معها·

فتعال واكتشف الهند،
وستجد فيها اكثر مما تتوقع،
كالطمأنينة والراحة الفعليتين·

IA-4911



واحدة من كبريات الشركات العالمية للخطوط الجوية الداخلية

وخصوصا كارتر، على تأييد اي مخطط من شأنه ارغام كارتر على ترك المقبرة ومغادرة المنطقة والخروج من مصر.

وبلغت المسألة ذروتها في ١٣ فبراير (شباط) ١٩٢٤. وكان كارتر قبل ذلك الوقت قد نجح في الوصول الى الناووس نفسه، علما بانه من المدهش ان يكون وجد وقتا لمتابعة اعمال الحفر. فقد كان عليه اولا تنقيب المقام الخارجي الذي تقوم وراءه ابواب تؤدي الى مقام آخر. ولدى فتح تلك الابواب، ظهرت ابواب مقام ثالث تخفي وراءها عالما متألقا من الذهب. وكان ثمة مقام رابع بدت على مدخله كتابة هيروغليفية جلية تبين انها عبارات الملك نفسه : "لقد رأيت الامس، فها انا اعرف الغد".

وكان وراء المقام الرابع ناووس من الحجر الرملي البلوري البديع، يعلوه غطاء من الصوان. واخيرا في ١٢ فبراير (شباط)، رفع الغطاء الذي يزن طنين بواسطة حبال، خلال احتفال حضره لاكاو ومجموعة من الاعيان. وكان يملأ الناووس تمثال مذهب للملك - الفتى، ويتألق في ملء مجده لدى انعكاس الانوار عليه. وكان ذلك التمثال مثالا على الصنعة التي بلغت ذروة البراعة والابداع. وهو كان مصنوعاً من الخشب المذهب ومرصعا بالخزف المزخرف والزجاج والحجار شبه الكريمة.

وقبل ان يغادر الرسميون المكان ذلك اليوم، بحث كارتر معهم في تفاصيل مؤتمر صحافي يعقد في اليوم التالي. وطرح سؤالا عرضيا حول السماح لزوجات الذين شاركوا في الحفر بزيارة المقبرة، فجاءه الجواب ايجابا. غير انه تسلم رسالة صباح اليوم التالي تعلمه بان وزارة الاشغال العامة رفضت طلبه. فهرع كارتر الى المقبرة وعرض الرسالة "المهينة" على زملائه الذين لم تقل دهشتهم وحنقهم عن دهشته وحنقه هو. وللحال وضعوا مسودة موجزة لارسالها الى لاكاو ومرقص بك حنا والرأي العام، ينذرونهم فيها بانهم سيغلقون المقبرة ويهجرون عملهم. ونفذوا ما قالوه حرفيا. فاقفل كارتر المقبرة والمختبر كليهما، حاملا معه مفاتيحهما التي لم يكن هناك نسخة عنها في حوزة احد، ومخلفا وراءه اطنانا من الحجار المعلقة فوق التمثال المذهب والمنذرة بالسقوط عليه.

رأس اللوتس

من العسير ان نفهم كيف يمكن ان يكون عدد كبير من الاشخاص ذوي العقل الراجح ارتكبوا خطأ فادحا في تقدير الامور. فهم اساؤوا فهم طبيعة نظام الحكم الجديد، ولم يدركوا ان فكرة السماح لنساء اجنبيات بدخول المقبرة قبل ان يدخلها اي مصري بوقت طويل من شأنها اثارة الغضب في مصر كلها. حقا انهم كانوا اسرى مفاهيم تخطاها الزمن حول انماط السلوك اللائقة بالمستعمرين والنخبة ورجال العلم.

وكانت الحكومة سريعة الى رد الفعل. فبعد مضي يومين على "الاضراب"، كما سمته الصحف، توجه كارتر الى المقبرة فصدته فرقة من الجنود المصريين. وبعد ذلك الحادث بايام حضر عمال الى المكان وكسروا اقفال البوابة الحديدية ليدخل اعوان الحكومة ويعيدوا، بحذر شديد، وضع

غطاء الصوان على الناووس. وفي الوقت نفسه كان مرقص بك حنا يبلغ كارتر الغاء الترخيص للموسم الراهن.

فما كان من كارتر الا ان رفع المسألة الى المحكمة المختلطة في القاهرة. وكان نظام الوصاية المصرية يتيح للاجنبي ان يقدم دعواه امام هيئة مؤلفة من قضاة اجانب ومصريين ويرئسها قاض اجنبي. ووكل كارتر الى محام انكليزي اسمه ف.م. ماكسويل مهمة الدفاع عنه، لكن اختياره لم يكن مناسباً. فقد سبق لماكسويل ان شغل وظيفة المدعي العام البريطاني عندما جرت محاكمة مرقص بك حنا بتهمة الخيانة. وبعدما اوجز حججه في قضية كارتر في ختام يوم طويل داخل المحكمة، راح ماكسويل يشرح للمحكمة ان موكله لم يزل يحمل الصفة القانونية التي يخوله اياها الترخيص حتى بعد اقفال المقبرة ورفع الدعوى، وان الحكومة دخلت "في شكل عصابة لصوص وسلبته حقوقه عن طريق العنف".

وحدثت جلبة في المحكمة. فكلمة "لص" هي من اقسى العبارات العربية التي يمكن ان ينعت بها شخص. واستغلت الصحافة المصرية تلك العبارة الى اقصى حد، موحية بان ماكسويل، ووراءه كارتر وجميع معاونيه، اطلقوا على الوزير صفة "لص"، فأهانوا بذلك جميع المصريين.

وعلى الاثر اصدر مرقص بك حنا بيانا اعلن فيه ان وزارة الاشغال العامة لن تفاوض كارتر اطلاقا، حتى وان طلبت منها المحكمة ذلك. وفي الوقت نفسه قرر كارتر مقابلة نائب القنصل البريطاني على أمل ان يفوز منه بضغط سياسي على الحكومة المصرية.

ووصل كارتر الى مكان الاجتماع في حال من حب الخصام والمشاكسة. وسرعان ما فقد سيطرته على نفسه، فراح يوجه الكلام اللاذع كلمة بعد اخرى حتى وصل الى نعت مديرية الآثار بعدم الجدارة ونائب القنصل بالسذاجة فما كان من نائب القنصل الا ان فقد اعصابه ورمى محبرة على رأس كارتر. وعندئذ تدخل اشخاص كانوا هناك لتهدئة الرجلين الغاضبين.

وحين طلبت المحكمة من هيربرت وينلوك ان يتوسط في الخلاف، أصابه قلق عميق لدى اكتشافه المؤامرة، وقرر ان يرسل كارتر خارج مصر. وكان اسم كارتر مدرجا على جدول محاضرات عدة في امريكا، لكنه كان يفكر في الغائها. غير ان وينلوك اقنعه باحترام ما تعهد به. وهكذا، غادر كارتر القاهرة في ٢١ مارس (آذار) من دون ان يدري ما اذا كان سيرى مصر مرة اخرى.

إلا ان المسألة لم تنته عند ذاك الحد. فقد توجهت لجنة خاصة من المصريين برئاسة لاكاو للكشف عن المقبرة وغرف الخزن. وهناك وجد اعضاء اللجنة ان كل الأشياء كانت مصنفة ومرقمة على اكمل وجه. فقد سجل كارتر أرقامها بنفسه في ثلاثة مواضع مختلفة: خارج كل صندوق، وداخله، وضمن فهرس وضع على طاولة قريبة. وتركت مناهج كارتر الدقيقة انطباعا ملموسا في أعضاء اللجنة.

ثم وصلوا الى الركن الخلفي من

غرفة الخزن حيث رأوا كومة من صناديق "فورتنام آند ماسون" الفارغة، وبينها صندوق كتب عليه: "نبيذ احمر". وكانوا على وشك تجاوزه حين سألهم لاكاو ان يفتحوه. وعندما فعلوا وجدوا في داخله رأسا خشبياً في حجم رأس طبيعي تقريباً، وقد رسمت ملامحه بدقة كاد يبدو معها انه يتنفس. وكان ذلك التمثال يقوم على قاعدة حفرت عليها بتلات زهرة اللوتس الزرقاء، وهي زهرة النيل المقدسة.

وأخذ لاكاو العجب، لكنه عمد الى المحافظة على الانضباط بين معاونيه، مصراً المرة تلو المرة على انه لا يعقل الا يكون هناك تفسير منطقي للدافع الذي حدا كارتر الى حفظ الرأس في ذلك المكان الغريب من دون ان يصنفه ويرقمه على غرار الاشياء الاخرى. غير ان المصريين طالبوا بارسال برقية استنكار على الفور الى رئيس الوزراء المصري نفسه.

وفي اعقاب ذلك الحادث ذهب انغلباك في زيارة الى وينلوك. فأخبره الأخير أن المصريين "فقدوا اعصابهم تماما"، وراحوا يصرخون قائلين ان المنحوتة سرقت من المقبرة دونما شك. فما كان من لاكاو إلا ان اخبرهم بأن كارتر كان اشترى رأس اللوتس من سوق التحف الفنية. لكن انغلباك لم يكن على يقين من ان المصريين صدقوا رواية لاكاو، على رغم ما أظهروا من ميل إلى الأخذ بها بعدما شاهدوا "الطرق المنهجية" التي ابتكرها كارتر. إذاً، هل يمكن ان يحصل وينلوك على تأييد من كارتر لذلك الرأي؟

ومن أجل هذه الغاية، أرسل وينلوك استفهاما الى كارتر بواسطة مصطلح رقمي كان الاثنان قد ابتكراه قبل سنوات لاستعماله في حال حدوث امر طارىء. وجاء جواب كارتر ان القطعة كانت بين الأشياء التي اكتشفها في ركام المدخل المؤدي الى المقبرة. وقال انه أعطى تلك الاشياء "ارقاما جماعية"، لكنها "لم تكن قد سجلت كليا في الفهرس". وتجدر الاشارة الى ان حجة كارتر غير مقنعة. ففي الجزء الأول من كتابه "مقبرة توت عنخ امون"، الذي نشر قبل ستة اشهر من ذلك الحادث، لم يرد ذكر رأس اللوتس بين الأشياء التي وجدها كارتر في ركام المدخل ووصفها وصفا مفصلا.

وعلى رغم ذلك، فقد قبلت اللجنة المصرية بتوضيح كارتر، وكتب وينلوك ان لاكاو "أبهجه ذلك التوضيح كليا لأنه كان يعني، مما يعنيه، ان القطعة هي بالتأكيد ملك متحف القاهرة". وفي اواسط ابريل (نيسان) بدأ وينلوك يأمل في ان يكون الجو الذي خلفته قضية توت عنخ امون اخذ ينحسر كي يتمكن من اقناع "المحامين جميعا بالانسحاب من القضية واتاحة الفرصة لعالمي الآثار الوحيدين اللذين دخلا في المسألة" - اي لاكاو ووينلوك نفسه - لكي يحلا الخلاف المرير.

الاستسلام

ان جهود وينلوك الرامية الى تجديد الترخيص بشروط مختلفة جدا عن الشروط السابقة كادت ان تكلل بالنجاح في اوائل يونيو (حزيران) حين تسلم كارتر من دار النشر التي يتعامل معها النسخ الخمس الاولى من

كتيب وضعه غفلا من التوقيع، وكان ذلك قبيل انهاء رحلته الى الولايات المتحدة التي لقي فيها نجاحاً منقطع النظير. وقد وضع الكتيب في الظاهر "من أجل التوزيع الخاص" المحدود، لكنه كان اتهاما لاذعا، كتب في الضمير الغائب (هو)، ضد الحكومة المصرية ومديرية الآثار ولاكاو الذي نعت كارتر طرقه بأنها "عائق يواجه مستقبل علم الآثار في مصر".

وتسلم وينلوك نسخته من الكتيب من مكان مجهول في الاول من يوليو (تموز) ١٩٢٤، وكان مزمعا في صباح اليومنفسه ان يستقبل كارتر في مكتبه في المتروبوليتان، بعد انقطاع دام بضعة أشهر. وقلب وينلوك صفحات الكتيب بسرعة، وامتعض حين وجد ان كارتر ضمنه كل شيء ولم يترك شيئا خارجا من برقيات مشفرة ورسائل سرية وملاحظات تظهر دور وينلوك في ستر الفضيحة التي اثارتها المنحوتة التي كانت في صندوق الخمر. وكانت تلك ضربة قوية ضد سمعة وينلوك كعالم آثار.

وعندما وصل كارتر فوجيء بالحنق الظاهر على صديقه. واحاطه وينلوك علماً بأنه، بعد صدور الكتيب، لا يريد ان يكون مرتبطا به بأي طريقة. وقال له بجفاء انه مقتنع بان تصرفه منذ بروز المشكلة كان صادرا عن عناد وعدم اتزان، وأن الكتيب اللعين كان القشة الأخيرة. وأفضى اليه برأيه انه لن يسْمَح له بالحفر ثانية في مصر ما لم يرضخ للشروط المصرية. وحيال هذا كله، وجد كارتر نفسه غير قادر على الكلام.

وقطع وينلوك الاجتماع بعد وقت قصير ليطلع مدير المتحف، ادوارد روبنسون، فورا على رأيه في عمل كارتر الأخير المتهور. وحذره من ان كارتر، الذي كان سيسافر واياه على ظهر باخرة واحدة متوجهة الى انكلترا، سيسلمه نسخة من الكتيب المقيت الذي وضعه ويحاول كسب مدير المتحف الى جانبه في حملته ضد المصريين. وأستغل وينلوك المناسبة ليحذر روبنسون من عدم الانجرار الى حجج كارتر.

غير ان غضب وينلوك، الصديق القديم، هز كارتر هزاً عميقاً. ولم يدر في خلده قط ان نشر المعلومات التي تورط وينلوك في قضية رأس اللوتس من شأنه ان يولد فيه احساساً بأن كارتر خانه. لكن كارتر بذل جهودا سريعة لوقف توزيع الكتيب، ولم يبارح غرفته في الفندق حتى موعد اقلاع الباخرة "موريتانيا" الى الوطن. وعندما جلس في الباخرة يحادث روبنسون، اعترف بأنه "فعل وقال حماقات كثيرة تجعله يندم ندماً شديداً" وقال "ان بعض تلك الحماقات مرده الى سوء النصح والبعض الآخر الى التوتر الذي كان يعانيه والذي منعه من التفكير الجلي او الهادئ". وحين وجد روبنسون ان كارتر كان في حالة قبول وتلق مذهلة، نصحه بأن يقدم الى الحكومة المصرية "اي اعتذار تطلبه" من اجل انهاء عمله في المقبرة.

وفيما كانت الباخرة تبحر نحو انكلترا، قرر كارتر أخيرا وضع حد لذلك النزاع الطويل. وكان كيانه مرهقا ومليئا بالهواجس حين جلس يكتب رسالة الى لاكاو يتنكر فيها "كليا لأي فعل او ادعاء او ذريعة من اي نوع في ما يخص مقبرة توت عنخ

أمون ومحتوياتها... وأنني اعلن سحب كل الامور المعلقة".

النصر الأخير

لدى عودة هوارد كارتر الى وادي الملوك في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٥، سلم في لقاء رسمي مجموعة مزدوجة من مفاتيح المقبرة والمختبر. وأجرى على الفور تفتيشاً لمحتويات حجرة الدفن برفقة بيار لاكاو. ورأى كل شيء في مكانه من دون اي تبديل. فأعرب عن رضاه تجاه لاكاو الذي باح له، في صوت مخفوض، بأنه كان مسرورا جدا لعودته. وكانت تلك مصالحة سريعة وخصوصية وودية.

ومنذ ذلك اليوم، وعبر ثماني سنوات مليئة بالعمل المضني الذي كان يجري، كما في السابق، تحت حر وادي الملوك وريحه وغباره، نادرا ما كشف كارتر عن الجانب القاتم النزق من شخصيته. فقد وجد نفسه منغمسا مرة أخرى في اعباء علم الآثار الصرف ومنهجيته، مما جعل الجانب اللطيف والحساس من شخصه يطغى على ما عداه.

وكانت مهمة كارتر الأولى رفع غطاء التابوت المذهب الذي اكتشفه قبل سنة. ووجد داخله شيئا اشبه بتابوت آخر مغطى بأكفان من الكتان الرقيق ومزين بأكاليل الزهر. وبعدما رفعت الاكفان وقف كارتر يحدق في "أروع مثال فني لصناعة التوابيت القديمة ظهر حتى الآن". وكان غطاء التابوت الثاني، كغطاء الأول، يرمز الى الملك الصغير في شكل الاله اوزيريس. لكن التمثال الثاني فاق الأول في فخامته الى حد كبير.

ولدى انتزاع غطاء التابوت الثاني، بان لعيني كارتر المذهولتين تمثال بشري آخر. وكان هو الآخر مغطى بطبقة من الكتان الرقيق. فانتزعها كارتر وانتزع معها الياقة المشغولة بالخرز والزهر والتي كانت تحيط العنق، ليقف وجها لوجه امام مشهد حابس للانفاس. ذلك كان التابوت الثالث الذي يزيد طوله على ١،٨ متر، وهو مصنوع من الذهب الخالص الذي بلغت كثافة بعض اجزائه ١٥ مليمترا تقريبا. وقدر كارتر ان ما يراه هو "سبيكة ذهب صرف، على مقدار هائل من الضخامة".

ورفع كارتر غطاء التابوت الثالث حيث كانت مومياء الملك ملفوفة بدرع من الذهب والزخارف. وكان هناك تمثال للملك في الحجم الطبيعي، استعمل قناعا له، وكان يلمع لمعانا باهرا قبالة اقماط الكتان القاتمة. ولا ريب في ان هذا القناع هو من اجمل المجسمات في تاريخ البشرية.

وبعد الكشف عن المومياء، شرع كارتر في رحلة على منتهى الغرابة، وهي الحفر في طبقة ضمن طبقة من الأقمطة. وجهز كارتر نفسه بمشارط مشحوذة الى اقصى حد، وطفق، بمساعدة استاذ التشريح في جامعة القاهرة المصرية، يقص الكتان القاسي الذي يكون الطبقة الاولى لينكشف له كنز حقيقي من الذهب يضم التاج الملكي وصدرة ذهبية وخنجرا مع غمد مصنوعين من الذهب الخالص. وقد وضعت على الذراعين المحنطتين اللتين جعلت احداهن فوق الاخرى ١٣ سوارا. وبعد قص طبقات الاقمطة كلها، اخرج كارتر ما لا يقل

عن ١٤٣ قطعة رائعة من مجوهرات وحلى وتمائم وادوات.

وبواسطة فراش مصنوعة من وبر السمور، ازيلت بقايا القماش المتهرىء. واخيرا تجلى وجه توت عنخ امون نفسه. وبدا ان جمال الملك كان يجل عن الوصف. وحين اخذ الرأس بين يديه، خيل الى كارتر انه حمل الى الوقت الذي كان الملك المفعم بالنشاط حيا. وهزته تلك التجربة حتى الصميم.

وبحلول نهاية فبراير (شباط) ١٩٣٢، كان هوارد كارتر قد اخرج اخر الاشياء من المقبرة وأشرف على نقلها الى المتحف المصري في القاهرة، وذلك قبل مرورو عشر سنين على اليوم الذي انجز اروع اكتشاف اثري.

وعاد في ربيع ذلك العام الى انكلترا. وفي اقل من سنة اصابه مرض لم يستطع منه فكاكا. وعلى رغم زياراته المتكررة لمصر، فهو لم يعد الى الحفريات الاثرية على الاطلاق. وفي ٢ مارس (آذار) ١٩٣٩، مات وهو في اواسط العقد السادس من عمره. ولم يحضر دفنه سوى عدد قليل من الاشخاص، بينهم الليدي ايفلين هيربرت بوشان، ابنة اللورد كارنارفون.

لم يكتشف كارتر اي وثيقة او ورقة بردي من شأنها ان تحل اللغز اللازم لوفاة توت عنخ امون في سن مبكرة جدا. غير ان حقائق جديدة قد تنكشف يوما ما في مكان غير متوقع في وادي الملوك على يد شخص ورث من هوارد كارتر احلامه وطموحه.

وحتى ذلك الوقت سوف تبقى هناك شكوك وتساؤلات.


ان توت عنخ امون، الذي يلفه الصمت ويحيطه لغز عميق، ضمن لنفسه سحراً آسراً اكثر مما تسنى لمعظم حكام الأزمنة الغابرة. وهو حقق النصر الأخير المتجلي في حياة ثانية مستمرة وآمنة. ولا تزال الكلمات الجريئة المحفورة على المقام الاخير المؤدي الى ناووسه الضخم تبدو صادقة: "لقد رأيت الأمس، فها انا أعرف الغد".

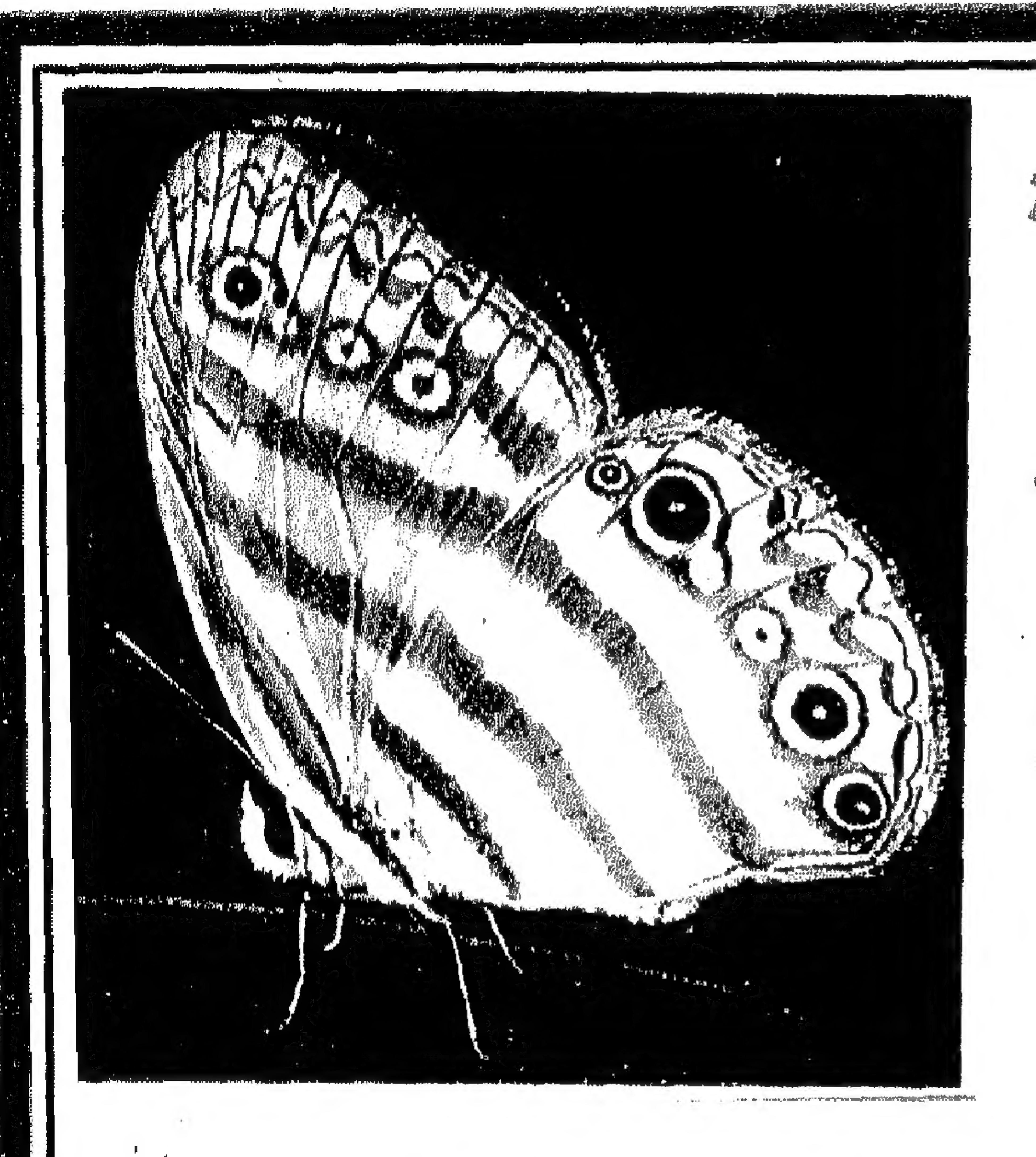
■ توماس هوفنغ

جعة رهبانية

فازت الراهبة الفرنسيسكية دوريس انغلهارت البالغة من العمر ٢٩ سنة بشهادة ماجستير في تخمير الجعة في مدينة أولم الالمانية، متفوقة في ذلك على ٢٦ من زملائها الرجال. وتعد هذه الراهبة أصغر سنا من سائر مخمري الجعة البارعين في المانيا، وهي تعمل بمساعدة راهبتين اخريين وتحضر قرابة ١٨٠،٠٠٠ ليتر من الجعة سنويا، وتستخرجها كلها من محصول الشعير في مزرعة الدير. وتتميز الجعة التي تخمرها الراهبة وتبيعها محليا بلونها الفاتح وباعتدال نسبتها من الكحول (٤ في المئة)، الا في فترة اعياد الميلاد ورأس السنة والفصح حيث ترفع الراهبات الثلاث نسبة الكحول تجاوبا مع رغبة المستهلكين.

روبير





الربيع:

أجمل الفراش ص ٤٠

الحبُّ الأعمى ص ٢٥

لا تدَع الخجَل يَغلبك ص ١٧

السُّكر: حُلوهُ ومُرُّه ص ١٢

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الأمارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest May 1979 N°6